

القصة فى القرآن الكريم

القصص فى اللغة هو تتبع الاثر لمعرفة المكان الذى نزل به أصحابه أو سلكوه

ومن هنا قيل للحكاية عن القوم انها قصة ، لان من يحكى عنهم يتتبع أثرهم ليعرف خبرهم ، فهو يقص سيرتهم فى الزمان ، كما تقص السير فى المواقع والجهات

وقد وردت الكلمة فى القرآن الكريم بالمعنيين فى سورة واحدة . فجاء فى سورة الكهف : « فارتدا على آثارهما قصصا » بمعنى تتبع الاثر لمعرفة الطريق ، وجاء فيها : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » بمعنى تتبع الخبر فى التاريخ

ولكن كلمة القصص فى القرآن الكريم تنصرف على عمومها الى معنى الهداية الى الاخبار والآثار الباقية من سير القرون الغابرة ، وهى تساق فى الكتاب لمقاصد كثيرة تجمعها كلها هذه المقاصد الثلاثة :

فهى تساق للعبرة والموعظة ، أو تساق للقدوة وتثبيت العزيمة ، أو تساق للتعليم والهداية

وتتلى قصص العبرة والموعظة فى القرآن الكريم لتذكير الاحياء بمصائر الغابرين من الامم الاولى ، وكانت توصف بانها اساطير الاولين من الكلام المسطور أى المكتوب ، وقد تكون الكلمة احدى الالفاظ التى تعربت عن اليونانية ، لان « الاستوريا »



بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

« ومن الواجب ان نذكر ان قصص القرآن جميعا تساق للموعظة والتعليم وحسن القدوة ، وانها تاخذ من التاريخ ما فيه الفنى لكل سياق او مقصد يعنى به الدين »

عندهم بمعنى الخبر المسجل او المعروف ، ولا يبعد ان يكون اليونان قد اخذوها عن العرب لانهم اخذوا الكتابة عن الامم السامية وسبقهم عرب الشمال وعرب الجنوب الى رسم الحروف ، ولا تزال اسماء « الالفا والبيتا والجما » عندهم منقولة من الالف والباء والجيم ، بل يرجح أن كلمة « كلموس » اليونانية أى « القلم » منقولة عن العربية ، لان القلامة أصيلة فيها ، ومن مادتها « القصم والقضم والقطم والقحم والقرم » وكلها تفيد القطع كما يفيده التقليم ، وكذلك السطر والشطر بمعنى الخط او القط فى العربية ، يقال سطره وشطره وخطه وقطه بمعنى واحد ، فليس من البعيد ان تنتقل هذه الكلمات مصاحبة للكتابة التى لاشك فى انتقالها من الامم السامية الى اليونان

وقد ترددت فى القرآن الكريم اخبار الاولين على سبيل العبرة والموعظة ، وكان مدارها جميعا على تحذير الامم الباقية من الاغترار بالمتعة والمنعة كما اغترت بها الامم

الخالية ، وكانت هذه العظات الزم العبر لتلك الامم التى آمنت بالاوثان والارباب ولم تؤمن بالوحدانية ، فانها اذا علمت ان اربابها لاتحميها من الكوارث ، ولا تقدر على اصابتها بها ، ذهب ايمانها بتلك الارباب ، ووجب عليها أن تبحث عن قوة الهية تملك القدرة التى عجزت عنها معبوداتها .

وفى القرآن غير القصص التى تدعو الى العبرة بمصير الكافرين انباء تروى عن الانبياء الذين ارسلوا الى الامم الغابرة ، فكذبتهم وتنكرت لهم ، ثم ظهرت دعوتهم وحاقت النقمة بمن كذبوهم وانكروهم ، وبقيت قدوتهم لينتفع بها من يعمل عملهم ، ويقفو أثرهم ، ويلقى من

قومه مثل ماكانوا يلقونه من اقوامهم ... « وكلا نقص عليك من انباء الرسل مانثبت به فؤادك » كما جاء فى سورة هود

وهذه على الجملة حكمة القصص التى جاءت فى الكتاب عن جهاد الرسل وعاقبة الصبر على الدعوة ، تثبيتا للافئدة وتبشيرا للدعاة والمصلحين بعاقبة الصبر على الجهاد

▭

ومن قصص التعليم والهداية فى القرآن قصة موسى والخضر عليهما السلام ، يرى بعض المفسرين انها درس لاصحاب الشرائع يفرقون به بين شريعة الظاهر وشريعة الباطن كانهما على اختلاف ، كما اعتقد اناس من القائلين بالاسرار والاشارات الخفية ، ويرى الثقات ان القصة درس لاصحاب الشرائع حقا ولكنهم يفهمون من هذا الدرس ان سعة العلم من شروط القضاء بين الناس ، وان العدل منوط بمقدار ما يعلمه الحاكم من شئونهم وحقائق احوالهم واسباب مصالحهم ، فلا يتساوى فى العدل قاض يعرف تلك الاحوال على حقائقها وآخر ينظر فيها بما يبدو له من ظاهرها ، وذلك درس لاغنى عنه لمن يقضى بشريعة من الشرائع تجرى على قسطاس واحد ولا يختلف فيها ظاهر وباطن ، كما يعتقد القائلون بالاسرار والاشارات الخفية ، فلا حاجة بالقاضى العادل الى غير العلم بحقيقة القضية التى بين يديه ، ثم لايختلف فيها بعد ذلك قولان

ومن الواجب ان نذكر ان قصص القرآن جميعا تساق للموعظة والتعليم وحسن القدوة ، وانها تأخذ من التاريخ مافيه الغنى لكل سياق او مقصد يعنى به الدين . فليس المقصود بها تفصيل التواريخ ولا تسجيل الوقائع والسنين ، وليست حكمتها موقوفة على شىء غير مافيه الكفاية لهذه المقاصد كما يفهمها الناس

ولكن الجانب التاريخى المحض من القصص الدينى قد كان له درسه النافع للمتعجلين من ادعياء التحقيق - العلمى - منذ اوائل القرن التاسع عشر ، لعلهم لايستغنون عنه بعد انتصاف القرن العشرين . فقد كان ورود الخبر فى كتاب من كتب الدين كافيا عندهم للجزم باختلاقه وحسبانه فى عداد الخرافات او فى عداد الخيالات الشعرية التى لم تحدث قط فى غير اوهام الشعراء ، فلم تمض سنوات على الشروع فى حركة البحوث الحفرية حتى ثبتت علامات الصبغة التاريخية لكل خبر من اخبار تلك الحوادث المشكوك فيها ، وثبت ان علماء التاريخ كانوا خلقاء ان يجهلوا كل شىء عن تلك الحوادث لو لم يعلموا بها من مصادرها

الدينية ، قبل أن يتوفروا على حركة الحفر والتنقيب فى آثار الشرق الادنى وما جاور بلاد النهرين

ومن هذه الاخبار ماكانوا يقرءونه فى الكتب ويمرون به على غير انتباه لانهم لم يعرفوا له خطرا جديرا بالاهتمام فى غير المصادر الدينية ، فشكوا فى وجود عاد وثمود وشكوا فى حملة الفيل وهلاك اصحاب الفيل ، وشكوا فى الزلازل والاعاصير والطوفانات والجوائح والحروب التى سيقت مساق العبرة فى قصص القرآن وانفرد بها أحيانا بين كتب الاديان ، فلما حققوا الآثار وصححوا المراجعة تبين لهم أن عادا وثمودا من اخبار بطليموس ، وان هلاك اصحاب الفيل من تواريخ الحبش والروم ، وأن المدن التى ساخت بها الارض أو عصفت بها الرياح حقيقة لاتقل فى صدقها عن حقائق طيبة ومنف وطروادة ومسينى ، وان بقايا اللغة تقول لنا اليوم بعد المقارنة بين اللغات كل ماكذبوه من الاصول او من الصلات بين شعوب الامس واعراقه فى أحاديث المتدينين ، وانهم هم فى انكارهم وتحقيقهم المزعوم قد ابدعوا لهذا العصر صورة جديدة من صور الخرافة لم تكن مقبولة عند المخرفين الاقدمين . وهى خرافة العالم الذى ينكر ما يجهل ويجهل ماينكر ، ويظن ان كلمة « التحقيق » وحدها سلطة تخولهم دون غيرهم حق الاستئثار بالرفض والانكار

واذا انكر هؤلاء المتعجلون كل شيء فى الدين فلعلهم لايستطيعون ان ينكروا اليوم هذا الدرس الذى تعلموه من كتب الدين ، فقد تعلموا على غير قصد منهم ان التعجل بالانكار جهل شائن كجهل المتعجلين بالتصديق

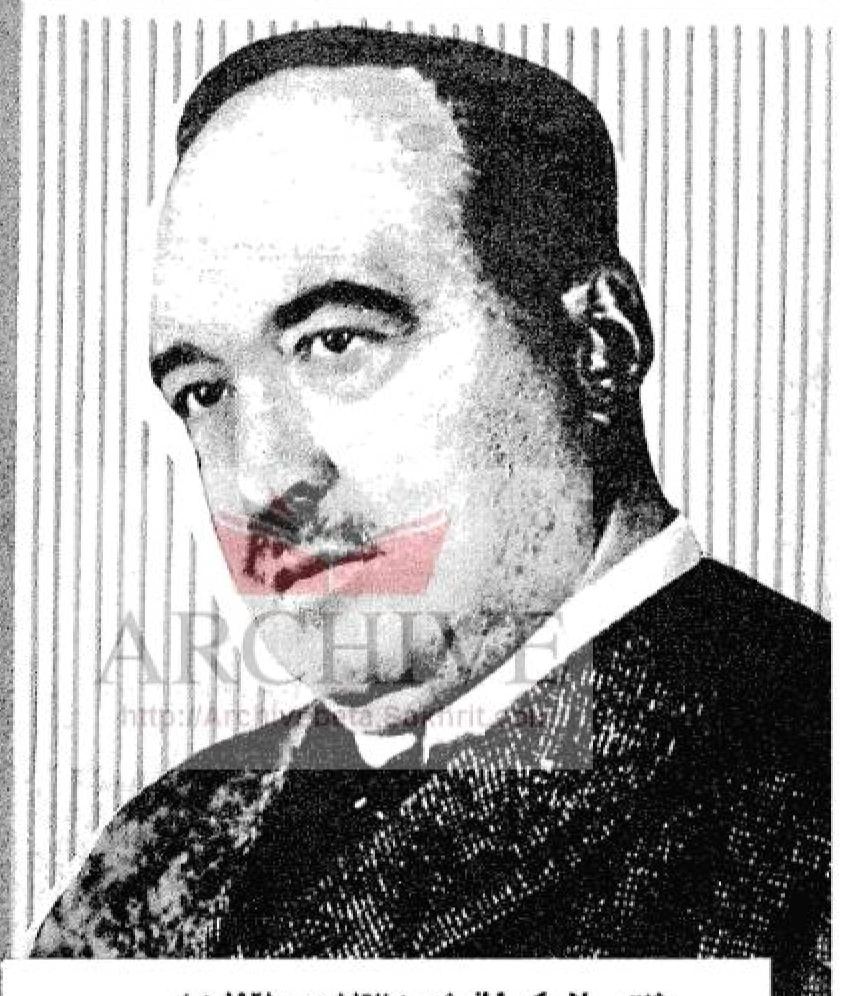
رد بليغ

تلقى الكاتب القصصى المعروف « جاك لندن » ذات يوم رسالة من رئيس تحرير احدى الصحف الكبرى يقول له فيها : « اذا لم تصلنى قصتك فى مدى اربع وعشرين ساعة فسوف احضر اليك فى غرفتك واقذف بك من قمة السلم ركلا بقدمى ، ولتعلم انى احافظ دائما على وعودى !! »

وما كاد المؤلف الكبير ينتهى من قراءة الرسالة حتى تناول القلم وكتب الرد التالى الى رئيس التحرير :

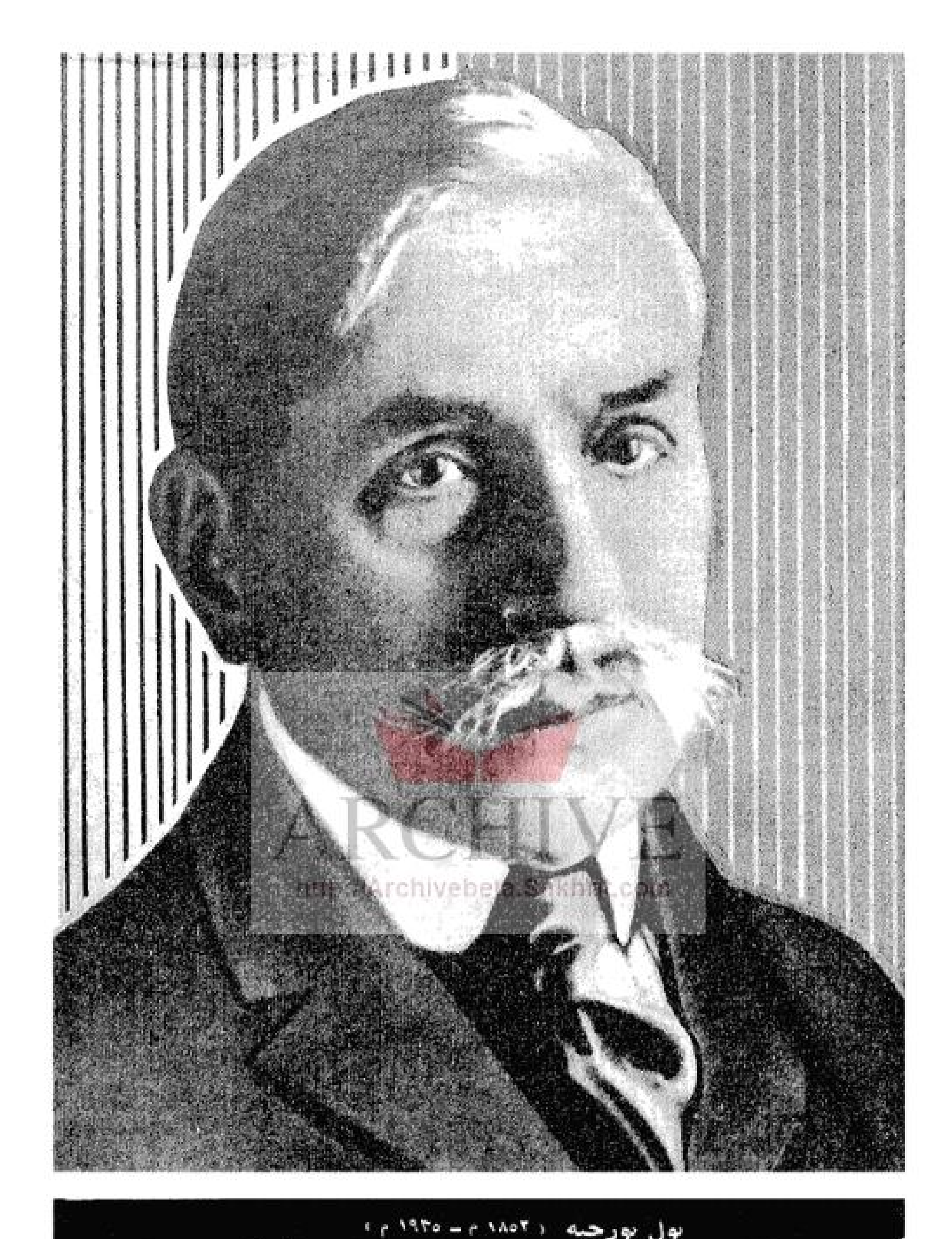
« عزيزى « ديك »
لو انى كنت اباشر عملى بقدمى لاستطعت ان احافظ بدورى على وعودى ! »

من اعلام القصة في القرن العشرين



بنثتى بلاسكو ابانيث (١٨٦٧ م - ١٩٢٨ م)

ولد في بلنسية باسبانيا ، وخاض غمار السياسة منذ حداثته ، واشتهر بميوله الثورية ، والاصلاحية ، وسجن ونفى مرارا بسبب آرائه ، ودخل البرلمان الاسبانى مرات ، وكان من أشد خصوم الملكية وبعد المعارك السياسية الطاحنة استقر في باريس ، وعكف على الكتابة ، ووضع عدة روايات اشهرها « زهر الربيع » و « أرض الكادحين » وتوفى في باريس.



بول بورجيه (١٨٥٢ م – ١٩٣٥ م)

ولد في مدينة اميان بفرنسا . وكتب مجموعة ضخمة من الابحاث والمقالات وخاصة النفسية منها . على ان شهرته العظيمة كانت بسبب رواياته الكثيرة التي تميزت بالعمق ودقة تحليل شخصيات ابطالها ومن اشهر رواياته « التلميذ » و « اكاذيب » وكتب كذلك كثيرا من القصص [illegible]



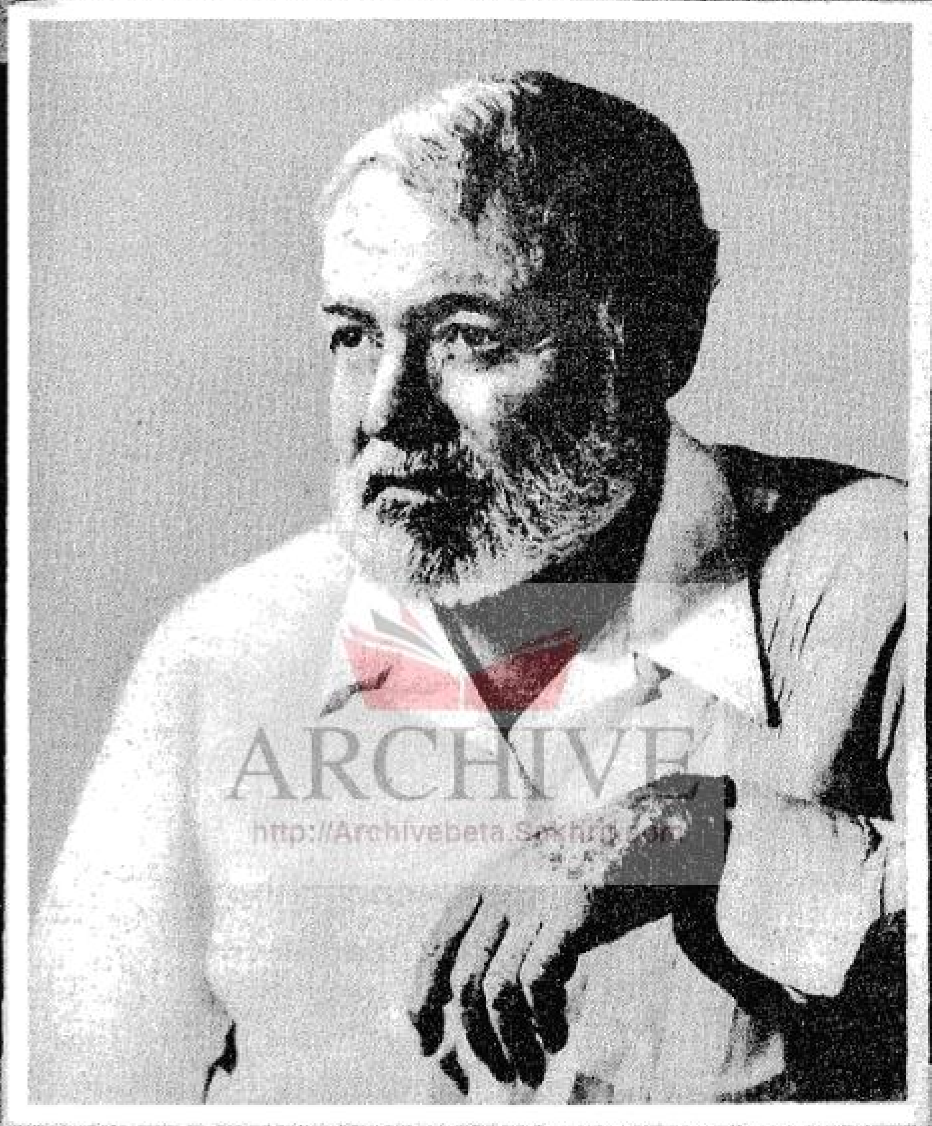
اجاثا كريستي (١٨٩٤ م -)

ولدت من أب امريكي وام انجليزية ، وظلت انجليزية الجنسية والوطن ، وتعد اجاثا اليوم اشهر الروائيين الذين يكتبون الروايات البوليسية في العالم - وقد تزوجت عام ١٩١٤ بالمستر كريستي ثم طلقت منه ، وتزوجت بعده من عالم آثار اسمه ماكس مالوان ، ثلاث شخصيات بوليسية شبيهة بشارلوك هولمز

بيرل باك ، ١٨٩٢ م -

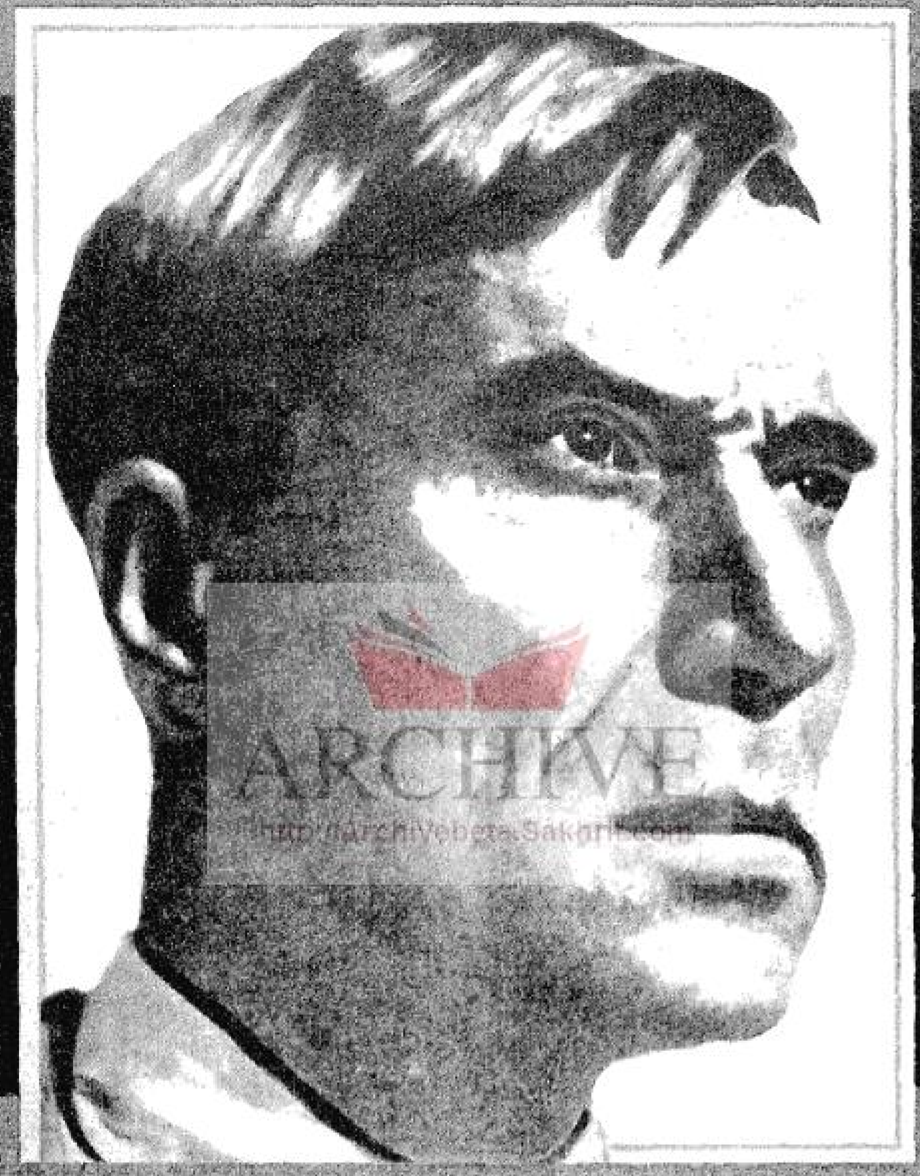
كاتبة روائية عالمية ولدت في بلاد الصين من ابوين امريكيين ، وقضت عهد طفولتها واوائل شبابها في البلاد الصينية ، وكانت تتلقى علومها في مدرسة امريكية صباحا ، وعلى يد استاذ صيني مساء . ولهذا تعد هذه الكاتبة ، خير من يكتب عن الصين والصينيين ، وقد وضعت الكثير من قصصها عنهم ، فانصفهم كل الانصاف





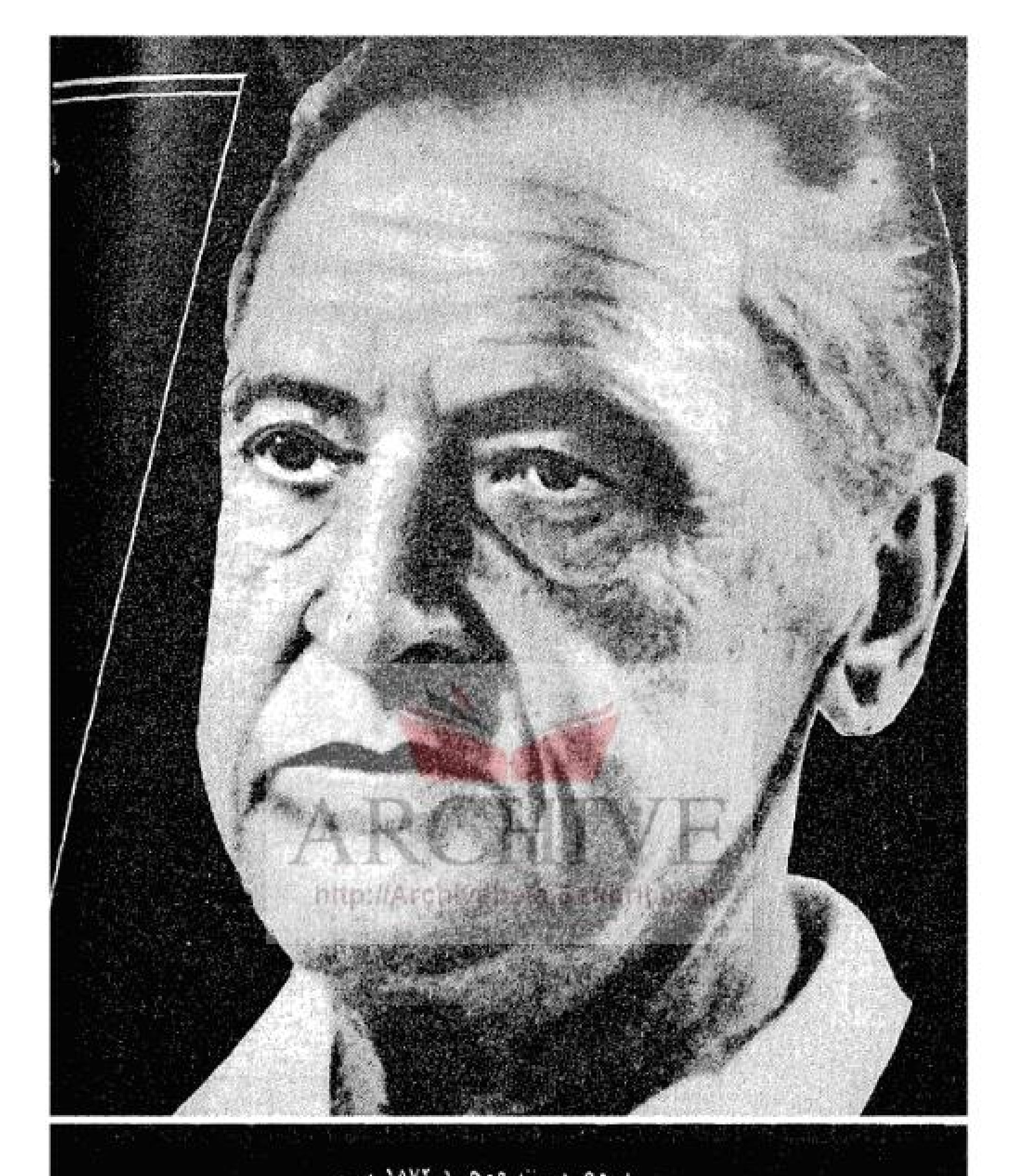
ارنست همنجواى (١٨٩٨ م –)

كاتب أمريكى من مواليد مدينة شيكاغو ، لم يتلق دراســـة تامة ، بدأ كفاحه وهو فى الخامسة عشرة ، واشتغل فى كثير من المهن البسيطة. واخيرا اشتغل بالصحافة واشترك فى كل الحروب ، وكانت اول رواية اصدرها هى « وداع السلاح » عام ١٩٢٩ وكان من نتيجة مخاطراته ومغامراته ان اصبحت له ركبة صناعية ، وسقف حلق صناعى ، وكاد يقضى على حياته اكثر من مرة وقد منح جائزة نوبل على روايته « الشيخ والبحر » ...



باسترناك

شاعر وروائي روسي ، منح جائزة نوبل هذا العام بمناسبة روايتـه الدكتور زيفاجو . وقد قامت ضجة صاخبة ، حول منحه هـذه الجائزة ، فقد أبدت حكومة بلاده سخطها وعدم رضائها ، فاضطر أن يرفض الجائزة . وقد نقلت الرواية الى أغلب اللغات الحية

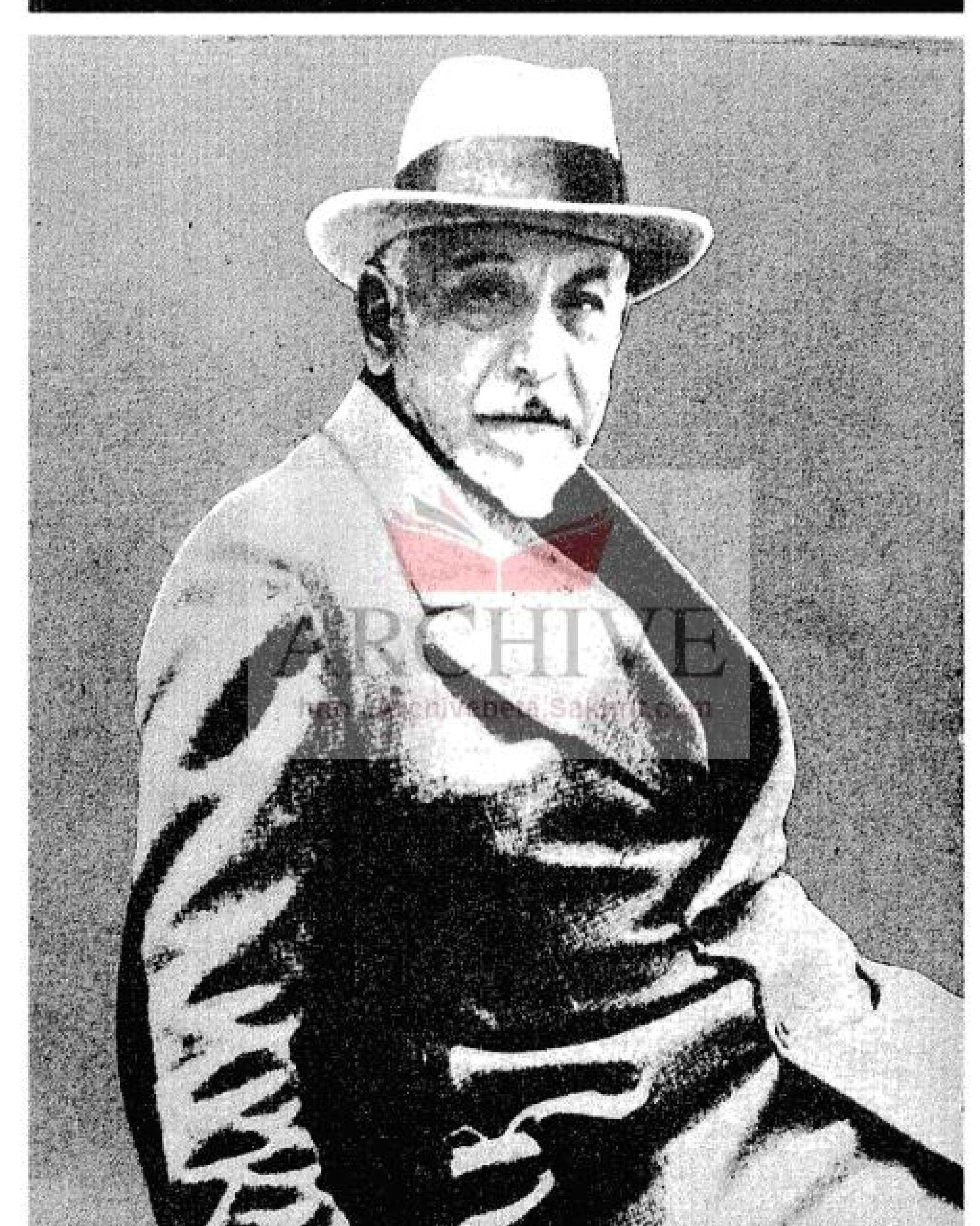


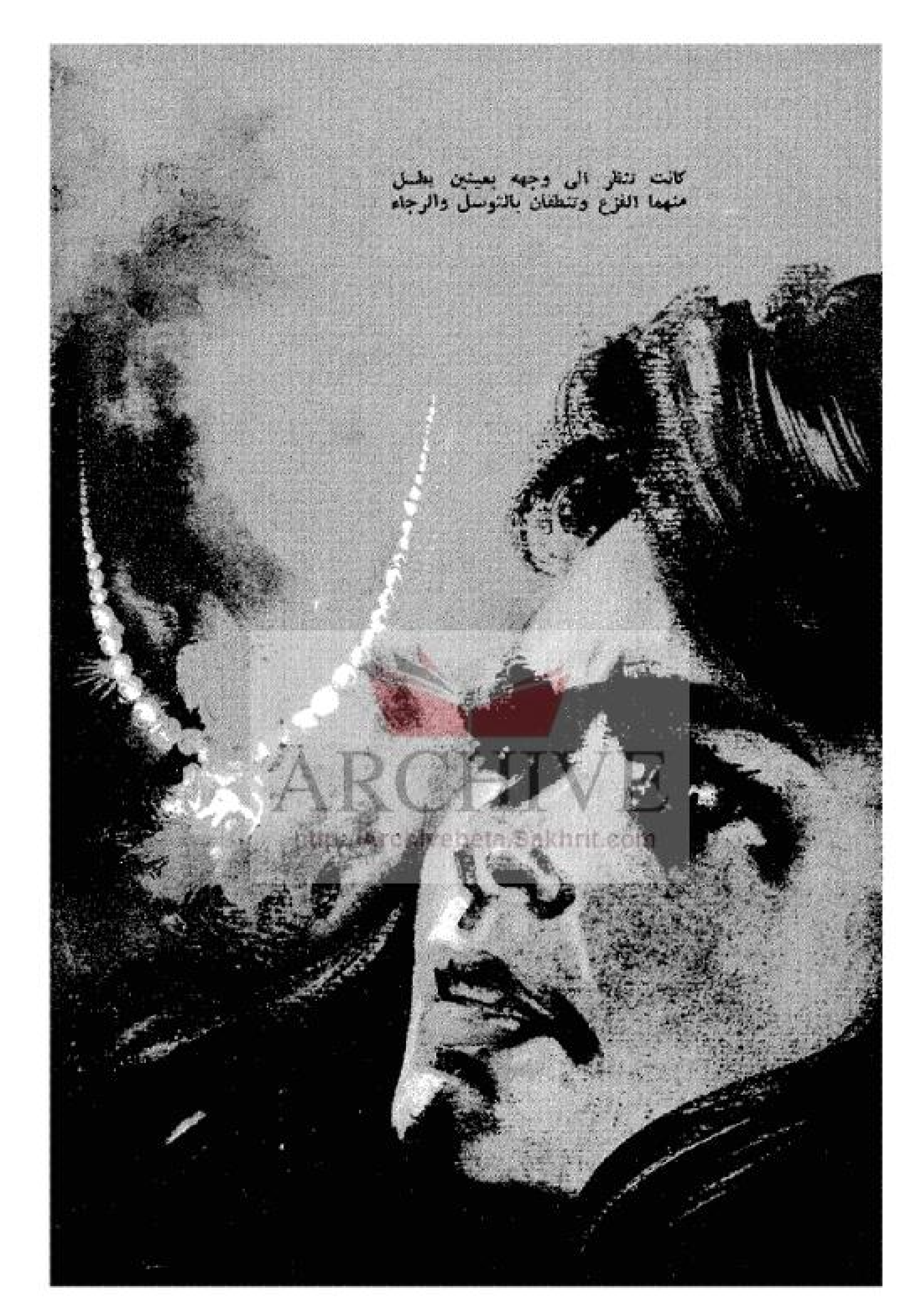
سومرست موم (١٨٧٢ م -)

أشهر روائي هذا العصر . ولد في انجلترا ، وقد درس الطب ولكنه لم يشتغل بمهنته الا فترة قصيرة . ودرس القانون ولكنه لم يشتغل بالمحاماه ، بل تابع نزعته الى الأدب والأدب الروائي بنوع خاص . وفي حياته كفاح مرير يبين أن من يتربع على عرش التأليف الروائي اليوم قد أصاب سلسلة طويلة من الفشل والاخفاق وقد ناهز الخامسة والثلاثين من عمره

لويجي براندللو (١٨٦٧ م – ١٩٣٦ م)

ولد في جزيرة صقلية، واشتغل بالتدريس، ثم هجر التعليم الى ميدان الأدب، واستقر في روما، وبدأ كفاحه، وفي عام ١٩٢٠ برز اسمه واشتهر كأديب وكاتب قصصي ومسرحي، وفي عام ١٩٣٤ فاز بجائزة نوبل في الأدب، ولكنه قضى نحبه عام ١٩٣٦ بالسكتة القلبية. وبراندللو من أبرز تلاميذ فرويد لدقة تحليلاته لشخصيات رواياته ومسرحياته. وكذلك يعد انه برناردشو ايطاليا لسخريته اللاذعة المرة التي تبدو في كتاباته





كانت تنظر الى وجهه بعينين يطل
منهما الفزع وتنطقان بالتوسل والرجاء

رجل يعرف كل شيء

« قد يسهل على المرء أن يدعى العلم بكل شيء
ولكن ليس من السهل عليه أن يدعى الجهل »

للقصصي الانجليزي

سومرست موم

لست ادرى كيف حدث هذا على وجه التحديد ، ولكنه كان مقدرا لى ان امقت هذا الذى يدعى « ماكس كلادا » قبل ان اعرفه ! وكانت الحرب قد وضعت اوزارها ، وقد اضطربت حركة السفر بالسفن عابرات المحيط اضطرابا شديدا ، حتى انه لم يكن يسع المسافر الا ان يقبل اى مكان يخصص له ، ولو كان مكانا ضيقا على ظهر الباخرة !

لهذا شكرت الظروف التى مكنتنى من الوصول الى « كابين » ذى سريرين ولما قيل لى ان اسم زميلى فى « الكابين » هو « ماكس كلادا » اخذ قلبى يدق بسرعة ! اذ قضيت اربعة عشر يوما فى البحر بين « سان فرانسيسكو » و « يوكوهاما » وانا فى صحبة زميل واحد طوال الوقت ، خاصة وانه يدعى « ماكس كلادا » ؟! . لاشك أننى كنت أكون أقل امتعاضا وتبرما لو كان لرفيقى هذا اسم طريف « كسميث أو برآين » مثلا !

◻

وما كدت أصل الى السفينة حتى تبين لى أن أمتعة « مستر كلادا » قد سبقتنى الى « الكابين » ، وقد كرهت لاول وهلة شكل امتعته ، وتلك الحقائب الضخمة التى كانت تعلوها بطاقات كثيرة تحمل أسماء اكبر فنادق العالم ، وكان الرجل قد أخرج منها كل أدوات الزينة ، ورصها منسقة على الرف الزجاجى الذى يعلو حوض الغسيل ، فتركت حقائبى بالكابين ، ثم قصدت الى غرفة التدخين بالباخرة ، وطلبت الى الغلام أن يحضر الى بعض أوراق اللعب ، فلما جاءنى بها اخذت أقتل الوقت بلعبة « الصبر » . ولم تكد تنقضى لحظة حتى اقترب منى رجل نادانى باسمى ، ثم خاطبنى قائلا وعلى شفتيه ابتسامة لا تحمل اى معنى :

ـ انا ادعى « كلادا » .. « ماكس كلادا »

وقبل أن انطق بكلمة واحدة ، كان قد استقر فى المقعد المقابل ! فقلت له فى غير اهتمام :

ـ اظن اننا شريكان فى « كابين » واحد ؟

ـ هو ذاك . الواقع ان المرء لا يستطيع أن يعرف فى هذه الايام من ذا الذى سيكون رفيقه فى السفر، غير اننى سررت كثيرا عندما عرفت انك انجليزى ، فمن الخير لنا نحن الانجليز أن نعيش متلازمين ، حينما نكون على سفر خارج بلادنا

ـ وهل انت انجليزى ؟

ـ أحسب انك تظننى امريكيا . اليس كذلك ؟ اؤكد لك اننى انجليزى من قمة راسى الى اخمص قدمى !

ولكى يثبت لى « مستر كلادا » شخصيته الانجليزية ، اخرج جواز سفره من جيبه بحركة سريعة ، وقربه كثيرا من عينى حتى كاد يلامس طرف انفى . وكان الرجل قصير القامة ، أسود الشعر ، تعلو وجهه سمرة خفيفة . وكان يتكلم الانجليزية بطلاقة وباسلوب سليم ، ولباقة جمة متكلفة .. كان كل هذا يؤكد لى انى لو فحصت هذا الجواز الذى كان يقدمه الى بعناية لادركت انه قد ولد بأرض سماؤها صافية ، تبعد كثيرا عن انجلترا ذاتها . ومرت لحظة من الصمت بددها الرجل بقوله :

ـ ماذا تشرب ؟

فنظرت اليه وقد تملكتنى دهشة بالغة ، فقد كانت الاوامر بمنع تقديم الخمر فى السفن الامريكية لا تزال قائمة ، وكانت كل الدلائل تدل على ان السفينة لا تحمل اى نوع من الخمور ... غير أن مستر «كلادا» لم ينتظر حتى أجيب ، وانما أضاف قائلا على الفور :

ـ « ويسكى » بالصودا ؟ .. أم مارتينى ؟ ما عليك الا ان تذكر الاسم فحسب

واخرج زجاجة صغيرة من كل جيب من جيوبه ، ثم نادى الساقى ، وطلب اليه أن يحضر كاسين وبعض الثلج ، ثم قال لى بلهجة الواثق المطمئن :

ـ لا تهتم بالشراب ، فلدى منه الكثير ، وان كان لك أصدقاء فى هذه السفينة فابلغهم ان رفيقك فى السفر لديه كافة أنواع الخمور المعروفة فى العالم

□

والحق أن زميلى كان ثرثارا ، فقد تحدث عن « نيويورك » و « سان فرانسيسكو » ، كما تحدث عن أفلام السينما ونقد المسرحيات ، ثم أفاض فى كلامه عن السياسة وعن الحرب ، وكنت قد أزحت ورق اللعب جانبا

عندما جلس الرجل امامى ، غير أنه لما بدا حديثه الذى لا يكاد ينتهى ، وجدت نفسي اعود بحركة آلية الى اوراقى انسقها من جديد . ومرت لحظات وانا على هذه الحال ، وفجأة ، سمعت مستر « كلادا » يقول :

ـ كلا ، كلا . الافضل ان تضع الثلاثة فوق الاربعة !

والواقع أنه ليس ثمة ماهواكثر ازعاجا للمرء من أن يحدثه انسان بما يجب عليه ان يفعل وهو يلعب لعبة « الصبر » . ولهذا ، فقـــد نحيت اوراق اللعب مرة أخرى ، وفى عزمى الا اعود اليها الا بعد انصراف هـــذا الزميل الفضولى الثرثار . ولكن ، لشد ما ادهشنى انه امسك بالورق وهو يقول :

ـ اتحب ان ترى بعض ألعاب الورق السحرية ؟

فاجبته قائلا وقد تملكنى الغيظ :

ـ كلا ، فانا اكرهها !

ـ بل سأريك واحدة منهـــا ، ولاشك فى أنها ستعجبك

وسرعان ماقرن القول بالعمل ، فأرانى ثلاثا منها فى سرعة البرق ! ولما قلت له انى ذاهب الى غـرفة الطعام لأنتقى مقعدا مناسبا لى ، صاح قائلا فى حماس ظاهر :

ـ لا داعى لان تتعب نفسك فقد اخترت لك بنفسى مقعداً ، وبما اننا نقيم فى «كابين» واحد، فمن الطبيعى اذن أن نجلس معا الى مائدةواحدة

وكرهت مستر « كلادا » أكثر من ذى قبـــل . ذلك انى لم اكن اشاركه « كابينا » واحدا او أتناول طعامى الى جانبه ثلاث مرات فحسب بل الواقع أنى كنت لا استطيع ان أجول على ظهر الباخرة دون أن يكون ملازما لى ، الى حـد انى اقتنعت اخيرا بأن الافلات منه امر محـــال ؛ وكان أكثر من ذلك استحالة أن تقنعه بانه شخص غير مرغوب فيه . . فقد كان يثق أتم الوثوق من انك تسر لرؤيته ، تماما كما يسر هو لرؤيتك ، ولو انه زارك فى بيتك فأغلقت الباب من دونه وقذفت به الى اسفل السلم لما خطر بباله قط مع ذلك انه زائر ثقيل غير مرغوب فيه !

وكان « ماكس كلادا » يتعـرف الى الناس فى سهولة بالغة ، فـلم تكد تنقضى ثلاثة ايام على رحيـل السفينة ، حتى كان قد عرف كل من فيها ، وكان يشرف على سباق الخيل الخشبية ، ويسحب اوراق « اليانصيب » ، ويجمع النقـــود للجوائز المالية ، وينظم حفـــلات الرقص التنكرية ، وينسق البرامج لفرقة موسيقا السفينة . كان فى كل مكان ، وكان يقوم بكل عمل ، وكان الى جانب هذا أول المكروهين فى هذا العـالم الصغير الذى تعتبر السـفينة حدوده

وقد اطلقنا نحن المسافرين على

مستر كلادا اسم « الرجل الذى يعرف كل شيء » وصرنا نناديه بهذا الاسم ، فلم يكن يغضب لذلك ، بل انه كان يجد فيه نوعا من الاطراء لشخصه ، والثناء عليه ! وكان الرجل اثقل مايكون ظلا فى أوقات تناول الطعام ، اذ كنا جميعا تحت رحمته فى هذا الوقت بالذات ، فهو يناقش كل انسان ، ويتحدث فى كل موضوع ، ويعرف مالا يعرفه سواه ، ولايدع شيئا مهما كان تافها صغيرا الا وجادل فيه ، ثم لا يكف عن الجدل بعد ذلك الا بعد أن ترى نفسك مضطرا الى التسليم بما يقول !

كان يجلس معنا الى المائدة ، التى كان يتصدرها طبيب السفينة بصفة دائمة ، رجل شبيه بمستر «كلادا» فى كثرة الجدل اسمه « رمزاى » ، وهو أمريكى ضخم الجسم ، يعمل فى السلك السياسى ، قنصلا لبلاده فى « كوبا » ، وقد عرفنا أنه كان عائدا الى مقر عمله ، بعد عطلة قصيرة قضاها فى نيويورك ، ليحضر زوجته التى كانت قد قضت بها أكثر من عام فى زيارة لاسرتها

وكانت زوجة مستر « رمزاى » سيدة جميلة صغيرة الجسم ، على قدر كبير من روح المرح والدعابة ، وتلبس دائما ثيابا بسيطة ، فالخدمة فى السلك القنصلى لا توفر للقائم بها عادة أجرا كبيرا ، ومع ذلك ، فقد كانت لهذه السيدة على بساطة ملبسها صورة تستوقف النظر ، لا أعرف كيف اعبر عنها بالكلمات ، فهى لا تتميز عن اية امراة اخرى متوسطة الجمال ، وقد تمر بعشرات مثلها فى كل وقت فى طريقك ، غير انها كانت مع ذلك تشع بهاء وفتنة، كوردة ساحرة فى معطفها القاتم اللون

□

وذات يوم ، وكنا جلوسا الى مائدة الغداء كالعادة ، تطرق الحديث مصادفة الى موضوع الحلى والجواهر وكانت الصحف قد نشرت مقالا طويلا عن صناعة الجواهر الزائفة فى اليابان ، وعن اتقان اليابانيين لهذه الصناعة . وقد عقب طبيب السفينة على هذا الحديث بقوله ان صناعة الجواهر الزائفة ، قد اصابت من النجاح ماهو خليق بان يقلل من قيمة الجواهر الحقيقية . فاندفع مستر « كلادا » عندئذ يجادل ويناقش على عادته ، وما كنت اظن أن مستر « رمزاى » القنصل يمكن ان يكون هو الآخر خبيرا بشئون الجواهر الصحيحة والزائفة، غير انه لم يستطع ان يقاوم عادته فتدخل بدوره فى المناقشة بحماس ظاهر . وهكذا احتدمت بين الرجلين معركة كلامية حامية

الوطيس . ولعل القنصل قد قال شيئا ضاق به صدر مستر «كلادا» لان هذا الاخير ضرب المائدة بقبضة يده ليؤكد كلامه ، وهو يقول بصوت عال :

ــ انى اعرف ما اقول ، وانا فى طريقى الى اليابان خصيصا لبحث صناعة الجواهر الزائفة ، ولا يوجد فى العالم كله من يعرف هذا الموضوع مثلى ، أو يقول لكم ان «ماكس كلادا» ليس حجة فيه . انى اعرف ايها الاصدقاء تاريخ كل جوهرة ثمينة فى العالم

وكان هذا الحديث جديدا بالنسبة الينا عن حقيقة عمل « الرجل الذى يعرف كل شيء » ، اذ لم يسبق له ان ذكر لنا اى شيء من عمله ، وان كنا قد عرفنا أنه ذاهب الى اليابان فى مهمة تجارية

ودار « كلادا » بعينيه يتفحص وجوه الحاضرين ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة ، ومضت لحظة صمت ثم أضاف يقول :

ــ يتحدث السيد «الدكتور» عن ان صناعة الجواهر الزائفة سوف تؤثر فى قيمة الجواهر الحقيقية، ولكنى أستطيع ان اؤكد لكم العكس ..

وصمت لحظة قصيرة كأنما يريد أن يتبين وقع كلامه فى نفوس الحاضرين ، ثم استطرد يقول :

ــ واؤكد لك يامسز «رمزاى» ان هذه الجواهر التى فى عنقك لن تفقد مليما واحدا من الثمن الذى دفعته فيها

وما ان سمعت « مسز رمزاى » عبارته الاخيرة حتى انتفضت انتفاضة مفاجئة ، ثم سرعان ما تمالكت نفسها وأمسكت بالسلسلة فى بساطة ووضعتها فى صدرها تحت الثوب فى أمان ، وكأنها تشعر بقلق شديد من ناحيتها ! !

ومال مستر « رمزاى » قليلا الى الامام بعد ان اغمض احدى عينيه ، وغمز لنا بطريقة ذات مغزى خاص :

ــ ان هذه السلسلة التى تلبسها زوجتى جميلة ولاشك يا مستر « كلادا »

ــ نعم . وقد عرفتها من أول نظرة ، فهى من أحسن انواع الماس

فهز مستر « رمزاى » كتفيه العريضتين وهو يقول :

ــ الواقع أنى لم أدفع فيها شيئا. ويهمنى أن أعرف ثمنها !

فظهرت أمارات الاهتمام على وجه مستر « كلادا » ، وقال بلهجة من يدلى بنبأ بالغ الخطر :

ــ أؤكد لك أن ثمنها لا يقل بحال من الاحوال عن خمسة عشر الف دولار ، وان كان من اشتراها قد

ابتاعها من « الشارع الخامس » ، فلا يدهشنى أن يكون الثمن قد ارتفع الى ثلاثين ألفا !

وارتسمت على شفتى القنصل ابتسامة ساخرة وهو يقول :

ـ قد تكون مفاجأة لك يامزيزى مستر « كلادا » أن تعلم أن زوجتى قد ابتاعت هذه الحلية من أحد المحال التجارية بثمانية عشر دولارا فقط يوم أن غادرنا «نيويورك» !!

فانتفض مستر « كلادا » فى مقعده كمن لدغه عقرب ، وصرخ قائلابصوت تفيض نبراته بالمعارضة والاحتجاج :

ـ كلا ، أبدا . هذا غير ممكن ، انك تسخر منى يامستر «رمزاى»!

ـ أتراهننى ؟ أتراهن بمائة دولار على أنها جواهر زائفة ؟

ـ نعم ، أراهنك !

وهنا تدخلت « مسز رمزاى » فى المناقشة التى قامت بين الرجلين، فقالت تخاطب زوجها فى صوت هادىء النبرات :

ـ ولكنك لن تراهن يا عزيزى على شىء تعرف أنت حقيقته من قبل ، والا ... فان مستر«كلادا» يكون مغبونا فى هذا الرهان !!

فصاح زوجها القنصل قائلا بصوت مرتفع :

ـ كيف تتاح لى فرصة سانحة للحصول على مائة دولار من أسهل طريق ، ثم أتركها تمر دون أن أغتنمها ؟ لاشك فى اننى لو فعلت ذلك لكنت غبيا أحمق !

ـ ولكن ، كيف يمكنك أن تثبت ما تقول ، وليس معى ما يدل على الثمن الذى دفعته ؟ أن المسألة كلها لا تعدو أن تكون مسألة أقوال فحسب !

لكن مستر « كلادا » ظل مصرا على الرهان ، وقال بعد لحظة ، فى صوت امتزج فى نبراته الحماس والاعتداد بالنفس :

ـ لست أريد أثباتا من أى نوع ، وكلّ ما أطلبه هو أن أفحص هذه الماسات ، وسوف أخبركم بسرعة عن حقيقة أمرها ، حتى لو خسرت الرهان ، فأنى رجل شريف

فأسرع مستر « رمزاى » يقول لزوجته :

ـ أنزعيها اذن من صدرك يا عزيزتى ، واتركيها لمستر «كلادا» ليفحصها كما يشاء

فترددت الزوجة لحظة قصيرة ، ثم أمسكت القفل الخلفى للسلسلة بأناملها الدقيقة .. ومضت لحظة قصيرة ، ثم أسقطت يديها الى جانبيها وهى تقول :

ـ لست مستطيعة أن افتح هذا القفل ، وآمل أن يكون مستر «كلادا» على ثقة مما اقول

وخطر لى فى تلك اللحظة ان مأساة توشك ان تقع ، واخذت ادعو الله فى سرى أن تتوقف المناقشة عند هذا الحد ، غير ان القنصل قفز من مقعده فجاة وهو يقول :

ـ لا بأس . استطيع انا ان افتحه بنفسى

وقرن القول بالعمل ، فمد يديه الى عنق زوجته وسرعان ما انتزع السلسلة الماسية التى تزينه ،وقدمها الى مستر « كلادا » الذى اخرج منظارا مكبرا ، واخذ يفحص الماسات فى صمت ، وفجاة ، بدت على وجهه علامات الانتصار ، وأعاد الحلية الى « مسز رمزاى » ، وقد بدا عليه انه يهم بأن يقول شيئا . . . ولكن نظره وقع على وجه الزوجة مصادفة فى تلك اللحظة ، فلاحظ انه قد صار أبيض كالثلج ، وبدا له كانها توشك أن تفقد الوعى ! . . كانت تنظر الى وجهه بعينين يطل منهما الفزع وتنطقان بالتوسل والرجاء ، وكانها تتوسل اليه الا يتكلم . والحق انى دهشت شخصيا لان زوجها نفسه لم يلحظ شيئا من هذا كله مع انه كان ظاهرا للعيان !

واطبق مستر « كلادا » فمه ولزم الصمت ، وبدا لى لحظتها انه يبذل جهدا كبيرا ليسيطر على اعصابه . وران الصمت على الحاضرين لحظة ، وأخيرا قال مستر « كلادا » :

ـ انى آسف فقد اخطأت ! اذ الواقع أنها ماسات زيفت بمهارة فائقة ، واعتقد ان ثمانية عشر دولارا تعتبر ثمنا مناسبا لا غبن فيه

ثم أخرج مستر « كلادا » من حافظة نقوده ورقة من فئة المائة دولار ، وقدمها الى مستر «رمزاى» معتذرا من الجدل الذى اثاره . ومضت لحظة صمت قصيرة قال بعدها القنصل وهو يدس ورقة النقد فى حافظة نقوده :

ـ اعتقد ياصديقى العزيز ان هذا الدرس يكفى ، فلا تجادل مرة أخرى فيما ليس لك به علم

وشعرت فى تلك اللحظة بأن مستر « كلادا » كان يعانى موقفا لا يحسد عليه ، اذ لاحظت أن يديه كانتا ترتعدان . غير أنه جاهد كى يتمالك زمام نفسه ولم يعقب بكلمة واحدة !

▭

وانتشرت القصة بسرعة البرق فى كل انحاء السفينة . وكانت اضحوكة طريفة حقا . أن الرجل الذى يعرف كل شىء قد اخطاه التوفيق فى امر

يزعم انه حجة فيه . ومن الغريب أن « مسز رمزاى » قد لزمت « كابينها » عقب هذا الحادث فلم تبرحها طوال المساء ، بل انهما لم تشاهد وقت العشاء فى غرفة الطعام ولم تحضر السهرة التى أعقبته بحجة انها مصابة بصداع شديد ! !

▭

واستيقظت مبكرا فى صباح اليوم التالى ، ووقفت أحلق لحيتى أمام المرآة . وكان مستر « كلادا » لا يزال مستلقيا فى فراشه يدخن سجائره ، وفجأة ، رأيت خطابا صغير الحجم يدفع من تحت الباب ، وينزلق على أرضية « الكابين » ، فأسرعت نحو الباب والتقطت الخطاب ، فقرأت على غلافه هذه الكلمات مكتوبة بأحرف كبيرة : « الى مستر ماكس كلادا » . وفتحت الباب بسرعة لاعرف من يكون مرسل الخطاب ، أو حامله على الاقل ، غير انى وجدت أن الممر الضيق كان خاليا تماما !

وناولت الخطاب الى « مستر كلادا » ، وكان لا يزال مستلقيا فى الفراش . ومرت لحظة قصيرة احسست بعدها بانه يمزق قطعة من الورق ، وعندما أدرت وجهى نحوه ، مد يده الى بقطع صغيرة ممزقة من الورق وهو يقول :

ــ هلا قذفت بهذه القصاصات من الكوة الى البحر الواسع ؟

ولما أجبته الى طلبه واستدرت نحوه ثانية ، طالعتنى ابتسامة ساخرة كانت قد ارتسمت على شفتيه ، ومرت لحظة صمت قصيرة قبل أن يقول :

ــ ليس من السهل على المرء أن يدعى الجهل !

فقلت له فى لهجة شاع فى نبراتها مزيد من اللهفة والفضول :

ــ وهل كانت الماسات حقيقية ؟

ولم يجب الرجل الذى يعرف كل شىء عن سؤالى مباشرة ، وانما نظر فى عينى طويلا ثم قال :

ــ لو كانت لى زوجة صغيرة جميلة لما تركتها تقضى فى «نيويورك» عاما باكمله بينما أكون أنا فى «كوبا» ! اذ لاشك فى أنها ستكون عندئذ معرضة لاغراء الهدايا الغالية الثمن !

وشعرت فى تلك اللحظة شعورا واضحا باننى أصبحت لا أكره مستر « كلادا » ، الذى كان مشغولا باعادة ورقة نقد من فئة المائة دولار الى حافظة نقوده ! !



« كلهم ذلك المسكين، فما عاد يبيع النساء على نبيع ، انهم مهما تعددت الانواع — جياع .. اجل جياع ! »

المرأة والتابع المجهول

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي

ما أحلى هذه الاسراب من الصبايا الاتراب ، حين يقبلن في المساء في كامل اثوابهن الانيقة المهفهفة، وقد توجت هاماتهن الصغيرة شرائط الحرير في شعورهن المصففه ، وهن يحملن الصبا والطهر مثل باقات الزهر ، يزدان بها شاطىء البحر الذى انتثرن عليه فى هذه الساعة الحالمة من الاصيل ، قبل مقدم اهلهن للسمر فى المقاصير هربا من ليل المصايف الطويل

فى هذا المساء ، كان بين الاسراب المتلاحقة المتقاطعة فى جيئة وذهاب على الشاطىء الرملى ، قبيل اختفاء

الشمس فى الافق الغربى ، رهط من ثلاث غانيات ، اثنتان منهن اخطاهما الزواج وكانت احداهما تكبر الاخرى ، والثالثة – وهى جارتنا – ارملة شابة ، وكنت قد علمت كل ذلك من حديثهن فى الامسيات الماضية . وكانت معهن امراة ليست بالخادمة تماما، ولكنها اشبه بالتوابع الوصيفات ، وقد تناولت المفتاح من الارملة ، وهرولت فى شىء من التكسر والخلاعة ، لتفتح للغانيات باب المقصورة التى يقصدن اليها ، وكانت هى الملاصقة للمقصورة التى اغشاها ، واكاد اكون قعيدها سحابة النهار ومعظم سواد الليل

وسرعان ما هيأت الوصيفة مجلسهن فى شرفة المقصورة ، وقد اخذن فى الحديث ، ولكن حديثهن كان فاترا متقطعا وكانه غير ذى موضوع . وكانت الشمس قد جنحت للغروب وغاص قرصها فى الماء ، تاركة فى مكانها سحابة مضطربة حمراء ، تسكب على الافق الغربى اضواء مشعشعة خافتة تخشع لها النفس خشوعها فى موقف الوداع . وكان هذا هو الخشوع الذى استولى على الغانيات الثلاث من حيث لم يشعرن فقد ران عليهن الصمت ، وانصرفن للاستماع الى خرير البحر

ولم تكن هذه السكينة والحساسية العميقة لتروق الخادمة الوصيفة . فانتهزت ان مر امام المقصورة شاب طرير فى اثر فتاة غريرة ، وعلى مسافة منها كبيرة ، حتى زعمت بانه من الشباب الخلعاء لايبرح يتبع النساء صباح مساء

وعندها نشطت العانس الكبيرة ، والتفتت الى زميلاتها تقول :

– ليس فى تبيع (١) النساء خير يرتجى . والشاهد على صدق ذلك اننا مع تعرضهم لنا طوال الايام لاندين لهم حتى بوقعة غرام . ان الواحد منهم يحسب ان مجرد سيره وراءنا مسيرة شارع أو شارعين ، مدعاة لان نلقى بانفسنا فورا بين ذراعيه . بل ان الكثيرين منهم لايقصدون ذلك ولايسعون اليه

وهنا تدخلت العانس الصغيرة محتشدة ، وقالت كالمحتج فى عنف وشدة :

– ان كل مايهمهم فى الامر حين يتبعون ، فيما يبدو ، الواحدة منا لا يعدو ازعاجها وشغل بالها ، وترويع امنها وتوزيع عقلها واستطارة صوابها ، فهى لاتدرى وقتئذ ماذا عليها ان تفعل . اذا تركته يسير فى الشارع خلفها ويتبعها مثل ظلها ، ساء ظن الناس بها ، وشاعت لها سمعة فاضحة تسىء الى مستقبلها وتقضى على املها فى زواج صالح . واذا هى أدارت رأسها والتفتت الى تبيعها لتزجره وتطلب ذهابه عنها ،

(١) التبيع : هو العاشق الذى يقتفى اثر المراة

فقد يظن ذلك منها توسلا الى تقريب المسافة منه والدخول فى حديث معه

فليس أمامها اذن غير الفرار . ولكن، مايدريها اذا هى جرت ألا يسرع الخطى وراءها ، فيكون المنظر عجبا! أو تستقل اذن مركبة ؟ او تعتصم فى متجر من المتاجر ؟ انها حائرة فى امرها ، مترددة ، تارة تجد فى السير، وتارة تتوقف . هذا كل ماتجنيه من هذا التتبع التذلل السخيف

وتنضم الى حديثهما الارملة ، فتقول فى لهجتها الماجنة المتهكمة ،

ـ ان شرهم اجمعين ، هم هؤلاء المفاتين المجانين الذين تحسهم المراة يتبعونها محدقين فى شعرها وقفاها وظهرها .. وما تحت ظهرها . لقد بلوت من هذا الكثير . فقد كان الواحد منهم كالمنوم المغناطيسى يحدجنى بهذه النظرات الشاخصة الثابتة يسلطهما على ظهرى وانا مدبرة ، وكانه واثق كل الثقة من تنويمى اثناء سيرى ، وتلك لعمرى المقدرة كل المقدرة !!

قالت هذا وأردفته بضحكة من ضحكاتها الغنجة المكركرة

واستانفت العانس الصغيرة وهى لا تزال محتدة :

ـ انهم لاتمر من أمامهم امراة حتى يتبعونها ، كأن خيطا غير منظور الحقهم على الفور بها ، وربطهم الى ذيلها

وعادت الارملة للقول كعادتها متهانفة ساخرة :

ـ ان أسخفهم اجمعين ، هو ذلك الفريق من الحالمين ، عشاق الخيال .

انهم يجرون وراء المراة كما يجرون وراء وهم من الاوهام . انهم شعراء الشارع ، تجدهم المراة كلما خرجت على قارعة الطريق . انهم يتبعون المراة ذات القوام الرشيق فى صمت وخطو رفيق ، خشية ان يجفل غزالهم النافر ، ويتلاشى حلمهم العابر ، واشفاقا على انفسهم ان تفيق . وبعد كل هذا المسير ، فانهم اذا بلغت المراة دارها ، لم يلقوا بالا الى رقمها ، بل يعودون ادراجهم يحملون فى قلوبهم خيالها ، ويضمون هذه الذكرى الى غيرها . لقد تبعوها وهم غير آملين ، فلا عجب من عودتهم غير آسفين . انهم يلغوا مابنشدون ، وهم لاينشدون الا الجرى وراء الاوهام والعيش فى الاحلام . ولكن ، ماذنبنا نحن ، اننا حقائق محسوسة ،ملموسة ،ولسنا طيفا من الاطياف او وهما من الاوهام

انني لا احب ان يحلم بي هؤلاء كاني من نسج الخيال ، ولا احب ان ينظروا الى نظرتهم الى التمثال . اني جسد ، مهما يكن حظه من الجمال ، فانه جسد . ولكن ، لماذا نطيل الحديث عنهم وهم لايستحقون أن ندرجهم فى عداد الرجال

وكانت العانس الصغيرة اثناء ذلك شاردة الفكر ، سارحة البصر فى الفضاء ، وقد طلعت نجوم

السماء قبيل حلكة الليل فى غبش المساء ، شاحبة خافتة الضوء كليلة.
ولكنها ماكاد ينقطع كلام الارملة ، حتى كانت هى المتكلمة ، وكان كلامها عن المجهول :

ـ الحق اننى ماعرفت قط التبيع الذى يتبعنى . انه فى أغلب الاحيان واحد من الحمقى . ولكننا مع ذلك لايمكن ان نجزم فى يقين ، ان ليس بين هؤلاء من يستحق الرثاء . ان الذى يتبعنا ـ سيان يقصر خلفنا سيره او يطول ـ هو دائما ، ذلك المجهول . المجهول الذى نهفو له ونتوجسه ، ومن الخير لنا أن تغم علينا جلية امره ، وأن نستأنى الاطلاع على مغيبه ومكنون سره ، حتى تفجأنا تلك الحقيقة ، فلا يكون لنا ثمة حيلة

وكانت الغانيات قد استغرقن فى حديثهن الذى كان ـ فيما يظهر ـ شديد المساس بهن ، فلم ينتبهن ، او على الاصح لم تنتبه الضيفتان العانستان الى ثلاث فتيات من الاسراب التى كانت فى جيئة وذهاب على الشاطىء ، ينفصلن عن اترابهن ، ويتسللن للشرفة قابعات فى ركن منها يستمعن الى مايدور فى الجلسة ، انهن بنات الارملة صاحبة المقصورة ، وكبراهن فى سن الزواج . وكانت الارملة قد أنجبتهن متتابعات فى نسق ، ولم يقدر لها ان ترزق معهن بولد . وكانت الام لاتكتم عنهن شيئا ولاتحجبهن عن أحد ، حتى لايأخذن المعرفة للحياة عما يقرانه فى الكتب والروايات ، بل من واقع الحياة نفسها وفى مدرستها . ومن ثمة لم تتحرج من طروقهن المقصورة فى هذه الساعة وشهودهن المجلس وسماعهن مايدور فيه من حديث عن تبيع النساء

واغلب الظن ان الفتيات الثلاث ، مع ما هن عليه من حداثة السن ، وعلى الرغم مما فاتهن من الحديث فى مبتداه ، قد ادركن بالاجمال مداره والمعنى بفحواه . ذلك ان الحديث ما بلغ الى هذه الغاية التى وقفت العانس عندها ، حتى تحركت الكبرى من بينهن فى مقبعها ، وكأنما لم يكفها من هذه الاحاديث سماعها: فأبت الا الاشتراك فيها ، لولا أشارة من الام أفحمتها

اذ ذاك ، اقبلت على الصبايا الصغيرات تلك العانس التى كانت آخذة فى الخطاب قبل المقاطعة ، وقالت لهن ، وهى تحاول استرضاءهن وايناسهن :

ـ أنتن ولا ريب ـ كسائر بنات اليوم ـ تحببن فى القصص والروايات ولا تلقين بالا الى غيرها . فاليكن هذه القصة ، فهى ـ كموضوع حديثنا ـ عن المراة والتابع المجهول والقصة مسلية ، وأحسبها مع المتعة لا تخلو من العبرة . ولا اظن هنالك مايدعو الى تعيين مكانها وزمانها ، فان النساء الحسان يجدن التبيع فى كل مكان وزمان

قالت صاحبة القصة :

«كنت فى طريق العودة الى منزلى البعيد ، واذا برجل يتبعنى . لااقول انى رايته ، ولكننى احسسته . فلما طال سيره خلفى ، نظرت بمؤخر عينى الى زجاج الحوانيت التى كنت امر بها ، وهى وان لم تكن كالمرايا الصقيلة ، الا انها عكست لى عنه صورة عامة مقبولة ، مع كونها غامضة كليلة . كان — كما يتراءى فى ظله المعكوس — طويل القامة ممشوقها ، فى حلة للصيف فضفاضة فاتحة اللون ، وفى قدميه حذاء لماع الجلد. وكنت قد قطعت شوطا من الطريق ، وما يزال امامى بقيته . ولكن هذه البقية لم تكن كثيرة العمار ، ثم هى تكاد فى هذه الساعة تخلو من السابلة المارين . وكانت فى يدى لفيفة صغيرة من الكعك والحلوى ، فعزمت فى نفسى اذا هو اقترب منى وفتح فمه بكلمة تحية او غزل ، ان القى باللفيفة فى وجهه ، واجرى هاربة

وقد حدث ماكنت اتوجسه ، فقد اخذ يتقدم ، وتقصر المسافة بينه وبينى ، ويزيد اقترابه منى ، حتى لمحت فى زجاج احدى النوافذ بالطابق الارضى من احد المنازل خيالى وخياله معا ، وانا منكبة الى الامام من سرعة السير وذراعاى الى جنبى يجدفان ، وهو على مدى خطوة منى فى حلته الصيفية الفاتحة الانيقة الهندام

وداخلنى شىء من الخوف . وتساءلت : « ولماذا تبعنى دون النساء ، وثمة كثيرات غيرى ؟ أهو يعرفنى ؟ وبماذا تراه سيحدثنى ؟ أرجو على الاقل ان يكون مهذب القول »

وكنت قد اصبحت على مرآى من منزلى ، وان كانت تفصلنى عنه عشرات المنازل . والظاهر انه أحس الجديد فى الموقف ، وتنبه الى انها بداية النهاية . فاذا هو يدعونى بصوت فيه الحاح المتوسل : « سيدتى ، سيدتى ! » ، واقترب حتى مال على كتفى ، فلم اتمالك من اليأس ان شددت عزيمتى فجأة ، والتفت اليه محتدة : « دعنى لحالى واذهب ، يا ... » وجمدت الكلمة النابية على شفتى . ووقفت مبهوتة واجمة . لشد ماخدعنى زجاج الحوانيت ، وزجاج النوافذ فى الدور الارضية . كان الرجل حقيقة كما تراءى لى فى الزجاج ، يرتدى حلة أنيقة الهندام ، ولكنها كانت حلة قد ذهبت زهوتها واخلقت جدتها . وكان الحذاء من الجلد اللماع ، ولكنه كان متشققا من كل جانب وعند كل ثنية . وكان وجه الرجل مربدا مزرقا ينم عن سوء الحال

بقيت لحظة جامدة فى مكانى من البغتة والدهشة . فلم يمهلنى الرجل أن قال : «أسألك العفو ياسيدتى . انى جائع .. اقسم لك انى ماطعمت شيئا منذ ثلاثة ايام ، لا شىء ، لاشىء على الاطلاق ، لا شىء »

ولست أدرى لماذا صدقته ؟ اننا عادة نعتصم بسوء الظن من هذه العبارات التى اتقن تزييفها ادعياء

الفائة ، كما ان الذين تعودوا مثلنا طوال حياتهم رؤية الموائد حافلة بالطعام ، لايتصورون أن فى الدنيا أناسا لايجدون ما ياكلونه

وبقت لحظة اخرى لا أصدق ما اسمعه . ولكننى فجاة انتبهت الى نظرته ، هذه النظرة الساجية الحزينة المروعة التى نعهدها عند الكلاب الجياع ، هذه النظرة التى كانت تتذبذب وهى تتابع ذبذبة اللفيفة الصغيرة فى خيطها الوردى الذى يهتز فى يدى

واعاد الرجل ماقاله مرة بعد اخرى فى مسمعى : « انى جائع . انى جائع . واقسم انك اول شخص توجهت اليه بالخطاب . انا خجلان من السؤال ، ولكنى اجد سؤال النساء اقل مضضا عندى من سؤال الرجال . اعطنى ما ابلغ به ، اى شىء اسكت به سعار الجوع ، أى شىء ياسيدتى !

وكانت نظرته عالقة باللفيفة لا تفارقها . فجاشت نفسى بالدهشة والاشفاق والرحمة . ولم أدر الا وقد امتدت يدى اليه ، وناولته لفيفة الكعك والحلوى

وانكب الرجل على اللفيفة ، ومزق ورقها بكلتى يديه فى لهفة مرتجفة . وفى سرعة كانت فى غير هذه الظروف الملابسة تكون جد مضحكة ، اقبل الرجل يلتهم محتويات اللفيفة من شطائر وكعك وفطائر وفواكه مسكرة وحلوى الى آخر ماكان هناك . وقد بلغت به العجلة ان كان يلتهم الفاكهة المسكرة بأوراقها الملففة بها . وفى مثل طرفة البصر ، وقبل أن يرتد الى النظر ، كان قد أتى على محتويات اللفيفة جميعها

لقد نسى الرجل خجله ، ونسى نفسه ، ونسينى

وبقيت كأنى مسمرة فى مكانى ، بلا حراك ، ولا تفكير ، ولا شعور الا بحاجتى العظمى الى البكاء ، البكاء طويلا ، طويلا الى غير انتهاء

آه ، ياعاشقى المسكين !

ومنذ ذلك الحين ، وانا استشعر الخشية ، واشفق على نفسى من الندم، كلما أسرعت الخطى ، وتكلفت ماتعودناه من التزمت وعدم التلفت، ساعة أحس ورائى تلك الخطوات اللاحقة المثابرة ، خطوات تبيع النساء . فما ادرانى ان يكون هذا التابع كزميله الجائع ؟! »

وكانت الفتيات الصبايا ، القابعات فى ركن المقصورة ، يتابعن الحكاية فى تأثر بالغ ، فلما بلغت الحكاية ختامها الحزين ، أرسلت الارملة الشابة ضحكة عالية ساخرة الرنين، ثم أردفتها قائلة :

ــ « كلهم ذلك المسكين ! فما يمتاز تبيع للنساء على تبيع . انهم ـ مهما تعددت الانواع ـ جياع . . أجل ، جياع يلتمسون المتاع بغير استحقاق ، بلا عمل ، كما يلتمسه المتسول الشحاذ »

الرسالة المزيفة

بقلم الكاتبة البوليسية الشهيرة

أجاثا كريستى

« أقال لك أني احبه ، واني مخلصة له في حبي ؟ يا لغباء الرجال ! »

وفع المحامي نظارته الى عينيه واعتدل في جلسته وسعل سعالا خفيفا ، ثم قال في صوت هو مزيج من الجفاء ومن العطف معا :

ـ أجد لزاما على ان ابين في وضوح انك في احرج المواقف وادقها وانك في خطر يكاد يكون محققا . لهذا فاني أرجو منك رجاء ملحا ان تفضى الى في صراحة بقصتك مع تلك السيدة التي انت اليوم متهم بقتلها ، فقد استطيع من خلال القصة أن أجد لك مخرجا من هذا المأزق الحرج

وعاد مستر مايهيرن فسعل مرة أخرى ، وهو يرشق موكله بنظرات حداد نفاذة عسى أن يستشف الحقيقة من بعض حركاته ، ولم يتردد ليونارد فول فقال :

ـ اني أعرف هذا فقد ظللت تردده على مسمعي ، ولكنني في الواقع لا أزال غير مصدق انني متهم بالقتل القتل ؟ يا للسماء ! انك تحسب انني مذنب ، ولكنى أقسم لك اني لست مذنبا . واني لاعرف ان الظلام محيط بي ، واني غارق في ليل مدلهم ، ليس فيه بصيص . انني اشبه بانسان وقع في فخ أحكم نصبه ، واطبق عليه فلا يجد لنفسه مخرجا .. ولنبدأ في القصة التي تريدها مني . كنت ذات يوم في شارع اكسفورد ، ووقعت انظاري على سيدة عجوز تعبر الطريق وهي تحمل بعض اللفائف . وسقطت منها هذه اللفائف وهي في منتصف الشارع ، وحاولت ان تستردها ، ولكن سيارة أوتوبيس اقبلت فهرعت السيدة الى الافريز خوفا على حياتها فبادرت أنا من مكاني الى حيث

سقطت اللفائف ، وجمعتها ونظفتها مما علق بها من التراب ، وسلمتها اليها ، وشكرتنى على ما فعلته ·
وكان هذا أول لقاء ، ولم آكن اتوقع ان اراها مرة أخرى ، ولكنى التقيت بها فى حفلة عند أحد الاصدقاء ، فعرفتنى على الفور ، وطلبت من صاحب الحفلة ان يقدمنى اليها ، ومكثنا فترة طويلة نتبادل الحديث، ولما همت بمغادرة المكان الحت على ان أزورها ، فوعدتها بالزيارة ، ولم يكن فى نيتى ان أزورها حقا ،ولكنها

واظن انك ستسال زوجتي يا سيدي ! اليس كذلك ؟



طلبت مني تحديد يوم الزيارة ، فلم يسعني الا ان افعل ، وبعد ان خرجت علمت من بعض الحاضرين انها سيدة غنية شاذة الطباع ، وانها تعيش وحدها في دارها ، وليس معها أحد غير خادمة

– ولكن خبرني · لقد استمرت الصداقة بينكما الى يوم مماتها ،وكنت تتردد عليها كثيرا ، وأنت شاب في الثالثة والثلاثين من عمرك ، جميل المنظر مغرم بالرياضة ، ومحبوب بين أصدقائك ومعارفك ، وهي سيدة عجوز ، فما الذى ربطك بها مثل هذا الرباط الوثيق ؟

– انا مدرك ما تقول ، ولكني في الواقع لا أدري لذلك سببا · لقد اظهرت لي هذه السيدة عطفها وحنانها وأنا رجل من الطراز الذى لا يستطيع ان يقول « لا » · وصدقني أولا اذا قلت لك اني بعد زيارتي الثالثة أو الرابعة وجدت نفسي منساقا معها ، مدفوعا الى اعزازها · لقد ماتت امي وأنا صغير ، وماتت عمتي التى كفلتني وأنا في الخامسة عشرة من عمري ، ومن المحتمل ان يكون هذا الذى بدا منها هو الذى جذبني اليها بعد ان حرمت منه فترة طويلة من الزمن

– أنا مدرك ما تقول ، ولكن متي عهدت مس فرنس اليك بتدبير اعمالها ؟

– بعد الزيارة الرابعة ، فقد قالت لى أنها لا تفهم كثيرا في المسائل المالية ، وتحب أن اتولاها

– آه ، لاتنس أن خادمتها جانيت ما كنزى تقول أن سيدتها كانت قديرة في هذه الناحية ، وقد اكد مدير البنك ذلك عنها

– هذا ما قالته لي ، ان صدقا وان كذبا ، ولم يكن يسعنى الا أن اصدقها

ونظر اليه المحامى نظرة حادة ، ثم قال له بعد صمت :

– وتوليت ادارة أعمالها وأموالها · ولاتنس انك في موقف مالي سيء ، وأن ازماتك المالية قد تضطرك الى استغلال أموالها لفائدتك دون ان تشعر ، وفي هذه الحالة قد تنتفي عنك تهمة القتل ، لانك بقتلها ، تهدم موردك المالي

– أنا لا أفهم ما يمكن أن ينفي التهمة أو يثبتها ، ولكن الذى أعرفه أني قمت بعملي في شرف وذمة وأمانة

– حسنا ، ولكن ··· الست تدرك أن مس فرنش قد أوصت بكل أموالها لك

فهب ليونارد فول من مكانه ،وقد بدا عليه الاضطراب وقال :

– يا الهي ! ما هذا الذى تقوله ؟ اتركت لي أموالها ؟

– اتدعي انك لاتعرف امر هذه الوصية ، في حين ان الخادمة جانيت

قالت ان سيدتها أنبأتهـــا انهـــا شاورتك فى هذا الموضوع ، وانها ابلغتك عزمها ؟

ـ ان جانيت كاذبة بلا ريب . انها تحب سيدتها وكانت دائمـــا حولها كالكلب الحـارس . ولاريب أنها كانت تمقتنى لانها كانت تغار منى . سيقولون أننى حملتها على كتابة هذه الوصية ، ثم ذهبت فى تلك الليلة المشئومة فى وقت خلا المنزلمن كل انسان و ... يا الهى! انه أمر رهيب !

ـ انك مخطىء فى ذلك فلم يكن المنزل خاليا ، فقـــد كانت جانيت كما تذكر قد خرجت لتقضى الليلةعند بعض أقاربها ، ولكنهـــا عادت فى التاسعة والنصف لتأخذ شـــيئا نسيته ، فسمعت صوت سيدتهافى غرفة الاستقبال ، وصـــوت رجل يحادثها ، ولم تســتطع ان تتبين صوت الرجل ...

ـ اتقول فى التاسعة والنصف ، اذن فقد نجوت ! أتدرك ماذا وراء ذلك ؟ فى ذلك نجاتى ، فقد عدت الى منزلى فى تلك الليلة فى التاسعة والثلث ، وزوجتى تستطيع أن تشهد على صحة ذلك . لقـــد تركت مس فرنش بعد التاسعة بخمس دقائق ، ووصلت الى منزلى فى التاســـعة والثلث ، وكانت زوجتى هنـــاك تنتظرنى . شكرا لله ! وليبارك فى جانيت التى حددت هذا الوقت

ـ هل رآك أحد وانت تغادر منزل مس فرنش ، أو حين وصـــلت الى منزلك ؟

ـ أظن .. كلا ، لا أتــذكر انى التقيت باحد . واظن أنك ستسأل رومين ، زوجتى ؟

ـ طبعا ، هل أنت تحب زوجتك وهى تحبك ؟

ـ انى اهيم بحبها ، وهى مخلصة لى وتحبنى كل الحب

ـ وهل كانت مس فرنش تعلم انك متزوج ؟

ـ نعم

ـ ومع ذلك فانك لم تقدم زوجتك اليها ؟ اليس هذا غريبا ؟

ـ هذا .. صحيح . والواقع ان مس فرنش فهمت ـ من حيث لا أدري ـ ان علاقتى مع زوجتىليست طيبة ، فتركتها على هذا الظن . لم تكن مس فرنش تفكر فى الزواج منى ،فهناك اربعون عاما بين عمرينا، ولكنها تفكر فى أن تتخذنى ولدها . وهذا هو كل شىء فى قصتى معها

□

وفتح باب مسكن ليونارد فول ، وارشدته خادمة الى غرفة الصالون ، وما كاد المحامى يدير انظاره فيانحاء الغرفة حتى شعر بوقع اقدام وراءه، فدار على عقبيه ورأى قبالته امـــرأة تقول له :

ـ مستر مايهيرن ؟ انت محـامى زوجي ؟ تفضل بالجلوس

وادرك من لهجتها انها أجنبية وليست انجليزية ، فقال وهو يتوجس خيفة من هذه السيدة لسبب لايدريه :

ـ والآن يا سيدتى ، يجب ألا تنزعجى ..

ولكنه توقف عن اتمام جملته ، فقد كانت بادية الهدوء ، ولا أثر هناك للانزعاج . وقالت له رومين:

ـ يحسن بك أولا ياسيدى ان تقص على كل شىء ، انى اريد ان اقف على كل شىء .. حتى اسوأ مايمكن أن ينتظر . وقص عليهامستر مايهيرن حديثه مع زوجها حتى اذا أتم الحديث قالت :

ـ فهمت . انه يريد ان أقول انه حضر الى المنزل فى التاسعة والثلث . وهل شهادتى تلك تكون سببا فى اطلاق سراحه ؟ وهل هناك من يؤيد شهادتى ؟

ـ ليس هناك من يؤيد شهادتك ، وأحسب ان شهادتك تكفى ، ومن المرجح انهم يأخذون بها . انى أقدر موقفك ، وخاصة وانت تحبين زوجك ، وتخلصين له فى حبك ..

ـ اقال لك انى أحبه ، وانى مخلصة له فى حبى ؟ يا لغباءالرجال! يا لسخافتهم ! احبان تعلم ياسيدى انى امقته ، امقته من صميم قلبى ، اتمنى أن أراه مشنوقا . لنفرض أنى قلت لك أنه لم يحضر فى التاسعة والثلث بل حضرفى العاشرة والثلث، ولنفرض انى قلت لك انه كان منذ عرف أن هذه السيدة موسرة أعد العدة لقتلها ، وانه قتلها فعلا ، وانه جاء الى واعترف بجرمه ، وكانت آثار الدماء على ثيابه ؟ لنفرض انى قلت هذا فماذا يكون الحال ؟ ان هذا ما ساقوله فى المحكمة يا سيدى

ـ لن يسمح لك باعطاء شهادة ضد زوجك

ـ انه ليس زوجى . كنت ممثلة فى فينا ، وزوجى حى ولكنه فى مستشفى الامراض العقلية ، ولهذا لم نستطع أن نتزوج ، وانى لسعيدة بذلك ، بل انى سعيدة ان حياته اصبحت معلقة بخيط امسك أنا به. ولا تسالنى عن سبب كراهيتى له، ومقتى اياه ، فلن أخبرك بشىء البته

فوقف المحامى وقال :

ـ أحسب أن لافائدة من الاطالةفى الحديث معك

ـ خبرنى أولا . هل كنت عند حضورك تعتقد فى براءته ؟

ـ ولا ازال الى الآن اعتقد فى براءته

□

وحدد موعد محاكمةالمتهم ليونارد فول ، وكاد مستر مايهيرن يجن ، لان الادلة كلهاانطبقت حول عنقه وكله حتى أصبحت ادانته امرا مؤكدا لامفر منه . لقد كان عظيم الامل

في شهادة رومين ، ولكنها لاسباب لايعرفها وجدها تحمل للمتهم غلا كامنا رهيبا

وفي اليوم السابق للمحاكمة وردت اليه رسالة مكتوبة بلغة ركيكة من سيدة تقول له انها تملك الدليل على كذب تلك الاجنبية الملعونة في شهادتها التي أدلت بها الى البوليس والتي ستكررها في المحكمة ، وانها تستطيع ان تقدم له هذا الدليل مقابل مائتي جنيه اذا أراد انقاذ هذا الفتى المسكين . وذكرت له عنوانها

ولم يتردد المحامي في الذهاب الى العنوان المذكور في الرسالة ، وكان مسكنا ينم عن الفاقة ، ووجد فيه مقعدا جلس عليه ، بينما جلست المرأة قبالته تساومه . وكان في وجهها تشويها مخيفا تخفيه بنوع من المناديل الكبيرة وقالت له أن لديها رسالة كتبتها رومين ، وهي كافية للدلالة على ان كل أقوالها أكاذيب وافتراءات ، وتم الاتفاق على أن تأخذ عشرين جنيها ، فقدمت اليه الرسالة ، وهي مكتوبة بخط رومين ، وقد ذكرت له هذه المرأة المشوهة الوجه انها كانت على علاقة غرامية برجل ، فجاءت هذه الاجنبية الملعونة واختطفته منها ، ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل ان هذا الرجل صب على وجهها ماء النار فاحدث فيه هذا التشويه الذي يراه ، وانها منذ ذلك اليوم تتبع اخبارها يوما بعد يوم ، انه الرجل الذي تحبه رومين ، والذي من أجله أصبحت تمقت ليونارد فول المتهم المسكين

وعاد مستر مايهين الى داره ، وهو يرى بصيصا من الامل وسط هذه الظلمة الحالكة

وانعقدت المحكمة في اليوم التالي وتقدمت رومين بشهادتها . حتى اذا اتمت حديثها ، وبدا للعيان ان المتهم مقضي عليه بالموت ، وقف الدفاع وقال ان هذه الشاهدة كاذبة في أقوالها ، وانها في العاشرة والثلث ، وهو الوقت الذي ذكرت ان المتهم عاد فيه الى المنزل ، لم تكن بالمنزل بل كانت مع عشيقها في ملهى معين ، وانها ترمي من وراء هذه الشهادة الكاذبة ان تقضي عامدة على المتهم . وهمت الشاهدة بالاعتراض على هذه الاقوال ، فاخرج محامي الدفاع رسالة من جيبه وقال انه سيقرؤها على المحكمة :

« حبيبي ماكس ، لقد اسلمه القدر الى يدي . لقد قبض عليه بتهمة القتل .. نعم قتل امرأة عجوز . ويا للسخرية ! ليونارد الذي لا يستطيع ان يقتل ذبابة !! وشاء القدر اخيرا ان انتقم لنفسي منه . سأقول في المحكمة انه عاد وعلى ثيابه بقع من الدماء ، وانه اعترف لي بقتل هذه السيدة . وسأذكر كل الاكاذيب التي ستذهب به الى المشنقة . وسيعلم ان رومين هي التي ارسلته الى حتفه ، وبعد ذلك

٠٠ السعادة أيها الحبيب ٠٠السعادة أخيرا ،

وانهارت اعصاب الشاهدة ، واعترفت ان شهادتها كاذبة ، وانه فعلا عاد فى التاسعة والثلث ، ومن ثم انهارت القضية كلها ، واصدر المحلفون حكمهم بعدم ادانة المتهم ، واصدر القاضى حكمه بالبراءة

بيد ان انظار المحامى مايهين كانت قد التفتت الى حركة يد الشاهدة رومين وهى تلقى بشهادتها وايقن فىغموض انه رأىهذه الحركة العجيبة من امرأة اخرى غيرها . فمن تكون تلك المرأة ؟ وظل يفكر فى هذا الامر وهو يعجب ٠ وما كاد يحل المساء حتى ايقن ان هذهالحركة (اللازمة)قد رآها تصدر من يد المرأة المشوهة الوجه التى سلمته الرسالة

وهرع الى رومين ، وانفرد بها ، وذكر لها ما هجس فى ضميره ، فبسمت وقالت :

ــ اذن فقد خمنت ٠ نعم أنا كنت تلك المرأة . أما تشويه الوجه، فلاتنس انى ممثلة أجيد التنكر ، وكان الضوء فى تلك الغرفة ضعيفا لايمكنك من الفحص

ــ ولكن لماذا فعلت كل ذلك ؟ الم تكن شهادتك تكفى منذ البداية ؟

ــ كلا يا صاحبى . كان المحلفون سيقولون أنى القيت شهادتى بدافع الحب ، وانى ربما أكون قد كذبت من أجل انقاذ من احب . انى أعرف سيكولوجية الجمهور ولهذا أردتأن تنتزع الشهادة منى انتزاعا ، وان ارغم ارغاما على الادلاء بالشهادة التى تنقذه

ــ والرسالة ؟

ــ كان من السهل ان اكتبها واعدها

ــ وماكس ؟

ــ لا وجود له يا صاحبى

ــ لا ازال اعتقد انه كان فى الامكان انقاذه بالطريقة العادية

ــ لم يكن فىاستطاعتى انأجازف هذه المجازفة ٠ انك كنت موقنا من براءته ..

ــ وأنت ؟ انك كنت مثل مؤمنة ببراءته

ــ يا عزيزى المحامى . انك لاتدرى شيئا أبدا ٠ أننى كنت ٠٠ أعرف طوال الوقت انه القاتل ! !

صورة الغلاف

نشرنا على غلاف هذا العدد الخاص لوحة تمثل الكاتبالروائى يستوحى ابطال القصة ، للفنان الباكستانى ((باخش))

قصة الحب والحياة

بريشة كبار الفنانين

صدق الشاعر شيللر حين قال : « العالم يسير على قدمين ، الغذاء والحب ، فبالاول حياة للافراد ، وبالثاني حياة للهيئة الاجتماعية »

ولقد كان الحب منذ بدء الخليقة الى اليوم ، والى أن تفنى الدنيا ويفنى الكون ، هو قصة الحياة في عوالم الانسان والحيوان والنبات ، ومصدر الالهام ، وسبب عمران الكون

ولقد ظل الحب هو الانشودة الابدية التي يترنم بها الشعراء والادباء ، ويتغنى بها المطربون والمطربات ، ويعبر عنها الرسامون والمصورون بالوان شتى من اللوحات الفنية الرائعة • فكانت قصائد الغزل والنسيب هي أرق الشعر واحلاه ، والروايات الغرامية هي امتع الروايات وابهرها ، واغنيات الحب هي أعذب الاغنيات واشجاها وظلت لوحات الحب هي أروع اللوحات واجملها تعبيرا ، واشدها على النفوس وقعا وتأثيرا • ولقد خلق هؤلاء واولئك للحب ملاكا اسموه كيوبيد ، يقف للناس بالمرصاد ، فما ان يجتمع اثنان من الجنسين ، الذكر والانثى ، حتى يريش سهامه الى قلبيهما ، وينفذ السهم من الصدور ويصيب حبة القلب ، فلا يصميه ولكنه يشعل فيه نار الهوى ، ويؤجج فيه شعلة الحب والغرام

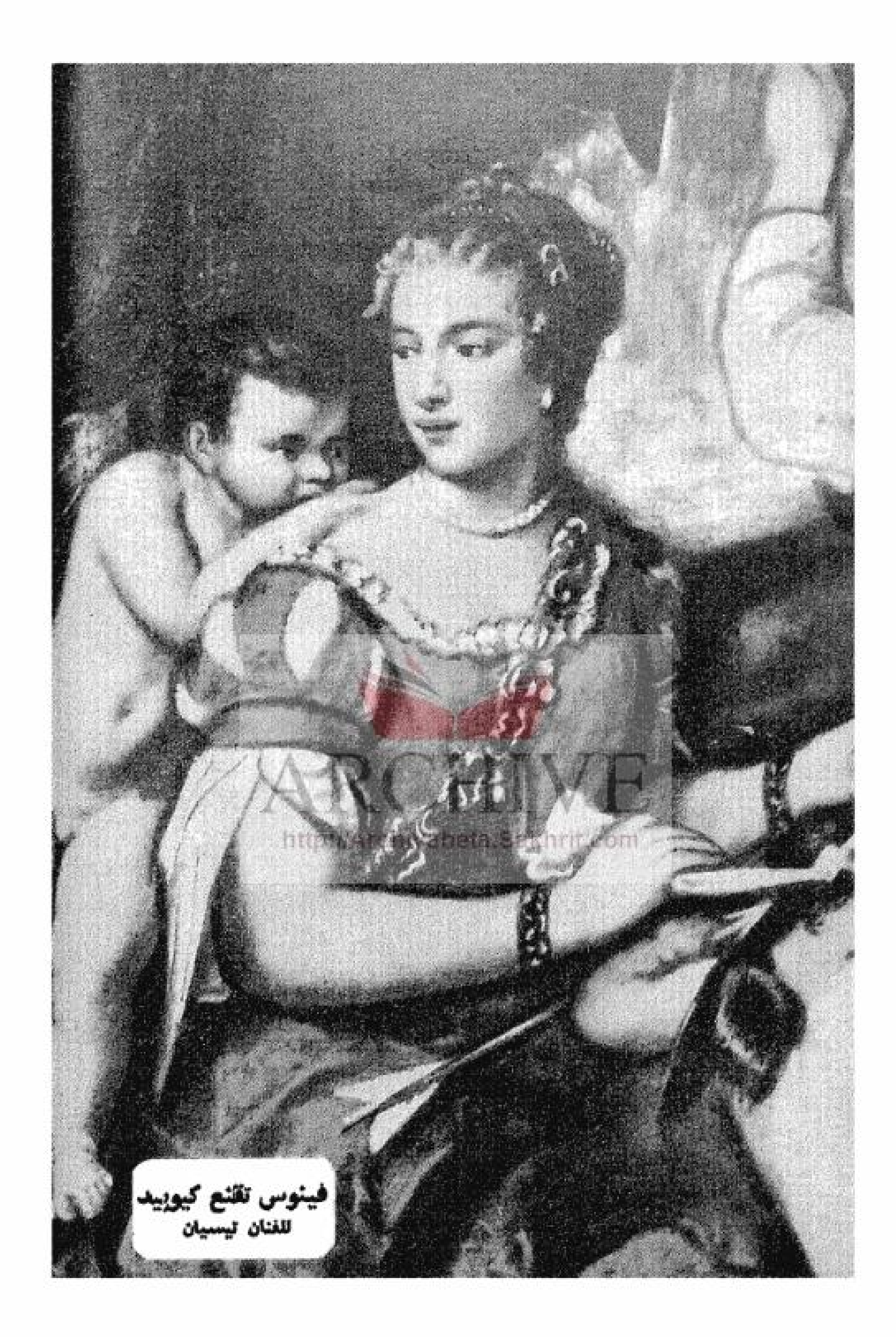
وما من رواية خلت من الحب ، حتى الروايات البوليسية ، فالحب هو مركز الدائرة في كل رواية ، لانه مركز الحياة ومصدرها وينبوعها

وقد عنى كبار الفنانين بتسجيل عواطف الحب في لوحات عديدة ، وفي صور متباينة ، تعبر عن آرائهم ونظراتهم في الحب ، وسطوته وقوته وغلبته على بني الانسان

انها قصة الحب بريشة كبار الفنانين ، رأينا ان ننشرها في هذا العدد ، اذ لا يكتمل عدد للقصص بدون هذه القصة الابدية •• قصة الحب

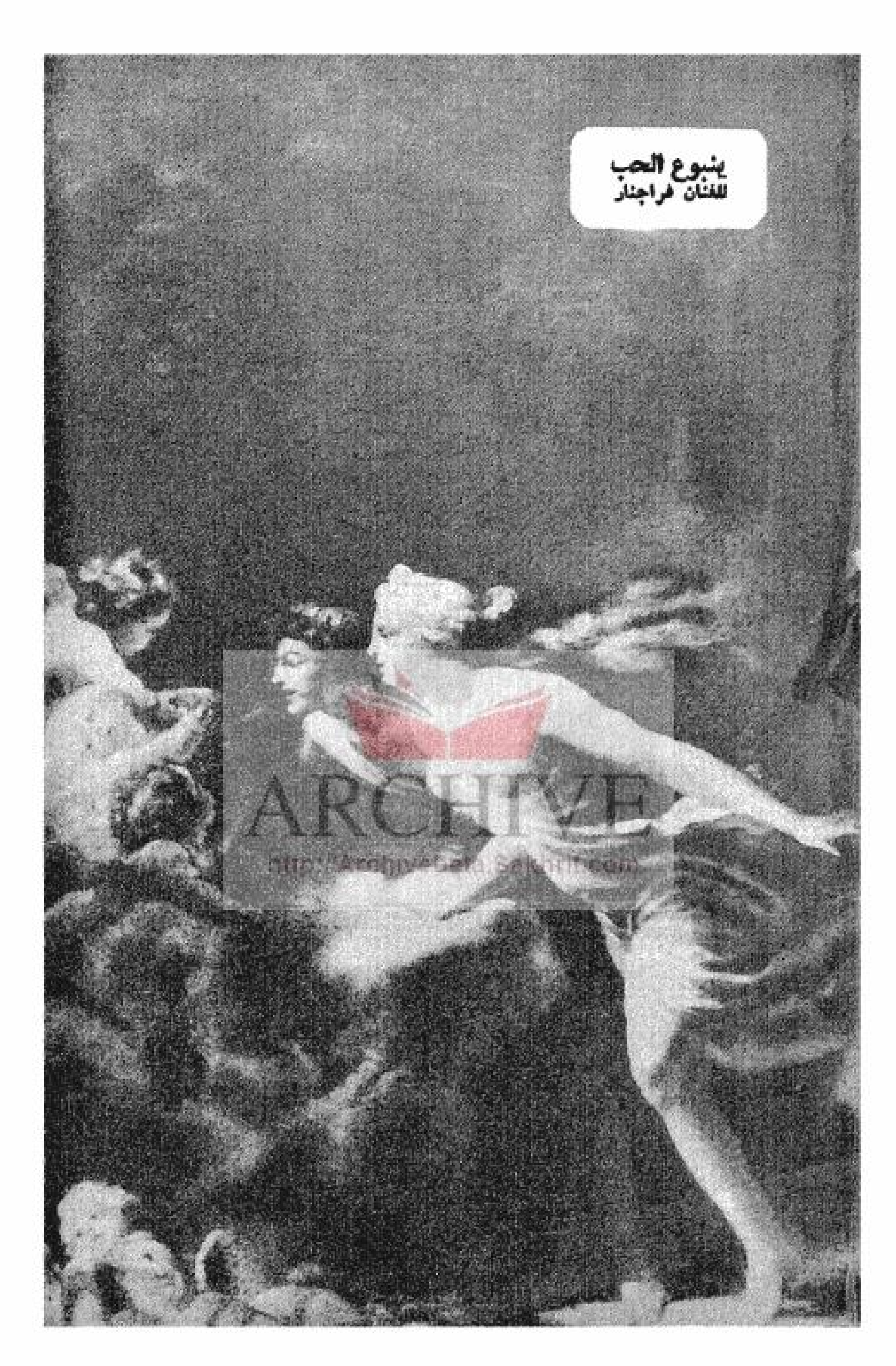


الحب والحياة
للفنان واتس

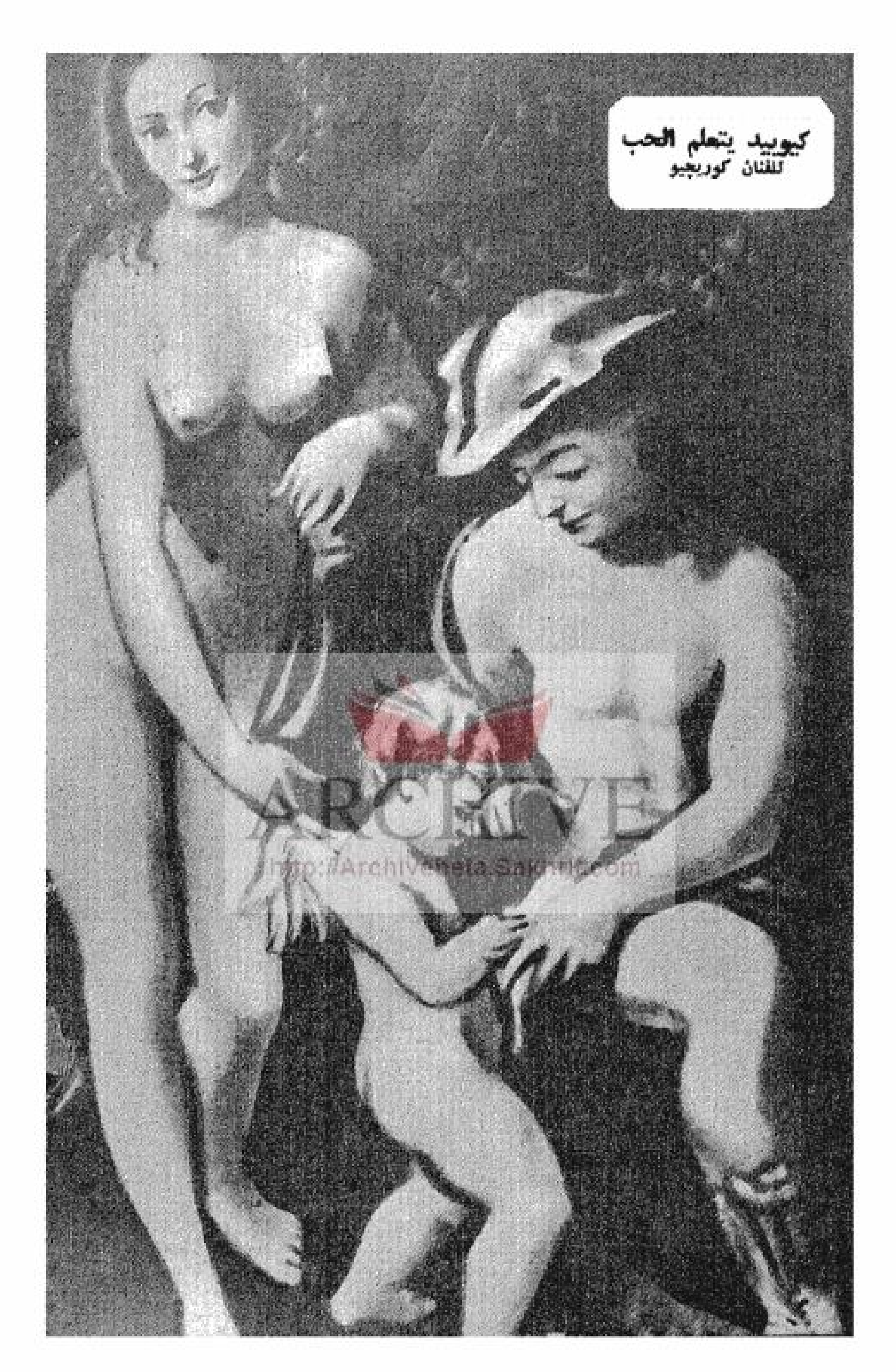

فينوس تقنع كيوبيد
للفنان تيسيان



فينوس تتزين
للفنان فرانسوا بوشيه



ينبوع الحب
للفنان فراجنار



كيوبيد يتعلم الحب
للفنان كوريجيو

الفنان الكبير

بقلم الأستاذ محمد فريد أبو حديد



لم يجد عنده الاقدام مثل الطلب كما لم أن يطمع ، أو يحسد ... الفلاحين وعاش سوء طويلا

هل يستطيع الانسان مهما بلغ من الحكمة وبعد النظر أن يتكهن بمصائر الناس في حياتهم ؟ هذا سؤال خطير حارت فيه العقول منذ الازمنة القديمة ، وما تزال حائرة فيه الى اليوم

وقد يدعي البعض انه في الامكان ان يلمح الانسان مستقبل الافراد من طريق العلم الحديث الذي يقيس المواهب قياسا دقيقا ، ويحدد نسبة الذكاء ، ويعين اتجاه المواهب بطريقة حسابية تتمثل فيها دقة الارقام ، ولكن الحياة تظهر لنا بين حين وآخر امثلة عدة ، تدل دلالة واضحة على ان الحظوظ لها دخل كبير في توجيه المستقبل ، وان نجاح الناس في الحياة لا يتوقف على قوة العقول ، ولا على الامتياز في المواهب التي يعرفها العلم الحديث . فالنجاح في الحياة شيء ، والامتياز والذكاء والمواهب شيء آخر . النجاح معناه ان يتمكن انسان من ان يحتل مكانة ممتازة في المجتمع ، تكسبه الحق في جمع الثروة ، كما تكسبه فيما لا ذلك حقا صريحا في احترام الناس . النجاح معناه ان يتمكن انسان من أن يصبح سببا تخلع عليه صفات كثيرة لم تمنحها له خلقته . وقد يتوقف ذلك النجاح على شيء صغير جدا ــ شيء تافه لا يلتفت اليه أحد في أول الأمر ، ولكنه قد يستلفت الانظار بعد حين .

المهم ان يجد ذلك الشيء الصغير التافه سوقا رائجة بين الناس . فأنت ياصديقي القارىء تستطيع أن تكون صاحب ملايين ، وبالتالي تستطيع ان تكون صاحب مكانة ملحوظة في المجتمع ، لو تمكنت من ان تحمل معك حفنة من الخرز الملون الذي لا قيمة له في الحقيقة ، واستطعت ان تجوس بذلك الخرز خلال اواسط افريقيا ، فبضعة خرزات منها تمكنك من شراء ثور كبير ، وبعقد كامل منها تيسر لك ان تختار زوجة من أجمل الفتيات هناك ، أو تصبح صهرا لأحد كبار الأمراء

وليس السر في هذا ان سكان أواسط أفريقيا ما يزالون في دور البداوة الساذجة ، لأن القصة التي

أعرضها عليك هنا تدل على أن الشيء التافه الصغير ، قد يصل الى قيمة كبيرة اذا وجد سوقا رائجة فى أرقى بلاد العالم !

نشأ على الجربان فى قريتـه الصغيرة ـ واعتذر من ذكر هذا اللقب المقزز ، فانه اللقب الذى عرفه به أهل قريته ـ نشأ هذا الفتى فى قريته ، وكان يهب كل يوم فى الصباح الباكر من المكان الذى قضى فيه الليلة ، سواء قضاها فى العراء الى جانب الجرن ، أو تحت سقف من الاسقف ، سواء كان فى مسجد القرية ، أو منزل من المنازل فان بيوت القرية كلها كانت لا تغلق أبوابها فى وجهه

كان أهل القرية يعاملونه كما يعاملون الكلب المسكين ، فيزجرونه دائما ، ولكنهم يلقون اليه بشيء من طعامهم . فمنذ أن يهب من نومه يبقى فى حركة مستمرة ، يقطع فيها طرق القرية من أطرافها الى أطرافها الاخرى ، كما يفعل الكلب المسكين ، يتلقى من هنا صفعة ولقمة ، ومن هناك شتمة ولقمة أخرى ، وهو فى كل الاحوال يتناول اللقم ، ولا يعبأ بشيء آخر ، بل يواجه المواقف كلها بما يناسبها . كان يمد عنقه الى الامام مثل الكلب اذا اراد أن ينبح ، ثم يمد شفتيه الغليظتين حتى تصيرا مثل شفتى البعير ، ويطلق صوتا طويلا قائلا : بهؤ بهؤ ، ثم ينفجر أحيانا بضحكة بلهاء وأحيانا أخرى بصيحة بكاء

وكان فى كل وقت مستعدا لتأدية ما يطلب منه من الخدمات ، ويبذل فيها كل ما فيه من قوة ، ولكنه كان فى أكثر الاحيان ينتهى من خدماته بصفعات جديدة ، أو شتمات حانقة

ومن أمثلة ذلك أن احدى عجائز القرية ، وهى من أكثر الناس عطفا عليه ، سألته أن يملأ لها جرتها من الترعة ، وكانت النتيجة أن العجوز ـ العمة مبروكة ـ رفعت يديها الى السماء ، تدعو الله أن يكسر لها رقبته جزاء له على كسر جرتها . أما هو فانه مد عنقه ومط شفتيه ، وانفجر بضحكته البلهاء ، معتذرا بأنه تعثر بالجرة بعد أن وصل الى عتبة الباب . وقال وهو منصرف ان الجرة كادت تكسر عنقه فعلا وهو يحملها من الترعة الى العتبة ،

ومرة أخرى طلبت منه زوجة بقال القرية أن يحمل بيض دجاجها الى التاجر الذى يحضر كل أسبوع مرة لجمع بيض دجاج القرية ، وكانت المرأة مشغولة أمام الفرن فلم تستطع أن تحمل البيض بنفسها . وكان جزاؤه فى ذلك اليوم أن المرأة قامت من أمام الفرن ، وفى يدها العود الحديدى المتقد ، تريد أن تلهب به وجه الفتى لانه عاد اليها قائلا أن البيض وقع منه فى الطريق ، وكان يحمل السلة بالبيض المحطم دليلا على أنه صادق . ولما رأى المرأة والعود الحديدى فى يدها ، مد عنقه ومط شفتيه ، وانفجر يبكى ، واطلق ساقيه للهواء

وكانت قصص على الجربان تجرى على كل لسان فى القرية كأنها بعض الأساطير المحفوظة ، وكان الذين يتحدثون بها لا يخلون من العطف

على ذلك الابله المسكين ، بالرغم من شتائمهم وسخريتهم . وكانت العمة مبروكة ، صاحبة الجرة المحطمة ، عندما تسمع هذه القصص تقول دائما :

ــ منحوس من يومه ــ والله ما يفلح عمره

ثم تسكت حينا وتعود فتقول :

ــ الله يرحم امه المسكينة ام السعد . كانت في الحقيقة ام النحس

وعند ذلك ترجع الى اذهانهم ذكريات مؤلمة من الحريق الكبير الذي التهم القرية في ليلة مولد هذا الفتى ، وذهب أبوه وامه بين ضحاياها ، ولم ينج غيره ، لان القابلة حملته مسرعة وبعدت به عن مكان الحريق

منذ ذلك الوقت تكفل به عمدة القرية الطيب ، وابى الا أن يدخله المدرسة مع أولاده عندما بلغ سن السادسة

ولم يكن اسم ذلك الفتى (على الجربان) في الحقيقة ، فان اسمه الاصلي (على مهنى) ، وقد اكتسب لقبه الجديد فيما بعد عندما ترك المدرسة ، بعد ان ظهر للجميع أنه كان تلميذا لا امل فيه . كان في المدرسة مثار الضحك والسخرية ، وكان في خارج المدرسة مثارا للمتاعب . وانتهى امره عندما بلغ سن الثانية عشرة أن رفض البقاء في بيت العمدة ، واصبح يهيم في طرق القرية ، يذهب حيث يشاء ، ويقيم حيث يشاء ، حتى اكتسب لقبه الجديد اذ كانت تعلو وجهه ويديه وساقيه قشرة غليظة من القذارة ، ولا يكاد ثوبه الممزق يستر ربع جسمه الباقي

وفي يوم من ايام الحر الشديد ذهب الى الترعة ونزل اليها ، فبقي في الماء ساعة طويلة ، لا ليزيل ماتراكم عليه من الوسخ ، بل ليطفىء الحرارة التي كان يشعر بها . ولما خرج من الماء تمدد في ظل شجرة قريبة وشعر بالهواء يهب عليه رطبا لطيفا ولما قام بعد حين ليلبس ثوبه المهلهل شعر بقشعريرة شديدة تهز جسمه ، فذهب الى الشمس ليتدفأ بها ، ولكن هزة البرد لم تفارقه . وجاءت في تلك الساعة العمة مبروكة لتملأ جرتها الجديدة التي اشترتها بعد أن حطم الفتى جرتها ، ولمحته جالسا في الشمس يرتعد فصاحت به :

ــ يا ولد يا جربان مالك ؟

ولم تسمع منه جوابا على غير عادته ، فقد كان دائما يجيبها كلما نادته بضحكته البلهاء المعتادة . فذهبت قريبا منه لترى ما به ، واحست بعطف شديد عليه ، عندما رأته ينظر اليها نظرة بائسة وهو ينتفض . فتركت جرتها بجوار الترعة وسارت به تكاد تحمله ، حتى وصلت الى بيتها وأرقدته على الفرن وذهبت لتعد له فنجانا من الشاى الثقيل

وذاع في القرية نبأ مرض (على الجربان) ، وحزن الجميع من اجله ولكنهم حاروا في امره . لم يرض أحدهم أن يبقيه عنده ، حتى العمة

مبروكة نفسـها ، لانهم خافوا أن يكون مريضـا بوباء خبيث ، ومن يدرى ؟ كان فى أول حياته منحوسا على القرية عندما احترقت ونجـا ، فلماذا لا ينجو هذه المرة ايضا بعد أن ينقل الى القـرية وباء مخيفا . وكان وباء الكوليرا فى ذلك الوقت يهدد البلاد كلها . فاستقر رأى أهل القرية ، ووافقهم العمـدة على أن يرسلوه الى المستشفى الـحكومى ، وتبرع العمدة بركوبة تحمـله الى المدينة ، كما بعث معه خفيرا نظاميا ليطمئن على دخوله المستشفى . ثم نسيته القرية كما ينسى الناس دائما ما لا يريدون أن يتذكروه

ومرت سنوات طويلة ـ أكثر من خمسـة عشر عاما ـ وتغير أهل القـرية كما يتغير النـاس على مر الزمن . فالعمة مبروكة عليها رحمة الله ماتت منذ سنتين ، والعمـدة أصبح شيخا كبيرا شيبته الاهوال التى مرت به ، وصبيان المدرسـة صاروا رجالا ، منهم من عاد الى الحقل ، ومنهم من ذهب الى المدينة وقد صـار منهم المحامى والمعلم ، ومنهم الذى تخرج فى المدرسـة الصناعية ، واصبح موظفا فى قسم المستخدمين بالبـلدية ، وكان من نوابغ القرية الاستاذ أحمد محجوب ابن العمـدة الذى تخرج فى كليـة الاداب ، واشتهر بكتابة القصص الفكاهيـة . وقـد فاز مرتين فى مسابقات التاليف المسرحى فى الاعوام الاخيرة . ولكن الناس اذا كانوا قد تغيروا الى هذا الحد فى مـدة تلك السنوات ، فان القرية نفسـها لم تتغير . الترعة فى مكانها والبيوت هى هى بطرقها ذات التعاريج التى تكسبها شـخصيتها ، وبحظائرها التى تتخلل غرف النوم ، وباكداس الحطب فوق السقوف المطاطئة . كان كل شىء فيها عـدا الناس لم يتغير منـذ مئات السنين . وقـد احترقت مرتين فى الاعوام العشرين الماضية ، ولكن الناس كانوا يحافظون على هندستهـا بحرص شـديد ، فيقيمون منازلهم الجـديدة فـوق اطلال المنازل القديمة . فلو أن احد الاموات نهض من قبره بعد مائتى سنة لما وجـد صعوبة فى الاهتداء الى منزله

وكان من سوء حظ تلك القرية انها احترقت للمرة الثالثة بعد تلك السنوات ، وكان حريقهـا هائلا ، اهتزت له البـلاد كلها ، حتى أن الصحف استمرت اسبوعا كامـلا تنشر على صفحاتها الاولى صـور الكارثة . وسارعت وزارة الشئون الاجتماعية الى النجـدة كمـا هو منتظر منها ، ودعا بعض محبى الخير الى جمـع التبرعات للمساعدة على بناء قرية جديدة . واهتم الاديب النابه ابن القـرية الاستاذ أحمـد محجوب ، بتاليف قصة لتمثل لاول مرة فى حفل عظيم يخصص دخـله لمساعدة القرية وتكونت لجنة لتنظيم الاحتفال برياسة مدير الاقليم نفسـه فكان ذلك دليـلا على قـوة الوعى الاجتماعى الذى دب فى الامة

ووقع اختيار اللجنة على فرقـة

تمثيلية مشهورة لتمثيل قصة « الطفل الشريد » ، التى الفها الاديب الموهوب ، كانت تلك الفرقة حديثة العهد ، ولكنها بلغت من المجد ما لم تبلغه فرقة اخرى ، بفضل الفنان النابغة « هانى عليوه » الذى انشأها منذ ثلاث سنوات . وقد بلغ من نجاح هذه الفرقة ان مقاعد الدار التى تمثل فيها ، كانت تمتلىء فى كل ليلة وتستمر ملاى لمدة اسابيع متتالية فى الرواية الواحدة. وكان الضحك لا يكاد ينقطع فيها منذ يظهر الفنان الكبير على المسرح ، الى أن ترخى عليه الستارة فى الفصل الاخير ، فقد كان يظهر فى كل فصل ويكاد يكون صاحب الدور الوحيد فى الرواية . وبلغ من اعجاب النظارة بذلك الفنان الكبير ، انه صار يخرج كل رواية بعد تمثيلها فى فيلم ، حتى يتسنى لاكبر عدد من الناس ان يتمتعوا بها ، فالسينما ، كما هو معروف ، تستطيع أن تغزو امة كاملة بفيلم واحد . وأوفدت لجنة الاحتفال ثلاثة من اعضائها للاتفاق مع الفنان الكبير على الاجر الذى يطلبه لقاء تمثيل رواية الاستاذ أحمد محجوب ، وكان من حسن الحظ أن الموسم قد انتهى ، ولم يكن الفنان الموهوب مشغولا بانتاج فيلم جديد . ولكنه اشترط ان تعرض عليه الرواية أولا . وبعد اسبوع بعث الرواية الى عنوان صاحبها مع الاعتذار عن تمثيلها لانها غير مناسبة . فالمعروف عنه انه يشترك دائما مع المؤلف ليوحى اليه بما ينبغى ان يكون عليه الدور الذى سيقوم بتمثيله ، حتى يكون مناسبا لمواهبه . وكان الوقت المحدد للاحتفال قد اقترب ، فاسرع وفد لجنة الاحتفال بمقابلة الاستاذ «عليوه» ليرجوه أن يقبل التمثيل حتى لا تضيع كل جهود اللجنة هباء، ولكن الرجاء والتوسل لم يفلحا فى عدوله عن رايه . وكانت تلك صدمة عنيفة للجنة الاحتفال ، اذ كانت قد أعلنت أن الذى سيحيى الليلة هذا الفنان الكبير (هانى عليوه) وفرقته ، ومن أجل هذا استطاعت ان توزع اكثر من الفى تذكرة ، مع ان ثمن التذكرة الواحدة خمسة جنيهات

وكان لا بد من التماس حل للمشكلة ، فرأت اللجنة آخر الامر ان تستعيض عن تمثيل رواية « الطفل الشريد » بفيلم من افلام الفنان عليوه ، حتى تتمكن من تغطية وجهها امام الالوف الذين اقبلوا على شراء التذاكر

وفى اليوم المحدد تماما اقيم الحفل فى احدى دور السينما الواسعة فى عاصمة المديرية ، وحضر وكيل المديرية نائبا عن المدير اظهارا للاهتمام الكبير ، لان اعمالا رسمية حالت دون حضور المدير بنفسه ، وبعد القاء بعض كلمات تناسب المقام بدأ عرض الفيلم المشهور وهو « مغامرات شلفوط » ، الذى استمر عرضه عند اول ظهوره مدة شهرين كاملين

ومنذ بدأ عرض الفيلم هدأت

قلوب اعضاء لجنة الاحتفال ، اذ استقبل جمهور النظارة كل حركة من حركات بطل الرواية بالضحك العالي والتصفيق والصفير ، اظهارا لحماسته ، حتى لقد اخذ أعضاء لجنة الاحتفال أنفسهم يشاركون فى الضحك العالي والتصفيق ، وانقشع ماكان يخيم على قلوبهم من التوجس مخافة فشل الاحتفال

رجل واحد فى ذلك الجمع الحاشد لم يضحك ولم يصفق ، وهو عمدة القرية . كان يجلس فى المقصورة مع وكيل المديرية ، ويتابع حركات بطل الفيلم مستغرقا يكاد يكون ذاهلا عن كل شيء حوله . كانت حركات البطل تثير فى ذهنه أسئلة كثيرة غامضة ، ولما اقترب الفيلم من نهايته صدرت منه آهة طويلة وقال يخاطب نفسه فى نغمة تعجب ذاهلة :

ــ هو والله . هو بعينه !

والتفت اليه وكيل المديرية باسما وقال :

ــ ماذا جرى يا حضرة العمدة ؟ من هو الذى تعرفت عليه ؟

فقال العمدة :

ــ هو والله يا سعادة البك . الولد المنحوس . هو هو . حركاته رقبته ، شفتاه ، ضحكته البلهاء وبكاؤه

وأخذ يتحدث عن الصبى على الجربان

وكانت تتكون فى أثناء ذلك الحديث صورة أمام مخيلة وكيل المديرية ، كأنها صورة شبح يخرج من سحابة دخان ، ولمعت له من خلال الماضى ذكريات يوم منذ خمسة عشر عاما ، كان عند ذلك مأمورا للمركز ، وحمل اليه صبى مريض لا يعى شيئا من الحمى التى أصابته ، واهتم به بصفة خاصة اذ كان يخشى أن يكون مصابا بالكوليرا التى كانت تهدد البلاد . ولما تم شفاؤه وعرف انه يتيم لا أهل له ادخله فى ملجأ للأيتام . وكان أحيانا يزور ذلك الملجأ ، فتقام له حفلة صغيرة ، وكان الولد واسمه حقا (على مهنى) يقوم بتمثيل ادوار صغيرة فى تلك الحفلة ـ ادوار ولد أبله له طريقة خاصة فى الضحك والبكاء ، ومد عنقه ومط شفتيه . هى هى طريقة الفنان الكبير بطل الفيلم

وأخذ العمدة يخبط يدا على الاخرى قائلا : والله عجائب !!

وتبسم وكيل المديرية قائلا : « لا عجب يا حضرة العمدة ـ الدنيا حظوظ ! »

وعادت الانوار بعد أن انتهت قصة الفيلم ، وخرج العمدة يشيع سعادة الوكيل . وما كاد يفرغ من اداء ذلك الواجب ، حتى عاد يخبط كفا على اخرى ويقول لكل من سأله عن سبب تعجبه :

ــ والله عجائب يا اولاد . صدق سعادة الوكيل ، الدنيا حظوظ ! ولم يقل لاحد شيئا آخر ، لانها قصة طويلة لايستطيع أحد من أبناء الجيل الصاعد من أبناء القرية أن يفهمها

الورقة الصفراء

« يا لها من رحلة ! انها أخطر وأقصر رحلة في حيــاته بل حيــاة أى انسان ! »

بقلم العميد عباس حافظ عثمان

بدأ موظفو الشركة يتسللون الى الخارج ، زرافات ووحدانا ، وراحت الانوار تطفأ فى الحجرات ، حجرة بعد حجرة ، وما تجاوزت الســاعة الثامنة والنصف بدقائق ، حتى ساد السكون ارجاء المــكان ، وأنتشرت الظلمة فى كل الغرف ، الا غرفــة واحدة ظلت مضيئة ، تنبعث منهــا نبضات آلة كاتبة ، تعمل فى الحاح واصرار وصبر

وكان « راجح » جالسا قبالتهــا يدق عليها باصابعه ، ويســجل مشروعه الجديد ، الذى يتوقع له أن يقفز بالشركة قفزة كبيرة الى الامام وان يقفز به الى المكان الذى طالما رنا اليه بعينيه

لقد ظل هذا المشروع الضــخم يراوده اياما وشهوراً ، ويحتل عقله وقلبه ، وشغل به عن كل شىء حتى عن نفسه ، وراح يديره فى ذهنه ، ويسجل بياناتوارقاما ، حتى اكتمل الهيكل ، ونضج المشروع ، فسجله على ورقة وضعها امامه فى تلك الليلة ينقل منها البيانات والارقام

ويااله من مشروع ! ولشد ما يرجو أن ينتهى من تسجيله ، وأن يراه قد

وضع موضع التنفيذ ! انه لن يعود على الشركة وحدها بالفوائد الجلى، ولن يعود عليه شخصيا بالمجد التليد فحسب ، بل انه سيكون عمــودا ضخما من عمد النهضة الصــناعية والاقتصادية التى انبعثت فى البلاد ودبت فى ارجائها فى عهدها الجديد

وانطلقت اصابع راجح تدق على مفاتيح الآلة الكاتبة ، وهو يخيل اليه انه يعزف عليها لحنا شجيا ، يصور روحه المتفائلة ، وآماله العريضــة

ورن جرس التليفــون ، وود لو انه تغاضى عنه ، ولكن الرنين كان ملحا ملحفا ، فامسك بالســماعة ، واذا بزوجته واخيه وزوجة أخيــه يحادثونه بالتناوب . ويلحون عليــه أن يلحق بهم الى احدى دور السينما لقضاء سهرة ممتعة ، فاعتذر اليهم بما بين يديه من عمل لابد من اتمامه، فعادوا الى الحاحهم ، ولكنه أصر ثم ختم حديثه بقول غامض لم يستطيعوا ان يعرفوا منه ان كان سيلحق بهم أم لا

وعاد راجح الى سيرته الاولى ، وهو يشعر أنه مسمر الى مقعــده حتى ينتهى من تسجيل مشروعه ، وعادت الآلة الكاتبة ترسل نبضاتها ، وكلما كتب سطراً أحس ان عزيمته تقوى

وشعر راجح بالعرق يتصبب منه فقام من مكانه ، وفتح زجاج النافذة ليتخلل الهواء البارد جو الحجــرة ويجفف عرقه . وكان الزجــاج من الطراز الذى ينزلق الى اعلى اذا أريد فتحه ، والى اسفل اذا اريد غلقه

وعاد راجح الى مكانه بعد أن ملأ رئتيه بالهواء النقى ، وبعد أن ألقى نظرة خاطفة على الشارع الكبير الذى بدا أمام عينيه وكأنه قناة لبعــد المسافة بين النافذة والطريق

وعادت النبضات الرتيبة المسرعة تقص قصة النجاح المنشود والمأمول وفجأة سمع صوت جرس الباب يدق فى اصرار ، وخيل اليه ان اخاه ومن معه جاءوا يلحون عليه ،فازداد اصرارا على عمله . دعهم يدقون الجــرس كما يشاءون فلن يحرك ســاكنــا وسيملون فى النهــاية ويرحلون ، ولكن الجرس ظل يــدق فى اصرار كذلك ، حتى خيل اليــه ان طرقات شديدة تهوى على رأسه ، فقــام من مكانه ، واتجه الى الباب وفتحــه . واذا بالطارق رجل قد اخطــأ فى الشقة التى يريدها فاعتذر الى راجح وعاد من حيث اتى

وسمع راجح وهو يســتمع الى اعتذار الرجــل حفيف الاوراق التى تطايرت بتأثير تيار الهواء الذى سرى بين النافذة والباب ، وما كاد يغلق الباب حتى هرول الى الحجرة وبادر الى جمع ما انتثر من الاوراق هنــا وهناك . وراح يرتب الاوراق ، ثم بحث عن الورقة الصفراء التى دون عليها كل نقاط مشروعه وكل بياناته وارقامه واحصاءاته . ودار بعينيــه

فى ارجاء الغرفة ، واذا به يجدها قد استقرت على حافة النافذة

ووثب وثبة قوية من مكانه نحو النافذة ،وأحدثت الوثبة تيارا هوائيا حمل الورقة الصفراء الى خارج النافذة وامتدت ذراعه فى سرعة البرق اليها لتقبض عليها قبل أن تهبط الى الشارع ، ولكن الورقة داعبته فابتعدت عن يده وهبطت ٠٠ ولكن غير بعيد عنه ٠ كانت هناك حافة بارزة زخرفية تطوف اسفل كل نوافذ الدور الرابع عشر من ذلك البناء المشمخر الحديث ، وقد استقرت الورقة على تلك الحافة البارزة العريضة ، فاطل راجح من النافذة ، وانثنى ومد يده لينقذ عاما كاملا من عمره قضاه فى اعداد هذا المشروع ، ولكن الورقة اللعينة ظلت فى مداعبتها لصاحبها ، فتسللت فوق الحافة فى خفة واتزان حتى قبعت فى ركن كونه بروز رأسى مع تلك الحافة الزخرفية

وتطلعت عيناه فى يأس وفى بلاهة الى تلك الورقة التى قبعت فى ذلك الركن الذى يبعد عن متناول يده ، وكأنها حمامة طارت من بين يديه واستقرت فى عشها ، ماذاتراه يفعل الآن ؟

ان قصة مشروعه الضخم مسطرة بحذافيرها فى تلك الورقة ، فلا غنى له عنها ، ولو شاء أن يعيد كتابة القصة من جديد لقضى شهورا عديدة حتى يستطيع أن يستخرج تلك الارقام الاخيرة ٠ هل يدعو بوليس النجدة ؟وماذا يستطيعون أن يفعلوا؟ وهل ستبقى الورقة مكانها ؟ هل يهيب برجال المطافىء ؟ ولكن هذا ليس من شأنهم ، فماذا يفعل ومستقبله ومستقبل الشركة ، ونجاحه العظيم ونجاحها ، ونجاح هذا المشروع الوطنى الضخم ، كل ذلك قد استقر على تلك الحافة ، وفى ذلك الركن ، وبعيدا عن متناول يده

لا مفر له من الظفر بهذه الورقة واستعادتها مهما كلفه الامر من جهد ونصب ٠ وخاف أن هو اطال التفكير ، ووقف موقف الحيرة أن تطير الورقة من مكمنها وان تذهب الى حيث لا يعلم

وارتفعت ساقه وادارها حول حافة النافذة ، وهبط بها فوق الحافة البارزة ، وضغطت القدم على الحافة ضغطا قويا ، ليختبر متانتها ، وتلتها الساق الثانية وهو ممسك بحافة النافذة حتى استقرت قدمه الثانية فوق الحافة البارزة ووجهه الى النافذة ، وظهره الى الطريق ، وخطا خطوة اولى بقدمه اليمنى ، وتبعتها القدم اليسرى ، ومضى يحبو فوق هذه الحافة خطوة بعد خطوة ، وأصابعه متشبثة بما يجده من بروز زخرفى فى الجدار ، وكل خطوة تدنيه

شبرا من الورقة الحبيبة اللعينة

وياله من رحلة ! انها اخطر واقصر رحلة فى حياته بل حياة أى انسان !

وكان ذهنه فى خلال هذه الرحلة مشغولا بخاطرين اثنين ، كيف يحتفظ بالتصاقه بالحائط ، وكيف يستطيع أن ينثني ويمد يده ليقبض على الورقة الهاربة منه !

وراح يخطو خطوات قصارا ، طولها سنتيمترات قليلة حتى استطاع اخيرا ان يصل الى الركن الذى قبعت فيه الورقة ، وضغط بقدمه عليها حتى لا تفر مرة أخرى ، وبدأت المشكلة العويصة الاخرى . استند بيديه على الجدارين ، وراح يثنى ركبتيه فى بطء شديد ، واصابع يده اليسرى متشبثة بما تعثر عليه من بروز ، بينما يده اليمنى تتلمس طريقها فى تؤدة وفى لهفة الى الورقة بيد أن الجدار وقف عقبة كئودا فى سبيل المزيد من انثناء الركبتين ، فكان لا مفر له من احداث بعض الالتواء فى جزعه حتى تجد الركبتان مجالا لمزيد من الانثناء

وخيل اليه وهو يهبط قليلا قليلا أن يده تمتد الى هوة سحيقة لا قرار لها ، وكانت عينه ترى الفينة بعد الفينة الاضواء المنيرة فى الشارع والسيارات تعدو عدو الظليم ، وترى ذلك العلو الشاهق المستقر فيه ، فيسرع الى اغماض عينيه ، او الى تحويل أنظاره الى الجدار ، ويشعر فى الوقت نفسه برعدة تسرى فى اوصاله ، فيبذل قصارى جهده فى طرد هذا الخوف من قلبه ، ثم شعر بقلبه يشتد فى خفوقه ، وبالدماء تجرى كاللهب فى عروقه حين لامست اصابع يده الورقة

وتقبضت الاصابع على الورقة ، وفى حركة لا ارادية ولا شعورية انتصبت قامته ، واحس راجح انه يكاد يسقط الى الشارع من هذه الحركة المفاجئة ، لولا انه تشبث بالزخارف البارزة ، ولولا أنه الصق وجهه وصدره بالجدار ، وظل فى وقفته بعض اللحظات ليتغلب على القشعريرة التى سرت فى جسمه ، والفزع الذى تملك فؤاده ، والخلخلة التى اصابت ساقيه واوصاله . وبقيت الورقة فى اليد المطبقة عليها طوال تلك الفترة العصيبة ، حتى أحس الهدوء يتسرب الى قلبه ، والقوة الى أوصاله ، فارتفعت اليد واسلمت الورقة الى فمه ليقبض عليها بالاسنان وعادت اليدان تتلمسان .. ماذا ؟ لقد ظل هذا البناء الشامخ اصم لا يلين ، ولا يستجيب لابتهال قلب هذا المسكين

وعادت الاقدام تتلمس طريقها ، خطوة بالغة القصر أثر خطوة اقصر منها ، وراحت الايدى تتلمس



وثب وثبة قوية ، من مكانه نحو
النافذة واحدثت الوثبة تيارا هوائيا
حمل الورقة الصفراء الى خارج النافذة !

الزخارف البارزة ، وتتشبث بهـا ، وظل فى سيره الوئيد كأنه يحمـل اثقالا ينوء بها كاهله حتى وصل الى النافذة دون أن يدرى ، وأمتدت يده فى حركة لا شعورية ليمسك بالرتاج الزجاجى ، وليخطو بعد ذلك خطوة أخرى تنقله الى داخل الحجرة • بيد أن الرتاج الزجاجى اراد أن يسـد عليه طريق النجاة ، فانزلق هابطا

وفزع راجح الفزع الاكبر ، وطرق الزجاج بيده اليسرى طرقات قوية عسى أن يتحطم ، ولكن الزجاج صمد وظل سليما ، وبقى راجح واقفا على تلك الحافة البارزة لا يدرى لنفسه قبلة ولا دبرة • اتراه سيظل فى هذه الوقفة الرهيبة الى •• الى متى ؟ انه لا يتوقع ان يـأتى من يسـعفه ، وستخور قواه لا محالة ، وسيحل به التعب الشديد ، واكبر الظـن انه سرعان ما سيصـاب بالدوار • • فيهوى من هذا العلو الشاهق

وشعر راجح بالخور يتسرب الى ركبتيه وساقيه ، فاشتدت قبضة يده على حافة النافذة ، وهو موقـن بالهلاك العاجل المحتوم

▭

وكانت زوجتـه قد أصرت على أن تأتى بزوجها حتى يذهب معها الى السينما ، وحتى يرفه عن نفسه ليلة بعد كل هذا العناء الذى قاسـاه شهورا عـدة ، وابت أن تذهب الى السينمـا من دونه ، والحت على شقيقه أن يذهبوا جميعا اليـه ، ويعودوا به معهم

وشاء القدر أن يجد شقيقه فراش الشركة جالسا بباب العمـارة مع صديقه البـواب يحتسى كوبا من الشاى ، وكان سامح ، شقيق راجح يعرف هذا الفراش فهو الذى سعى الى تعيينـه ، فمـا كاد الفراش يراه حتى انبعث واقفا ، واقبل عليه فى احترام ، فسأله سامح عن اخيه فقال الفراش :

ــ انه لا يزال باقيا فى مكتبـه

ــ وهل معك مفتاح الشقة ؟

ــ طبعـا

ــ اذن هيا بنا نصعد اليه ونفاجئه فانى اخشى ألا يجيب على الجرس

واستقلا المصعد ، ووقفـا أمام باب الشقة ، ودار المفتـاح فى القفل ، وفتح البـاب • واذا بعين سامح تقع من النظـرة الاولى على شبح اخيه واقفا خارج النـافذة ، فاندفع كالصاروخ ، وفتح زجـاج النافذة على عجل ، وقبض بيده على اخيه ، وجره جرا الى داخل الغرفة ، فسـقط كالجثـة الى جانب الآلة الكاتبة

أبهم ليس ولدى

لقد ادركت ان المريض انما يصارع الموت بصورة حادة . … الشــابة

يحدث احيانا ان يصطدم ضمير « الانسان » بضمير «المهنة » ، والويل عندئذ للطبيب الذى يحاول ان يفسر موقفه امام فراش المريض !

كنت اتناول طعام العشاء يوما عند صديق لى ، فالتقيت فى بيته بالاستاذ الدكتور«ف»، أشهر اطباء باريس . ولم نكد نفرغ من طعامنا حتى دار بيننا حديث طويل عن الحالات التى يقع فيها ضمير المرء فى الحيرة بين أمرين ، وعندئذ قص علينا الاستاذ « ف » قصة مؤثرة مرت به فى أول عهده بالشباب ، وهى قصة مثيرة تحمل جدلا طويلا بما توقظه فى النفس من عواطف ، خاصة انها تدفعنا دفعا الى ان نتساءل : ترى أكان الاستاذ « ف » محقا فى موقفه من حوادث هذه القصة ام قد جانبه الصواب ؟

واستهل الطبيب الكبير حديثه بقوله : « ان القصة التى ساقصها عليكم قد علمتنى ان اول واجبات الطبيب هو خدمة المريض ، بغض النظر عن كونه طيبا او شريرا ، صديقا أو عدوا ، فهذه امور ليس من شأن الطبيب أن يسأل عنها ، او يقحم نفسه فيها . ومع هذا ، فقد

وصمت الطبيب الشيخ لحظة كانما يستعيد الى ذهنه ذكريات بعيدة ، ثم قال بصوت عميق هادىء النبرات :

يرجع هذا الحادث الذى نحن بصدده الى يونيه من عام ١٨٦٧ ، نفس الشهر الذى مات فيه أستاذى العظيم الدكتور « تروسو » ، هذا الطبيب العبقرى ، ذو الخلق الرائع والصفات الممتازة ، وكنت اتلمذ عليه وقتئذ فى عيادته . واستدعانى الاستاذ يوما ــ وكان هذا لسوء الحظ آخر يوم رأيته فيه ــ وقال لى بصوته المهيب الذى يبعث على الثقة « اسمع يابنى ، سوف أرسلك الى احد مرضاى بالريف ، ولانى اريد ان يقوم بعلاجه طبيب يعرف كيف يفهم تعليماتى وينفذها بدقة ، فقد وقع عليك اختيارى أنت بالذات لتقوم بهذه المهمة » . ثم شرح لى « تروسو » العظيم طبيعة المرض وتفاصيل اعراضه ، وكان مرضا كلويا ، مصحوبا بنوبات عصبية عنيفة ومفاجئة ، وقبل ان اصافحه



مودعا ، اشار الى ان ادنو من مقعده ، ثم قال بصوت شاع فى نبراته اهتمام كبير : « والآن ، أوصيك وصية أخيرة . عليك أن تذكر دائما وفى كل مكان شعار « أبقراط » ، فالطبيب يجب الا يرى أو يسمع شيئا مما يجرى حول فراش المريض ! »

وركبت القطار ، ولم أكف لحظة واحدة عن التفكير فى وصية استاذى العجيبة ! ترى هل يبوح المريض فى نوبات مرضه بأسرار يجب أن تظل طى الكتمان ؟ أم ان هناك مأساة ماتحيط به ويجب على الا افهمها ؟

انى لا اعرف عن مريضى غير اسمه ، وليكن هو « الكونت دى روكتيل » ، وانه يقيم بقصره على مقربة من بلدة « نواى » ، فهل كان هذا الرجل متزوجا ؟ أم انه ارمل ؟ هذا مالم اكن اعرف عنه شيئا على الاطلاق

□

« ووصل القطار اخيرا الى « نواى » مع مطلع الفجر ، وما ان وقفت بى العربة أمام قصر الكونت ، حتى كان ضوء الشمس قد غمر كل شيء ، وجلت ببصرى فيما حولى ، فالفيت القصر عتيقا قاتما تجثم عليه وحشة كئيبة ! واستقبلنى خادم قال لى ان « الكونتس » فى انتظارى لترشدنى الى غرفة المريض ، فعرفت اذ ذاك أن الكونت متزوج ، فهل هنا يكمن السر ؟ أتكون زوجته شابة فاتنة يغار عليها هذا المريض الكهل ؟

تلك هى الاسئلة التى كانت تطوف بخاطرى ، وانا اعبر الردهة فى طريقى الى غرفة الاستقبال ، غير أن فكرتى مالبثت أن تلاشت عندما وقع نظرى على الكونتس ، فقد كانت سيدة فى نحو الخامسة والخمسين ، بيضاء الشعر ، قد أضناها السهر واطل من عينيها قلق شديد !

وحييت الزوجة فى احترام بالغ فاستقبلتنى مرحبة ثم قالت : « ان الكونت ينتظرك يادكتور بصبر نافد . اما انا فأريدك أن تفضى الى بالحقيقة كاملة ! » وما كدت اعدها بذلك حتى قادتنى الى غرفة المريض ، الذى ما ان القيت عليه نظرة عاجلة حتى رايت الموت مرتسما على محياه . غير انى رايت ايضا شيئا آخر ، اذ ادركت أن المريض انما يصارع الموت بعزيمة هائلة ، قرأتها فى نظرته الثابتة ، وفى عينيه الملتهبتين ، ولم أكد احيطه علما بتعليمات الدكتور « تروسو » بشأنه حتى دبت الحياة فى اوصاله وارتسم الامل باديا فى قسمات وجهه

ولما خرجت من غرفة الكونت ، خرج معى أيضا طبيب من الريف كان يعنى بالمريض قبل مجيئى ، ولم نكد نبتعد خطوات حتى ابتدرنى قائلا فى صوت هامس : « انت لا تعرف مدى المسئولية التى اخذتها على عاتقك ، ذلك أن توتر حالة المريض فجاة انما يرجع فى نظرى الى سبب مجهول ، يغلب على ظنى انه انفعال عنيف ، ويؤيد هذا ان

خدم القصر يتهامسون فيما بينهم ، بأن موقفا مروعا حدث بين الكونت وزوجته فى الاسبوع الماضى » .. وتردد طبيب القرية لحظة،ثم أضاف يقول بصوت شاعت فى لهجته رنة انفعال : « واصارحك القول يادكتور، بأن الكونتس لم تكن دائما مثـالا للاخلاص مع زوجها ، فقـد كانت تتخذ لنفسها عشيقا من أقاربه ، حتى ليقال أن واحدا من أبنـائها الاربعة ليس ابنا لزوجها الكونت ، وانما هو ولدها من هذا العشيق الذى مات منذ أربع سنوات . ولم يكن الكونت على علم بشىء من هذا ، ككل الأزواج ، فالزوج دائما آخر من يعلم ، لكنى أعجب كيف ساورته الريب والشكوك فى الايام الاخيرة ، الى حد أن معاملته لزوجته قـد تغيرت تماما . وأردت يوما أن أتحقق من صحة رأيى ، فتحينت لحظـة مناسبة كنت أجس فيها نبضه ، وذكرت أمامه اسم العشيق المتوفى الذى طالما رددته الالسنة ، فأخبرنى نبضه فى نفس اللحظة بأنه يعرف ، لست أدرى من أين ، ولكننى تأكدت على كل حال . ومن يدرى ؟ فربما يكون قد علم من رسالة من مجهول، أو من أعتراف ، مستغفد وقع فى يده »

وما كدت أستمع الى حـديث الطبيب الريفى ، حتى فهمت مغزى تلك الوصية الغامضة التى أوصـانى بها أستاذى الكبير ، وتملكنى العجب لقـدرته على تشـخيص أعراض المأساة التى كانت تحيط بالمريض الكهل ، فـكان أول شىء عنيت به عندما عدت الى غرفة المريض ، أن أهيىء له جوا من العزلة التامة ، فلا يدخل غرفته أحد الا اذا حصل منى على اذن خاص . وسألتنى الكونتس قائلة وقد أطلت من عينيها دهشة بادية :

ـ أيشملنى أمر المنع أيضـــا يا دكتور ؟ !

فقلت لها فى حزم ، ودون تردد:

ـ نعم ياسيدتى

وحانت منى التفاتة الى وجـه المريض فى تلك اللحظة ، فرأيت فى عينيه بريقا غريبا ينطق بفرح غامر . وانصرفت الكونتس بعد لحظة ، فأخذ المريض ، وقد أفادته الاسـعافات الأولى ، يعبر لى عن شكره وتقديره لتحملى مشقة الحضور الى قصره ، ويثنى ثناء عاطرا على أسـتاذى الكبير ، ثم صمت لحظة قال بعـدها فى بساطة ظاهرة :

ـ انى أشعر الآن بتحسن يادكتور، وفى استطاعتك ان شئت أن تتركنى بعض الوقت لتقـوم بجـولة فى قريتنا ، تشـاهد فيها كنيستها الرائعة التى ترجع الى القرن الحادى عشر . وفوق هذا ، فاننى أريد أن أرسل بعض البرقيات ، وأناشـدك شخصيا أن تتولى بنفسك ارسالها من مكتب البريد . ترى هل تؤدى لى هذه الخدمة ؟

ولمعت عيناه ببريق مفاجىء وهو ينطق بكلماته الاخيرة ، فبدا وكأنه استطاع أخيرا ان يجد من يثق به ، ويعتمد عليه فى القيام بعمل عظيم الشأن فى نظره . ولم يسعنى طبعا الا أن أقبل رجاءه ، فقلت له وانا أجلس الى المائدة ليملى على مايشاء من البرقيات :

ـ حسنا ياسيدى الكونت ، انى على استعداد !

وكانت أولى هذه البرقيات مرسلة الى « جان دى دوكتيل » ، الضابط فى بلدة « نانسى » ، أما الثلاث الاخرى فكانت موجهة على الترتيب «للويس دى روكتيل » الضابط كذلك فى « بواتييه » ، و « روبير دى روكتيل » الملحق بالسفارة الفرنسية فى لندن ، و « ايمرى دى روكتيل » الطالب بكلية الهندسة بجامعة باريس . وكان هؤلاء جميعا هم أولاده الاربعة ، وكانت كل البرقيات تتضمن معنى واحدا ، هو خطورة حالته ودعوة عاجلة بالحضور . وقال لى الوالد المريض بمجرد أن فرغت من كتابة البرقيات :

ـ لقد تصفحت جدول مواعيد القطارات ، فعرفت منـه ان فى استطاعتهم الوصول الى هنا عصر غد . وعليك أن تحافظ على حياتى يادكتور حتى هذا الموعد

وسكت لحظة كأنما ليلتقط انفاسه ، ثم عاد يقول :

ـ اتعدنى بارسال هذه البرقيات حالا ياسيدى الطبيب ؟

ـ أعدك

ـ وبأن تقدمها بنفسك الى موظف المكتب ؟

ـ نعم

ـ وبألا يعرف أحد اننى كلفتك بارسالها ؟

ـ لك هذا ايضا !

وعندما خرجت من غرفته رأيت الكونتس جالسة على مقعد قريب فى الردهة ، وقد بدت فى حالة عصبية ظاهرة . وقرأت فى عينيها اضطرابا شديدا ، وسؤالا حائرا يطل منهما وكأنها تريد أن تسألنى فى لهفـة . «ماذا قال لك ؟» لكنها تمالكت نفسها وقالت تسألنى بصـوت مضطرب النبرات بعض الشىء :

ـ هل حالته سيئة ؟

ـ نعم . وحذار من الانفعالات ، والعزلة التامة ضرورية و ...

فقاطعتنى قائلة وقد اسـتولى عليها اضطراب أشد :

ـ هل تجد من الضرورى ان أخطر أولادى ؟

فشعرت بدورى باضطراب يسير سرعان ما تغلبت عليه ، وقلت لهـا بصوت منخفض حاولت جهدى ان يكون مجردا من كل انفعال :

ـ من المستحسن حضورهم

وتركتها ومضيت فى طريقى الى خارج القصر ، وانا افكر الباعث الذى

يدفعها الى عدم اخطار ابنائها باحتضار الرجل الذى يحملون اسمه . ولم يسعنى الا ان اناجى نفسى قائلا : « يا لها من امراة مسكينة ، اسلمت نفسها لشهوة غير مشروعة ، وها هى ذى تناضل الان من اجل ابنها الذى ولدته فى فراش الخطيئة ! » . ولم تمض ساعة على انصراف من القصر حتى كانت البرقيات قد سلمت الى مكتب التلغراف

ولذت بالغرفة التى خصصت لى عندما اقبل الليل ، وفى عزمى ان اتجنب الدخول فى المأساة المتوقعة.

وبعد مضى بعض الوقت ، جلست الى المائدة لاكتب التقرير الطبى الاول عن حالة المريض ، غير انى لم اعثر بين الاوراق التى كانت بين يدى على السجل الذى كنت ادون فيه تطورات حالة القلب ، وتذكرت انى نسيته فى غرفة الصيدلية المجاورة لغرفة المريض ، فقصدت اليها ، اسير على اطراف اصابعى متلصصا حتى لا اقلق راحته . غير انى ما كدت اجتاز الردهة حتى ترامى الى اذنى صوت الكهل المريض وزوجته وهما يتحدثان !!

وكان الصوت ينبعث واضحا من خلال باب غرفة الكونت الذى لم يكن مقفلا تماما ، وجمدت فى مكانى ، كتمثال لا تدب الحياة فيه ، وامتلأ قلبى رعبا حينما جاءنى صوت المريض وهو يخاطب زوجته قائلا :

— نعم سيكونون جميعا هنا غدا

ثم سكت لحظة ، واضاف يقول بصوت خشن النبرات :

— ولكن ، الا تتكلمين قبل وصولهم ؟

فأجابته قائلة فى صوت كالانين :

— كلا ، كلا . هذا مستحيل !

— مستحيل ؟! سوف اعرف اذن كيف احملك على الكلام

— انت تعرف كم اقاسى منذ وقعت فى يدك تلك الرسالة المشئومة !

— نعم ، الرسالة المشئومة ، التى لم تواتك الجراة على احراقها ! انى اريد ان اعرف اسمه . ايكون « جان » ابنى البكر ؟ كلا ، مستحيل ، فقد كنت صغيرة وقتئذ ! اهو « لويس » ؟ هذا مستحيل ايضا ام هو « روبير » ؟ ام تراه « ايمرى » ؟ آه ! .. لشد ما احببته ! انه من لحمى ودمى ، والباقون ايضا ، لقد احببتهم ... من منهم ... من يكون ؟!

فأجابته قائلة فى صوت مخنوق :

— لاداعى للالحاح ، فلن ابوح

— بل ستتكلمين ، ستتكلمين والا اهدرت شرفك امامهم . فغدا سوف يكونون جميعا الى جانبى ، وسوف اقول لهم عندئذ انك كنت تتخذين عشيقا ، واقرأ عليهم رسالة ذلك الاثيم ، ومنها يعرفون ان واحدا ليس منى ، ثم اموت بعد ذلك ، واكون قد انتقمت

فصرخت تقول فى يأس شابه جزع شديد :

- لا ، انك لن تفعل . لن تغرقني في العار بقية حياتي أمام الاولاد !!

- تكلمي اذن ! من منهم الذى ليس مني ؟

- ليس في وسع الام ان تجيبك الى ما تطلب ، وتسلم اليك هذا الولد . انه لاهون على ان تنزل بى النقمة وحدى ، ولكن ... تذكر ربك الذى سوف تلقاه

- بعد أن اكون قد انتقمت لنفسى !

ثم ساد الصمت لحظة ، سمعت خلالها زافرات اليمة بائسة ، ففررت هاربا اعتصم بغرفتى ، وقد روعنى قسوة الرجل البالغة ، وحز فى نفسى بؤس المرأة الهائل !

وجلست فى مقعدى انتفض من سوء ماسمعت ، وانا اسائل نفسى عما اذا كنت قد جئت لامكن الكهل المريض من أن ينفذ انتقامه الرهيب ! ترى هل تنحصر مهمتى كطبيب فى أن اساعد هذا الشيخ الفانى على أن يلوث شرف زوجته الأم ، تحت سمع أولادها وبصرهم ، وأن يشكك الاولاد فى نفس الوقت فى أصل مولدهم ؟ ومادت بى الارض عندما تذكرت اننى انا الذى أرسلت اليهم البرقيات ، ولكن ، الا يمكن من ناحية اخرى ، أن يذهب هذا الرجل ضحية لأزمة حادة قد تنتابه من جراء هذا الانفعال ؟

وبينما انا غارق فى دوامة من هذه الخواطر ، اذ جاءنى خادم يخبرنى بأن الكونت قد دهمته نوبة شديدة الخطر ، فاسرعت الى غرفته وقد تملكنى شعور بالقلق ، وهناك وجدته راقدا متقلص الوجه ، وهو يعانى من احتباس بولى خطير ، يعتبر من ابرز اعراض المرض الكلوى حين يبلغ غاية خطورته . وكانت النوبة مصحوبة بغيبوبة تامة ، وكنت قد رأيت أستاذى الدكتور « تروسو » يعالج أمثال هذه الحالات بالضغط عدة مرات على الوريدين ، فجربت هذا العلاج لبضع دقائق ولكنه لم يأت بفائدة على الاطلاق !

وحانت منى التفاتة الى زوجة المريض فرأيتها جاثية ، تتمتم صلاة خافتة عند حافة الفراش ، وقد دفنت وجهها فى يديها . ترى ماذا كانت تقول ؟ أكانت تطلب من الله أن يضع حدا لحياة زوجها قبل أن يتمكن من تنفيذ انتقامه المروع ؟ هذا ما لا يستطيع احد أن يجيب عنه !

ولما اخفقت الوسيلة الأولى للعلاج ، لم اجد امامى الا غير وسيلة اخيرة تنطوى على شيء من الخطورة ، الا وهى طريقة الفصد . وما أن اتجه خاطرى اليها حتى واجهت موقفا بدا فى نظرى عسيرا ، رغم انه كان واضحا كل الوضوح . ذلك اننى وجدت نفسى لبضع دقائق ، أعانى حالة من التردد وحيرة الضمير . فها هو ذا المريض طريح الفراش ، تكاد تصرعه النوبة العاتية ،

وهو ميت فى رايى لامحالة ، سواء اقمت بفصده أم لم أقم ، وكل ما يترتب على هذه العملية من اثر ، لا يعدو أن يكون وقف النوبة ، وتأخير موته يوما أو يومين على اكثر تقدير ، ومعنى هذا انى سأقدم له من القوة والوقت ذلك القدر الذى يحتاج اليه تماما لتحقيق انتقامه الرهيب . فهل ترانى اكون شريكا له فى فعلته ان انا مددت له فى حياة لامحالة ذاهبة ، واصبح بذلك سببا فى كارثة تنزل بخمسة اشخاص ؟

واحسست بحلقى يجف ، واخذتنى رجفة قاسية ، وانا أتمثل فى خاطرى هول مايحدث لواقدمت على اجراء عملية الفصد لهذا الشيخ الفانى ! وتردد فى اعماق نفسى صوت يقول : « كلا ، كلا . لن افعل هذا . لن أجعل من نفسى شريكا فى تنفيذ هذا الانتقام القاسى ! » غير انى ما لبثت أن سمعت صوتا آخر ينبعث من طيات ضميرى ويهيب بى قائلا :

« هب انك كنت امام مريض آخر ، فماذا كنت تفعل ؟ لاشك فى انك كنت تفصده !! »

وقفزت الى خاطرى فى تلك اللحظة حكمة أبقراط الذى أوصانى بها أستاذى الكبير « تروسو » وتمثلت فى ذهنى صورة عودتى الى باريس عقب وفاة المريض ، واستاذى العظيم وهو يسألنى بقوله : « هل جربت وسيلة الفصد ؟ » وتخيلت النظرة التى سيواجهنى بها ، فشعرت عندئذ بأنه لا طاقة لى باحتمالها . وفوق هذا ، فلا يزال أمامى ضميرى كطبيب ، وهو لن يتردد فى أن يصدر حكمه على

▭

واستجمعت اطراف عزيمتى وقمت بعملية الفصد ، فلم تكد تمر بضع دقائق حتى كنت قد اخرجت من جسم المريض اربعمائة جرام من الدم ، وسرعان ما لاحظت ان الهزات قد اخذت تهدأ وان تنفسه قد بدأ فى الانتظام

ونجح الفصد نجاحا كاملا ، وبدا على المريض تحسن ملحوظ بعد اقل من ساعة . فلما وصل الابناء الاربعة فى عصر اليوم التالى ، وجدوه فى قمة غضبه وقسوته ، وسرعان ما حدث الموقف الهائل ، واهدر الرجل شرف زوجته امام اولادها الاربعة ، فغرس بذلك بذور الشك فى نفوسهم جميعا من ناحية صحة ابوتهم وبنوتهم ، وكانت الصدمة من القسوة بحيث ماتت الام قبل انقضاء عام !! أما الابناء ، الابناء الاربعة ، فقد انطلق كل واحد منهم لا يلوى على شىء ، وفر من وجه اخيه ، فهم لا يلتقون !!

وقد تنتقدون مسلكى أيها السادة والسيدات ، غير أن ضميرى مرتاح تماما الى ما فعلت ، وهو يؤكد لى انى لم اخطىء ، اذ ان راحة الضمير انما تكون فى تنفيذ الواجب فحسب ، وان بدا لنا فى بعض الاحيان شاقا مر المذاق

قصة مصرية

جميل الحب

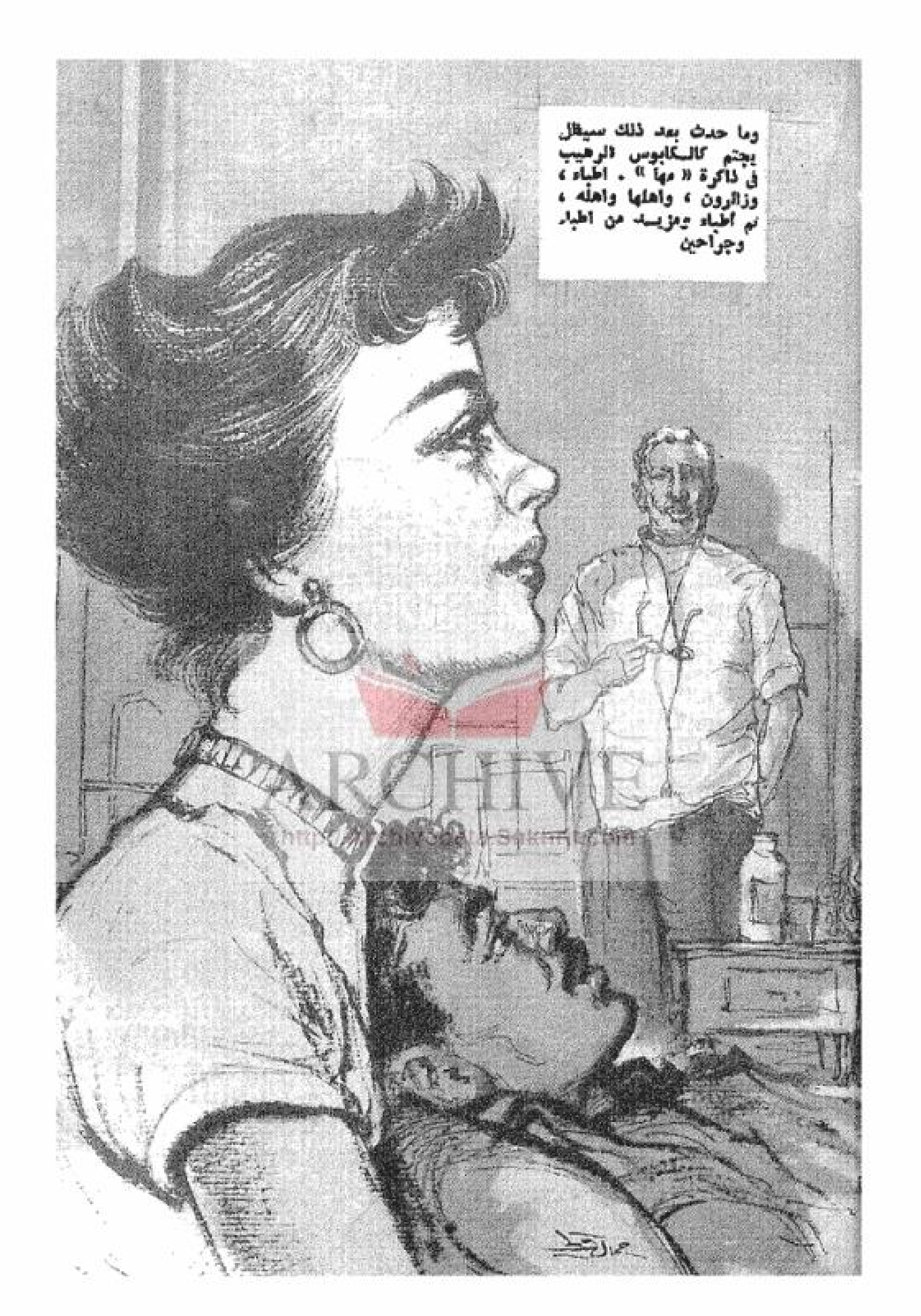
بقلم السيدة جاذبية صدقي

« جميل الحب ، ولكن اجمل منه التضحية .. التضحية ، وايثار الحبيب على النفس والروح والحياة جميعها »

لو انك لمحتها وهي ترنو اليه هكذا بكل تلك المعاني في نظرة تتلألا .. في بريق يومض .. في انكسار جفن .. أو رعشته .. أو انقشاعه فجأة على مصراعيه ، كأنه باب يرحب مفتوح الذراعين بالحبيب ، لآمنت أن العين دائما ابلغ من الكلام .. وأروع .. وأوقع ـ حتى تحت ظل أهداب مسترخية يقبع المعنى أحيانا ! حتى من فرجة كشق النبقة بين هدبين هشين كجناحي فراشة يطل المعنى احيانا !

ولو انك تأملت يديها على حجرها ـ كأنهما توأمتان ـ واحداهما تلعق الاخرى .. ولا تني تضغطها .. أو تفركها .. أو تضرب بها ضربات خفاف سريعة كأنما الانامل أطفال تتشيطن وهي تهيب بها أن تهدأ ، لحدست أن داخلها ثورة .. واضطرام .. وخفقات . ثم لو أن نظرتك قفزت من يديها الى شفتيها، والعليا الرقيقة المهذبة تحاول أن تمسك بزمام السفلى الجامحة ـ تعضها مرة .. وتدغدغها مرة .. ثم تبتلعها في يأس لتخفيها تماما مرة ثالثة ، لتسمرت نظرتك تلك على الثغر العنابي الذي انقلب الى ساحة مصارعة

ولن يمكنك بعد ذلك الا أن تدور بنظرتك تبحث عنه .. هو .. محور هذا الاضطراب كله ، هذا الانفعال كله. فتراه . الى جوارها. دائما « حسن » الى جوار « مها ». دائما. كأنما هي القلب وهو نبضاته ... هي الورد وهو شذاه .. هي الضوء وهو بهاه ، جزءان لا ينفصلان ـ بل كل لا يتجزأ . وحدهما أو وسط حفل شامل تراه يضغط خصرها بذراعه ويقول لها أشياء كثيرة جدا ـ بعينيه . وقد تلفتك


وما حدث بعد ذلك سيظل
يجثم كالكابوس الرهيب
فى ذاكرة « مها » . أطباء ،
وزائرون ، وأهلها وأهله ،
ثم أطباء ومزيد من أطباء
وجراحين

عنهما ـ لحظة ـ موسيقة أو صديق . فاذا عدت اليهما فاجأتهما ينسحبان الى الشرفة والى نجوم الليل يتأملانها أو لعلهما يحصيانها معا . والناس دائما تسعد بمنظرهما ـ حبيبين أو على أكثر تقدير : خطيبين ! لكنها .. الناس .. دائما تعجب أشد العجب وترفع حواجبها دهشة عندما تعلم أنهما زوجان . فتمصمص النساء شفاهها حسرة على نفسها ، وينزوي الرجال بعيدا عن سخط الزوجات وتقريعهن . انظر يارجل ـ انظر وتعلم ! ألف حسرة على بختي ـ الرجل يا اختى يخرج من البيت وغضب ربنا على سحنته ، ويرجع الى البيت وغضب ربنا على سحنته ! عيني على !

ويزيغ الرجال

ويغضبون منه ـ من « حسن »

وتقيسها النسوة ـ يقسن « مها » ـ بنظرة وهمسة . والنبي انا أحلى منها ولكن البخت والنصيب !

.. و « مها » و « حسن » عصفوران فوق شجرة ـ لا تصل اليهما همسة ولا يشعران بنظرة. أبدا يحومان .. أبدا يتبادلان الود في خلوة أو بين الجموع كأنما مشاعرهما نور لا يمكن اخفاؤه . وجد الناس أو لم يوجدوا .. ذلك النور هو هو . يسوى لها خصلة متهدلة من شعرها ، يمسك بها بأطراف أصابعه في خفة وحذر كأنها فرخ غض رقيق ينقله الى عشه بين اخواته . فتمد هي يدها بلا وعي تسوى رباط عنقه . ولن تستطيع البتة أن تعرف ان كانت نظرتها تلك الحانية التى تتأمل بها رباط العنق وهى تسويه ، نظرة توصية بـ « حسن » ، أو ان كانت نظرة حسد لانه يلف عنقه كما تفعل هي بذراعيها أحيانا . أما هو ـ ذلك الرباط ـ فيحيط عنق الحبيب طول الوقت ، كل الوقت . كانت نظرة عين ينضم بعدها الجفنان بقوة كأنهما شفتان ترسمان قبلة.

□

و « حسن » نجم في لعبة كرة القدم . وهو لم يتزوج « مها » لانها مولعة باللعبة .. وتتبع انبائها ولا تفوتها مباراة . بالعكس ، لم تكن تحضرها ، فهى لا تحب العنف الا بقدر ما تحب النملة حوافر الخيل . هى تفضل لعبة «التنس» حيث الجلسة عينها في هواء طلق وحيث اللهفة عينها والترقب ثم المهارة واستعراض رشاقة وحنكة ـ بلا عنف ـ فتذهب كل عصر .. أيام المباريات .. الى ناديها الانيق الهادىء وتشترى زجاجة شراب مثلج تأخذها معها الى مقعد امامى في ساحة اللعب . وتجلس وحدها أو مع من يكون حاضرا من أهلها وتروح ترشف متمهلة بطرف شفتيها رشفات خفافا .. قصارا .. تشبه الشهقات كأنها فراشة تمتص رحيق زهرة . ويدور اللعب .. وعيناها تتبعانه بشغف .. ويداها على حجرها ساكنتان .. وشعرها يقبع على كتفيها وحول رقبتها كالطفل الوديع .. والناس من حولها مجانين ـ يتململون .. ويصفقون .. ويتصايحون ..

واعناقهم تتلفت مع الكرة من اليمين الى الشمال كرقاص الساعة. كان كل انفعالها هى بين حناياها ، وكل اضطرابها هى فى بئر . لذلك تعب «حسن» عندما عرفها واحبها تعب واجهد بل لهث خلف كلمة من شفتيها .. من عينيها .. تطمئنانه سدى . شفتاها كما وردة مطبقتان واهدابها تنسدل فى صمت . فلا يفهم . مع أن المعنى كله والمغزى كله قد يقبع تحت ظلال اهداب مسترخية هكذا ، فانه هو لم يكن يفهم سوى الكلمة المسموعة .. سوى العاطفة الملموسة الظاهرة . فحياته واقعية . عمره طوله يلعب كرة القدم ويلم بقواعدها .. واصولها .. وفنونها — هنا تقذف الكرة ، ومن هناك تصد ، هنا هجوم وهناك دفاع . داخل تلك الحدود البيضاء المرسومة على ارض الملعب ، اما خارج تلك الحدود فلا .. قواعد ملموسة يسير عليها ، تكيفت بها اخلاقه وطباعه .. ومعاملاته مع زملائه . وهكذا كان يتطلب من الجميع . فلما اعترضت طريقه تلك المخلوقة الهشة التى تسدل أهدابها اذا سالها المرء سؤالا ويشع من وجنتيها تورد كانما يتطلع المرء الى صفحة السماء ساعة الشفق ، فقد انقلبت حياته .. ونظرياته .. وطباعه ، حتى ميوله . أصبح يحب لعبة «التنس» . فذهب الى احدى مبارياتها ذات عصر وهو يؤكد لنفسه انه انما يذهب لان الوان الرياضة كلها جديرة بدراسته . ولكن قلبه كليه لم يطعه ولا أطاعته عيناه . فقد تعلقتا بوجه «مها» لا بالكرة الطائرة الحائرة بين مضربين . لقد راقب اللاعبين لحظة ثم قال لنفسه : بلاهة! لماذا خلقت القدم اذن ؟

□

واكب بعينيه واهتمامه وحواسه جميعا يرقب « مها » على بعد . فلم يجرؤ على الاقتراب منها . فهو لم يكن قد عرفها معرفة تبيح له التقدم منها . ومصافحتها هى ومن فى صحبتها من الاهل . ومع انه رآها اليوم السابق فى حقله هو — فى المباراة النهائية الكبرى التى لعب فيها وتألق وحملوه على الاعناق ، الا انه لم يجرؤ . ولم تكن « مها » قد ذهبت الى المباراة تلك المرة اليتيمة باختيارها . « عفت » هى السبب . « عفت » ابنة خالتها — الشيطانة .. الصخابة .. الجبارة التى تسيطر على « مها » بصخبها وضجيجها وصوتها العالى . فتوافقها « مها » لا عن ضعف ولكن كى تضع حدا لمناقشة « عفت » . فلما جاءتها ذلك اليوم — اقتحمت عليها بيتها كالزوبعة واكتسحتها امامها تجرها جرا وهى فى اوج اضطرابها وصخبها ولهفتها ، آثرت « مها » السلامة ، فذهبت معها . وهناك رآها « حسن » . كانت له معرفة بـ « عفت » ولمة صديقاتها المتحمسات للعبة . فلما فاز فريقه بفضله وبتصويبه السديد وحمله زملاؤه على أعناقهم وساروا به بين الصفوف ، توجه هو بنظرته وتحياته الى « عفت » وعصبتها . فلمح « مها » بينهن —

هادئة..عذبة .. فاتنة فى هدوئها وجمالها . وكان هو مجهدا .. مضطربا .. متوتر الاعصاب .. يجذبه المعجبون هذه الناحية وتلك .. والضجيج حوله يصم الآذان.. وتراب .. وعرق .. وشعور منفوشة .. وأوراق متناثرة على الارض .. وزجاجات فارغةمبعثرة تحت الارجل . وهى .. «مها».. فى مقعدها فى الصف الاول..زهرة غضة منعشة فى صدر الحر .. والصخب والضجة . فتعلقتنظرته بها فى استماتة . حتىبعد أن ابتعد به حاملوه خارج الملعب كاد يقصم عنقه وهو يتلفت جاهدا ليتزود منها بنظرة . وحط عليه سكون وهو قابع فى استسلام فوق أعناق زملائه . وتاه مع افكاره.من هى ؟ ترى ، من هى ؟ انها .. انها واحة وارفة فى صحراء .. انها الظل لمحرور ساعة قيظ .. انها فىعذوبة رشفة ماء لعطشان .. انها كلمسة كف رطبة على جبهة محمومة — انها .. انها ! ولماذا ينتظر ؟ فقفز « حسن » من فوق الاعناق التى تحتفل به واستبدل بثيابه غيرها أنيقة نظيفة واندفع الى ساحة الملعب ثانية

وقف مذهولا ، كأنما استيقظمن حلم

كانت الساحة خالية تماما . كل من هنا .. وهناك .. رجل يكنس ببطء ، أو رجلان.

ماذا ؟ أنكرت به عيناه ؟ اين ذهبت ؟ هل ذابت كما تذوب الاماني الحلوة ؟ أو لعلهـا كانت طيفا تلاشى مع الغيم

وفجأة برقت عيناه — «عفت» ! انها كانت فى صحبة « عفت » ! لقد لمح «عفت» تميل عليها وتسر اليها قولا فتبتسم الجميلة وتومىء فى صمت

فانطلق الى التليفون . فلما اجابه أبوها لم يلق بالسماعة ولا هو ادعى أن الرقم خطأ ، بل حياه وناداه « عمى » . فله بالاسرة كلها صلة وثيقة،أعضاء معه فى النادى. وجميعهم من أنصار فريقه . فهنأه أبوها بحماسشديد ثم قال له :

— « لحظة واحدة يا«حسن»!»

وضجت « عفت » بضحك مرح كثير صخاب ، وقالت له :

— « تعال غدا الىناديها الهادىء النافس بين أشجار « الزيزفون » ، أقدمك اليها ! »

وكان . ذهب الى ناديها بعد أن حبس جرمه الرياضى المتفجر داخل حلة كاملة محترمة ، زر سترتها بعناية . وانغمس فى صراع مع شعره كى يتادب ويحد من انطلاقه هكذا ويربض فوق رأسه مهذبا . ودهشت قدماه الذهبيتان عندما فارقتا حذاء الملعب الى آخر لامع أنيق ضايقهما

■

وتزوجها

كان لابد أن يتزوجها

كاد يجن . فتزوجها — لعلها تحادثه .. لعلها ترفع أهدابها المسدلة فيقرأ شيئا ما فى عينيها .. لعلها تسمح له أن يتحسس ذلك التورد الذى يتمشى فى وجنتيها

الشـفافتين كلمـا اغمضت . وهي تغفى كثـيرا . لعلهـا تهتم بكـرة القدم !

وقد حادثته .. ورفعت اهدابها وهام هو في اعماق عينيها ـ حادثته .. واحبته .. واغرمت به وبكرة القدم . وحادثها واغرم بها وبلعبة « التنس » . أحب السحاب السابح الذي تحبه .. والنجوم المتنـاثرة التي تحصيها .. وخضرة الطبيعة التي تهواها . وهدأ . واحبت هي حقل اللعبة ... واحصت ساعات التمرين كأنها ساعات عمرها ... وتتبعت ايام المباريات بلهفة وشوق واهتمام . ودبت حيوية في يديها الساكنتين علىحجرها .. وانبثقت حياة في شفتيها كمى الوردة المطبقين ... واندلعت حرارة في عينيهـا الناعستين

ويراهما النـــاس ، وتبتسم ، وتغمغم :

ـ « والله جميل ... الحب ! »

وعندما اصيب تلك الاصابةالبالغة في ركبته وحملوه الى عشهما غارقا في اغماءة عميقة ، كانت هي جالسة في أول صف . ترقبـه .. وتدعو له .. وكفاها تتشبث احـداهما بالاخرى وتدقان صدرها . ثغرها مشقوق عن شهقة خرسـاء ... وعيناها على وسعهما تحصيان كل حركة ... كل وثبة ... كل ضربة كرة موفقة... وانفاسها فيصدرها قصار .. متلاطمة .. مضطربة.. ترتد عن حلقها . فلما لمحت ذلك الرجل الماكر في الفريق الآخر يوجه ضربة خبيثة الى ساق « حسن » وسط زحام اللعب والكر والفر ، قفزت ملتاعة تصرخ :

ـ « الخائن ... الخائن ! »

ولكن ، ما الفائدة !

■

حملوا « حسن » الى عشـهما الجميل مصدوع الركبة

وماحدث بعد ذلك سيظل يجثم كالكابوس الرهيب في ذاكرة «مها» : اطباء ... وزائرون .. واهلها .. واهله . ثم اطباء ومزيد من اطبـاء واخصائيين وجراحين

واخيرا طوى كبـير الجـراحين نظارته ببطء وعناية قصوى كأنمـا كل عبقريته تكمن فيها ، ثم وضعها داخل علبتها ثم مسح على شـاربه الرمادى .. مرة بعد مرة .. في تفكير وحيرة وتردد . ثم قال لهـا وهو يضع يده على كتفها :

ـ « اسمعى يابنتى . لابد من بترها ! »

فترنح عشهما الصغير في خطر كأنما اغار عليـه صـقر . وعلت ضوضاء عاصفة أطاحت بهدوئه . وتضاربت الآراء وانقسم الاهل على أنفسهم . وافق البعض وعارض البعض الآخر بشدة .. بعنف .. باصرار . وكان هو .. « حسن » .. على رأس هذا الفريق . سخر من الاطباء الذين افهموه ان حياته عينها في خطر ، وصاح :

ـ لن اعيش عاجزا يوما واحدا، موتي احسن !

فارتمت « مها » الى جوار سريره تحتضن ساقيه بذراعيهـا وتدفن وجههـــا فيهما .. وتمرغه ..

وتمرغه :
ــ حسن .. حسن !
ــ حرام يا « مها »... حرام ! انت شابة . وعروس !.
... وهى على حالها :
ــ حسن .. حسن !
ــ ابدا يا « مها » ــ لن أدعك تخجلين من زوج كسيح !
فوضعت انملتين بسرعة وعتاب فوق شفتيه بتصدان الكلمة القاسية . فلثم الانملتين . وابتسم لها . لكنه هز رأسه بشبح عن الحافها :
ــ أبدا يا « مها » ــ ابدا !
سدى أقسمت له .. سدى حاولت اقناعه .. افهامه ... تعقيله
فهز الاطباء اكتافهم وانسحبوا ، واحدا وراء زميله . انسحبوا مطأطئى الرءوس كأنما يسيرون فى جنازة ، وعلى وجوههم مسحة من حزن كأنها اعلان نعى
فصرخت « مهـا » وتعلقت بكبيرهم . فتوقف .. فى عطف .. حتى هدأت واستمسكت ، فقال لها وهو يتأمل الدموع فى عينيها :
ــ أفهمينى يا بنتى ــ لابد ... لابد من بترها !
وكان أبوها قد أشار بتخديره خلسة لم بتر تلك الساق التى تهدد حياته كلها . وكان الجراح الكبير قد عارض بشدة :
ــ مستحيل ، لا يمكن هذا ضد القانون . لابد من اقناعه وموافقته . ثم ما القول فى الصدمة العصبية عندما يفيق ؟ انها تكون أبعد خطرا حينئذ !

فحنى الجميع الرءوس . وسكتوا ومزع « حسن » أعصابهم .. وفتتها .. وبعثرها . تمر الايام وتزداد حالته سوءا ويزداد هو عنادا . حتى حدد لهم الأطباء يوما تصبح الجراحة بعده بلا فائدة . وكانت « مها » تتلوى فى حرقة وتقول لهم فى ضراعة :
ــ خذوا من دمى .. من شبابى .. من عمرى .. وهبوه صحة وعمرا !
... وهى ، قبل غيرها ، تعلم تمام العلم أنه لاجدوى لهبتها هذه ... وضراعتها هذه .. وكلامها هذا . لكنها كانت تقوله . ان حياتها غالية ، ولكن ما معناها عندما تخلو من « حسن » ؟ ارتعدت « مها » . حياتها غالية ولكن اغلى منها قلب « حسن » ــ قلبه وحبه وثقته . ثقته ! قلبه ! حبه ! لاكت « مها » هذه الكلمات فى عقلها بترو كأنما تستمرئها . أشياء غالية ، غالية ولكنها ستضحى بها .. وتنقذه ! ستشترى بها حياته .. وشبابه .. وصحته ! أجل ، اجل ! ستنقذها انها الخيط الرفيع الباقى لها من الامل . جميل الحب ، ولكن أجمل منه التضحية ــ التضحية وايثار الحبيب على النفس .. والروح .. والحياة جميعها !
فكان أن هرولت « مها » خلف الجراح الكبير ذلك اليوم وهو يهم بمغادرة مشهما يائسا بعد ان بسط رأيه فى صراحة ووضوح
وفى الدهليز الصغير .. وفى غفلة من الجميع .. وعتمة المغرب تخط

على الكون .. وعلى ضوء مصباح ضئيل ، اتفقا
وضغط الطبيب كتفها فى انفعال :
ـ أنت انسانة ـ انسانة !

□

ومنذ تلك اللحظة ، غابت عن حجرة المريض
فاذا سأل عنها تلعثم الطبيب .. ثم عبس .. ثم هرول مضطربا الى الخارج ، وجاءه بواحد من اهلهما . فيقول له :
ـ « مها » لقد ذهبت تصفف شعرها !
او :
ـ « مها » اصطحبت جارة الى حائكة الثياب !
وتعود « مها » فتندفع داخلة الى حجرته بشبابها كله وجمالها كله يتلألأ فى اوج زينته . فيرمقها بسقمه .. وهزاله .. والسم الذى يسرى فى بدنه ، ويسألها محموما :
ـ « مها » .. ماذا جرى ؟
فتهز كتفيها بدلال وهى تمشط شعرها بأناملها ولاتجيب . فيحتد :
ـ « مها » .. أين كنت ؟
فترتجف .. وتزيغ عيناها .. وتتلفت حولها كأنما تبحث عن خلاص . وتزدرد ريقها بصعوبة وتقول له :
ـ أنا ؟ أنا ... أنا كنت ... كنت فى السينما ياحسن !
فيجن :
ـ ولكن ابن خالتك قال لى انك عند الحائكة !
ـ الحائكة ؟ أنا ؟ آه بالحق ـ كنت عند الحائكة !

فيتدخل الطبيب :
ـ يا أستاذ « حسن » ـ أرجوك ! كلمنى بجد . ماذا قلت فى شأن الجراحة ؟
فتتغاضب « مها » وتلوح فى وجه الطبيب :
ـ يا شيخ قال لك الف مرة : لا ! الا تفهم ؟ فض السيرة !
فيعجب « حسن » ويسألها بمرارة :
ـ كنت متحمسة للجراحة ـ ماذا جرى ؟
فتهز كتفيها بلا اكتراث :
ـ ما دمت انت صاحب الشأن ترفض ، فلا حق لاحد فى التدخل! الساق ساقك والعمر عمرك !
وتخرج . وتتركه . وتغيب عنه ساعات .. اياما . ويسأل عنها . فتدخل له متذمرة .. متبهرجة .. بعتذر اليه بكذبة جديدة
فانهار
كانت ساعة مغرب .. وكآبة تحط على القلب .. والبيت خال الا منه ومن طبيبه ... و « مها » قد أقامت ضجة كبرى فى الحجرة .. وصاحت .. ولوحت فى وجهه . وقذفته ببعض كلمات عن ضيقها وتبرمها بالبيت ومن فيه وعن حلاوة الدنيا ـ فى الخارج ـ ثم خرجت وصفقت الباب خلفها
فانهار
ألقى بجذعه على الارض على حين ظلت ساقاه هامدتين على السرير . ارتمى يتلوى وينشج فى حرقته .. فى عذابه .. فى حيرته القاتلة
وكان الطبيب يرقبه عن كثب .

فأسرع اليه وأحاطه بذراعيه يرفعه الى سريره . فتملص «حسن» منه ، يصيح بين نشيجه :

ـ دعنى دعنى لاموت !

فثار الطبيب :

ـ مت اذن ـ مت يا مسكين ! انت تريد ان تموت وهى تريد لك ان تموت !

فلما حملق فيه « حسن » بجنون ، اضاف :

ـ أجل ، تريد لك الموت ليخلو لها الجو فتتزوج « محسن » !

فصرخ كأنما طعنه :

ـ « محسن » ! من « محسن » هذا ؟

فغرز الطبيب السكين حتى نصلها :

ـ حبيبها ، حبيب زوجتك الذى يحادثها كل ليلة حتى الصباح وهى مستلقية فى استرخاء والتليفون فى حضنها ! الا تراها تعارض فى الجراحة التى ستنقذك ؟ لماذا ؟ الم تسأل نفسك ؟

فصرخ « حسن » :

ـ أبدا ، لن أمكنها ! الخائنة .. الخائنة ! سأعيش لانتقم منها ، سأعيش !

وتلك الليلة .. وعلى باب حجرة الجراحة .. سهرت « مها » حتى الفجر محتقنة العينين .. شاحبة الشفتين .. وحلقها جاف تدعو ، وتدعو

وبرز الجراح الكبير فى ثيابه البيضاء يتصبب عرقا. فما ان لمحها وسط الأهل الكثار حتى هرول اليها دونهم ، واخذ يديها كلتيهما بين يديه يربتهما بحرارة ، ويربتهما :

ـ أنت انسانة ـ انسانة !

***

اشتراكية « برنارد شو »

شهد « برنارد شو » ذات يوم اجتماعا اشتراكيا كبيرا فى لندن ، والقى فيه خطابا شديد اللهجة ، فنعى الحالة السيئة التى يعيش فيها المجتمع الانجليزى، وما يسوده من ظلم شديد بسبب سوء توزيع الثروة ، ثم اضاف يقول : « فى اللحظة التى دخلت فيها هذه القاعة ، لمحت سيارة من طراز « رولز رويس » لا يقل ثمنها عن الفين من الجنيهات ، فهل من العدل ان يترك مثل هذا المبلغ لفرد واحد ليستمتع به ؟ اذهبوا وتحققوا من الامر بانفسكم ، ثم قولوا اليس الاجدر ان ينفق هذا المال فى تحسين حال الفقراء وجعل حياتهم ايسر واهون ؟»

وما ان وصل «شو» فى كلامه الى هذا الحد ، حتى راى ان بعض مستمعيه قد نهضوا من مقاعدهم ، والشرر يتطاير من اعينهم ، وقد بدا على وجوههم انهم ينتوون مغادرة القاعة لتحطيم السيارة «الرولز رويس» ، فاسرع يقول لهم فى صوت ثابت تبراله رنة توسل واستعطاف : « ولكن .. لاتنسوا ان هذه السيارة سيارتى ! »

القيصر الصغير

للكاتب الروسي ليو تولستوي

ترجمة الدكتور نظمي لوقا

منذ خمسة اسابيع ارتقى القيصر الشاب على عرش بلاده. ومنذ خمسة اسابيع لم يكف عن مزاولة العمل، على نحو ما يعمل القياصرة: يستمع الى التقارير، ويوقع الاوراق، ويستقبل السفراء وكبار الموظفين والاعيان، ويستعرض فرق جيشه. فاصابه من ذلك ارهاق، وتمنى لو أتيح له يوم واحد لا يستقبل فيه احدا، ولا يلقى خطبا، ولا يستعرض جندا، ثم يخلو في ذلك اليوم الى نفسه فيطلقها على سجيتها، ويجلس الى امرأته الجميلة الذكية، التي عقد قرانه عليها منذ شهر واحد.

> «واخذ القيصر يبكي بحرقة، حتى كادت العبرات تخنقه، ونظر فيما حواه بعينين زائغتين، ثم فكر في كل تلك المشاكل ... و ...»

وحلت ليلة عيد الميلاد، فمنح القيصر الصغير نفسه اجازة، ولا سيما انه قضى الليلة السابقة في عمل متصل ليحصي الاوراق التي اودعها الوزراء مكتبه. ثم اجتمع بوزير المالية لبحث تعديل الضريبة على المنتجات الاجنبية، مما سيدر بضعة ملايين على الخزانة العامة. ووقع مرسوما قيصريا يمنح الحكومة احتكار بيع الخمر للشعب، وارباح هذا الاحتكار ستدر على الدولة بضعة ملايين اخرى

وعلى مائدة العشاء لم يفرغ من العمل، لان كثيرين من الكبراء تناولوا الطعام معه. فكان لزاما عليه ان يتحدث اليهم، لا ليقول ما يريد، بل ليقول ما يريده له البروتوكول

واخيرا انتهت هذه المشاق، وخلا القيصر الصغير الى نفسه، فاسرع بخلع حلته المثقلة بالزخارف والنياشين، ليرتدي ثوبا عاديا كان يرتديه في المنزل قبل ان يعتلي السدة القيصرية. ورقد يستريح قليلا فوق اريكة، انتظارا لحضور زوجته بعد انتهائها من خلع ثياب الاستقبال

واحس القيصر الصغير على الفور بالنوم يثقل اجفانه، فجعل يقاومه

خجلا من حضور امراته فتجده نائما على ذلك النحو . وراح يشغل نفسه بالتفكير ، متنقلا من خاطر الى آخر . بيد أن النوم غلبه على أمره

ولم يدر كم طال به أمد النعاس عندما احس يدا تهز كتفه برفق فتوقظه . فظن لاول وهلة انها زوجته القيصرة . ولكنه عندما فتح عينيه جيدا لم ير القيصرة ماثلة امامه فى جمالها الباهر الذى كان يمنى النفس به ، بل رأى امامه شخصا آخر . انه لا يدرى من هو هذا الرجل . ومع ذلك لم تخامره الدهشة لمرآه . فكأنه كان يعرفه منذ أمد بعيد . بل وكأنه كان يحبه ويثق فيه ثقته فى ذات نفسه . واذا به يتقبله تقبل امر طبيعى لا مناص منه ولا غنية عنه

واذا القادم الغريب يقول له ــ من غير أن يكون لكلامه ادنى جرس :

ــ هيا بنا !

فقال له القيصر الصغير وهو لا يدرى الى اين يراد به الذهاب ، وان كان يدرى ان الذهاب لا مفر منه ، وان الطاعة محتومة :

ــ هيا بنا . ولكن كيف نذهب الى هناك ؟

ــ هكذا !

ووضع المجهول يده على رأس القيصر . فشعر القيصر انه فقد الوعى على الفور . ولم يستطع ان يقدر مدة غيابه عن صوابه . الا انه فطن عندما أفاق ، الى وجوده فى موضع غريب

وأول ما لفت نظره فى ذلك المكان رائحة كريهة مغثية كرائحة النفايات البشرية المتعفنة . اما المكان نفسه فدهليز كبير فيه مصباحان ينشران ضوءا خافتا احمر اللون . وعلى احد جانبى الدهليز جدار فيه نوافذ مزودة بقضبان من الحديد . ومن الناحية الاخرى جدار فيه أبواب مغلقة وقد اتكأ على الجدار جندى نائم . وخلف احد الابواب ضجة لا تصدر الا عن كثرة من الناس .

وكان الشخص المجهول واقفا بجوار القيصر الصغير ، يدفعه برفق الى الامام الى حيث وقف الحارس عند الباب المغلق . فاقترب القيصر من الباب . وبلغت الدهشة غايتها عندما رأى الديدبان يحملق فى وجهه وكأنه لا يراه . لانه جعل يتثاءب ويحك قفاه بكلتا يديه !

وكانت فى الباب المغلق كوة صغيرة ، دفعه الشخص المجهول اليها فوضع عينه عليها . وتأذى من الرائحة المنبعثة من الداخل . وأوشك ان يتراجع ، ولكن الشخص الغريب مسح على عينيه وأنفه بيده فذهب احساسه بالرائحة . واذا به يرى قاعة كبيرة فيها ستة اشخاص حفاة يذرعون القاعة جيئة وذهابا بغير انقطاع . . . ومعهم اشخاص آخرون ولكنهم لا يتحركون . وحركة الاشخاص الستة اشبه بحركة الآلات الصماء لا تفتر لحظة ، وهم فى حركتهم لا يلتفت أحد الى أحد . فكل واحد منهم تستغرقه أفكار خاصة

فغاب عن وعيه برهة، وأفاق ليجد نفسه فى حجرة صغيرة، وعلى أرضها جثة القتيل . وقد بدت منه لحية وخطها الشيب وقدمان حافيتان ويدان قذرتان . والدم يخضب قميصه الازرق البالي . وقد قبعت بجواره امراة هزيلة عليلة تنتحب بصوت مكتوم ، وعيناها لا تتحولان عن وجه الميت . وبجوار المراة وقفت فتاة فى الثانية عشرة ذات جمال أخاذ ، وقد فغرت فاها وحملقت عيناها . ولاذ بجوار المراة صبى فى السابعة لا يحول عينيه عن جثمان أبيه

ودخل موظف وضابط وطبيب ومن خلفهم الجندى الذى أصاب من الرجل مقتلا ، وقد برز صدره زهوا وتيها . فلما رأى القتيل ومن حوله أرملته ويتيماه ، اطرق براسه واكفهر وجهه

وتداول الممثلون للحكومة فيما بينهم ، وكتبوا كلاما على ورق . ثم اغلقوا الملف وصرح الطبيب بالدفن . وعندئذ مسح المجهول على رأس القيصر فتبدل المشهد ، واذا حجرة حسنة الاثاث فيها رجلان يتساقيان الخمر . احدهما كهل أشيب هو زميل المهرب القتيل ، والآخر شاب يهودى فى يده مجموعة من أوراق النقد ، وهو عاكف على مساومة الكهل لشراء السلعة المهربة ، وسمعه القيصر يبتسم ويقول له :

ـ لماذا تتشدد فى الثمن وانت لم تدفع المكوس والسعر فى الخارج رخيص ؟

ـ وهل نسيت المخاطرة بالحياة ؟ هذه أيضا لها ثمن ...

واقشعر بدن القيصر الصغير ، فوضع الشخص المجهول يده على رأسه فغاب عن وعيه ، ثم افاق ليجد نفسه وصاحبه فى قاعة محكمة .

وكان القاضى رجلا بدينا أصلع الراس . ووراءه يقف ليتلو الاحكام بصوت مسموع . وقد مثل فى القفص عدد من الفلاحين الفقراء ، وقد اكل اجسامهم الهزال ، نهضوا جميعا واقفين لسماع الحكم ، الا امراة غلبها النعاس ، وقد تدلى احد ثدييها خارج ثوبها ، وتعلق به طفلها الرضيع . فلكزها الحارس فى بطنها بحذائه لتقف احتراما للعدالة

وكانت القضية موجهة من النيابة ضد هذه المراة التى سرقت حزمة من الشعير من مخزن صاحب الارض . وساعدها على اخفاء المسروق أولئك النفر من ذوى قرباها . وجاء حكم القاضى بحبسها شهرين . فتهلل وجه صاحب الارض الذى كان واقفا فى القاعة . ولما رفعت الجلسة شد على يد القاضى شاكرا وخلا به ودس فى يده شيئا

وعندئذ مسح المجهول على رأس القيصر الصغير فتبدد المشهد ، واذا هذه المراة تسأل المالك شيئا من الشعير تدفع به الجوع كى تقوى على ارضاع الطفل . واذا المالك يهتبل

وتذكر القيصر الصغير على الفور منظر نمر هندى كان قد رآه منذ سنوات محبوسا فى قفص ، فكان لا يكف عن المجىء والرواح فى عنف واستغراب ، ولا ينظر الى احد من الواقفين حول قفصه

وبعد قليل من الامعان تبين القيصر فى أركان تلك القاعة اشخاصا نائمين . وفطن الى وجود بالوعة تنبعث منها تلك الرائحة الملعونة . وكانما نزل عليه الهام فادرك ان مايراه ، حجرة من حجرات سجون دولته ، فقال :

— انى لارثى لهم . فحالهم فظيع حقا . ولكن ماذا اصنع ! لقد جلبوا على انفسهم نار العقاب بمقارفة المعصية !

واذا بصاحبه المجهول يقول له بصوته غير المسموع :

— انهم جميعا هنا بأمرك ، والحكم الذى صدر بادانتهم انما صدر باسمك . وليس كلهم ظالما يستحق العقاب . بل فيهم من هو ابر منك وممن حاكموهم وحكموا عليهم . بل وفيهم قاتل . هو ذاك الشاب . ولكنه ليس اوغل فى الاجرام ممن يقتلون الناس فى المبارزات ، او فى حروب توججها الاطماع ! وهو فى نشأته لم يحظ بمعلم او مؤدب ، بل نشأ بين اللصوص والفجار ، فمسئوليته عما يقترف طفيفة اذا قيست باجرام الناشئين فى مدارج العز ، على يد المربين والمعلمين ...

ثم وضع الشخص المجهول يده على راس القيصر الصغير فغاب عن وعيه برهة ، ثم ثاب ، فاذا به أمام سهول مترامية الاطراف ، بها محصول جيد من البطاطس . وعلى مبعدة رأى قرية من حولها حقول القمح . وقد خلت البقعة كلها الا من جندى يحمل بندقيته على ظهره وبجواره كلب . وغير بعيد منه جندى المانى انصرف الى لف سيجارة . وكان واضحا ان الجنديين لم يسمعا وقع خطوات القيصر الصغير وصاحبه المجهول ...

وتساءل القيصر الصغير اين عساه يكون ، فجاءه الجواب من صاحبه المجهول بصوت غير مسموع :

— نحن على الحدود الالمانية ..

وعندئذ دوى طلق نارى ، فوثب الجندى الروسى متحفزا ولمح رجلين يجريان عن بعد ، فأسرع فى اعقابهما وهو يصيح متوعدا . فرد عليه أحد الهاربين بكلمة لعلها مزحة او سباب . فاستشاط الجندى غيظا ، ورفع بندقيته وصوبها الى احد الهاربين واطلق النار . فاختل توازنه واختلطت رجلاه وخر صريعا . فانكفأ زميله عليه وأخذ من يده شيئا ثم استأنف الفرار

وتساءل القيصر الصغير :

— ما هذا ؟

— هذا حرس الحدود الذى يأتمر بأمرك فى تعقب المهربين . وتذهب أرواح فريق من رعاياك فى هذا السبيل

ثم مسح الغريب على راس القيصر



وعندئذ دوى طلق نارى ، فوثب الجندى الروسى متحفزا ولمح رجلين يجريان عن بعد

الفرصة ليساومها على ما تأباه الحرة، ويلح ، فتلطمه . . . وتخرج ناجية بعرضها . فيبعث المالك المحنق من يدس عليها الشعير ، ثم يدهم بيتها الخفراء . ثم كان ما كان من تحقيق وحبس وعدالة قضاء

ثم مسح الغريب على رأس القيصر الصغير وأراه بعينيه ، وأسمعه بأذنيه مناظر مخزية فى باب الرشوة ، وانتهاك الاعراض واستغلال النفوذ ، تقترف كلها فى ظل قوانين الدولة التى يصدرها القيصر . وأراه مظالم يقشعر لها البدن ومخازى يغثى لها الوجدان

وغطى القيصر الصغير وجهه بيديه وأخذ يصيح

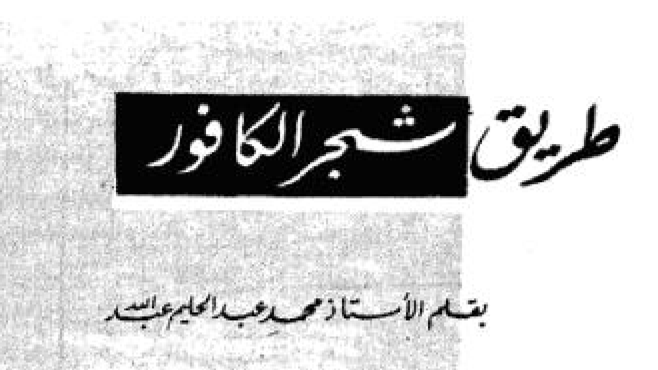
ـ ماذا أستطيع أن افعل امام كل هذا البلاء ! لا أريد ان يضار أحد أو يظلم أو يعذب . وانما أريد لجميع رعاياى الخير والاسعاد . فهل انا مسئول عما يفعله الناس باسمى؟ ما حيلتى ؟ كيف اتخلص من تلك المسئولية ؟ هل أقتل نفسى ؟ هل اترك العرش وأهرب هائما على وجهى ؟ اعنى يارب ! فلا بد لى من تغيير كل هذه المفاسد مهما كان الثمن !

وأخذ القيصر يبكى بحرقة ، حتى استيقظ والعبرات تكاد تخنقه ، ونظر فيما حوله بعينين زائغتين . وظل يفكر فى حلمه الغريب ، وفى وعده الذى قطعه على نفسه . ثم فكر فى تشعب المسئولية وتعقد المشكلة ، وهز كتفيه وهو يطرد الموضوع كله من ذهنه ، قائلا بارتياح :

ـ الحمد لله أن الامر كله من قبيل أضغاث الاحلام

رجاء الى ((شكسبير)) !

عندما وضع الكاتب الخالد « وليم جون شكسبير » روايته المعروفة «روميو وجولييت » طبعها فصلا فصلا على عادته فى كل رواياته المسرحية،وقبل ان يصدر الفصل الاخير من المسرحية الخالدة ، انهالت عليه الرسائل من كل حدب وصوب، وطلب اليه مرسلوها أن يبقى على حياة كل من « روميو » و «جولييت»،ترفقا بهما حتى يتمكنا من الاستمتاع بدور الغرام العنيف . واكثر من هذا انهم تجمهروا أمام المطبعة التى كانت تقوم بطبع المسرحية ، مكررين رجاءهم وملحفين فى الرجاء غير أن الكاتب الكبير خيب آمالهم واجرى على العاشقين النهاية المحتومة



« قتلت زوجك ؟ هل من الممكن ان يجتمع قاتلان على كرسى فى سيارة نقل بمحض المصادفة ؟ »

كانت عيادة طبيب الاسنان فى هذا البندر الصغير مزدحمة بالمرضى هذا المساء . والصالة الصغيرة ملأتها رائحة العقاقير حيث جلس الرجال على مقربة من حجرة الطبيب . أما استراحة النساء فكانت عند نهاية الممر وعلى مقربة من مرافق الشقة . وتجمع فيها عدد من النساء من مختلف الاعمار والالوان ، لكن طابعا واحدا كان يجمع بينهن كلهن وهو طابع الطبقة الدنيا

وكان اللغط السائد فى الحجرة أشبه شيء بلغط الدجاج . ومع الامهات صبيان لا يكفون عن المطالب. وفى زاوية الغرفة سيدة متقدمة فى السن تحكى عن ظلم زوجة ابنها لها ، فى الوقت الذى كانت فيه احدى الشابات فى الركن المقابل تصف ظلم حماتها ، والبلاء الذى تصبه على راسها فى الصبح ، اذا ما أحست ان ليلتها الماضية كانت هنية !

وهناك سيدة فى منتصف العمر كانت تنظر الى الجالسات ولا تتكلم .. وكان فى عينيها قلق من مرور الوقت ، وعلى ملامح وجهها الم ينبئ عن موجات . وحين يبلغ الذروة كانت تضم شفتيها أو تعض السفلى بثناياها . وفى خدها الايسر ورم خفيف ، يدل على أن ضرسها يهددها بخراج . عليها ثوب من الحرير أسود اللون ، عبرت سذاجة خياطته عن طبقة صاحبته ، فهى ريفية الاصل ، انتقلت مع زوجها الى احد البنادر ، تفرق شعرها من الوسط ، وتحدث حالها عن أن زوجها من ذوى الصناعات ، أو هو على الاكثر مستخدم فى مصلحة

حكومية . تقف بين فخذيها طفلة بنت خمس سنوات ، ذات شعر اكرت يميل الى الصفرة ، تأخذها بين الحين والحين سنة من النوم ، فتميل براسها على جسم امها ،واذا استيقظت قطمت قطعة من البسكويت فى يدها، ونادت امها برجاء وتكاسل: « ماما .. ماما .. مش خلاص ؟!»

وكانت الام تنتظر دورها ، وتنظر الى الخارجين من حجرة الطبيب عند نهاية الممر ، وقد كست وجوههم جميعا تعابير من الالم . على انها كانت خائفة كأنها مقدمة على عملية خطيرة ، لان امها ماتت بسبب خراج فى الفم ، ظل ينقلها بخداعه الناعم من مرحلة خطر الى مرحلة خطر حتى انتهى كل شيء

وكانت قد ذكرت هذه القصة لزوجها قبل مجيئها الى البندر ، فأرسلها الى الطبيب بحمية وحماسة ولولا عمله الليلى الذى لايقبل تأجيلا لصحبها الى هناك . لكن سفر نصف ساعة فى احدى السيارات العامة ليس أمرا صعبا على كل حال

ولم يوصها بنفسها لانه يعلم مقدار غيرتها عليها ، فقد عاشرها سبع سنوات لم يربه منها شيء . وهى وان كانت بادية الانوثة ، فانها سريعة التقلب اذا دهمها خطر ، شأن كل فتاة وجدت نفسها مكلفة بالدفاع عن نفسها ، بعد ان مات ابوها فى عنفوان شبابه ، وتزوجت امها فوجدت الفتاة نفسها وجها لوجه امام عاديات الزمن واغراء الرجال

وكان الوقت يمر وهى تتململ ، فهى تريد ان تسافر قبل ان يتقدم الليل . ثم تنفست الصعداء حين قطع الممرض العجوز سؤالها عن الساعة ، ودعاها الى الدخول ، فهرولت تقطع الممر الى حجرة الطبيب ، وقلبها يخفق وشغلت هناك الى مدى ربع ساعة ، ثم خرجت أيضا وعلى وجهها تعابير الالم

وفجاة تحول الالم الى صرخة عندما فطنت الى ان الطفلة لم تكن معها ساعة دخولها الى الطبيب . وفطنت ايضا ــ كأنها تفسر حلما ــ الى ان الطفلة كانت فى آخر لحظاتها بعيدة عنها تلعب مع بنية تقاربها فى السن ، فى حجرة استقبال الحريم . فلما هرولت الى هناك لم تجد أثرا لها . وكان اللغط لايزال سائدا على الصورة التى تركته عليها

وقالت بعض الجالسات فى شيء من الرثاء : « لقد خرجت وراءك » .. واستفسر بعض الرجال الجالسين فى الصالة عن لون جلباب البنية ثم اكد لها انه رآها تخرج من هذا الباب ... هذا الباب .. باب العيادة !

وليس فى استطاعة اى ام الا ان تفعل نفس مايفعله الظمآن الاحمق، حين يلقى بنفسه فى البئر ، كأنما قبل أن يفوت الاوان ويحيق الخطر .

وكما نفتش بلهفة عن شيء ثمين سقط في التراب . فندفنه بايدينا . اخذت الام تعدو في الشارع الرئيسي الذي تقع فيه العيادة وهي تنادي على « فوزية » .. وكلما ابتعدت عن المكان خيل اليها انها على وشك ان تلقى بنتها

ومن خلال الغطاء الكثيف الذي سقط على احساسها ، فجعله كاحساس السكارى ، رات تجمع الناس حولها وسمعت الى مشورة كثير منهم . وكانت تشرع في تنفيذ احداها ، ثم تعدل بسرعة ؛ لتاخذ بمشورة اخرى ، في ارتباك وفوضى وجزع ... وكلمات الرثاء تثير دمعها ، اما النظرة الجامدة من بعض الوجوه فكانت تشعل النار في قلبها

وكانت تفحص وجه كل طفلة وتكاد تلمس كل شعر مجعد . وخيل اليها انها على وشك ان تلقى زوجها في احد الشوارع ، بل لعله لاح لاوهامها في النور بوجهه المستطيل الاصفر ، وشعره الحالك السواد ، وشاربه الرفيع المسبسب . والهبت هذه الصورة مخاوفها ، واشترك الحنان والخوف في القائها في النار ، فصارت تصرخ بأعلى صوتها : « فوزية .. فوزية .. »

واحست ان يدا قوية تمسك بمعصمها ، ونظرت فاذا رجل ضخم في ثياب بلدية ، يبدو عليه انه من التجار ، يدعوها بصوت غليظ منخفض الا تضيع وقتها ، وانه يجب ان تذهب الى الشرطة فتبلغ عن ضياع بنتها

ونظرت اليه بعينين زائغتين . ولكنها لم تجد ماتقوله . وانصرف الرجل وظل صوته عالقا في اذنيها كانه بقايا أزيز . وفطنت الام الى الم يناوشها في فكها . وصداع يحتل راسها كله ، وجفاف في حلقها ومرارة . ثم فطنت الى انها عادت من حيث اتت ، والى ان اللافتة التي تحمل اسم الطبيب ظهرت في مواجهتها . معلقة على الشرفة المستطيلة ذات الحديد المصنوع على هيئة كئوس . وكانما كان هذا المنظر نذير فشل ، فخيل اليها انها فرغت من الجولان في كل الازقة ؛ وانه لم يبق الا الياس ، بدليل انها عادت الى نفس المكان ! فصرخت بحلقها الجاف تنادي على بنتها . وعندئذ جاءها صوت خائف ملهوف : « نعم ياماما . . »

وتلفتت الام وهي تجمع ماتشتت من حواسها ؛ لتفرق بين الحقيقة والوهم . ولكن ذلك لم يكن وهما بل كان حقيقة . فهذه « فوزية » في يد الممرض تنتفض من الخوف . وتقف الدموع على اهدابها ، وحبات العرق على جبينها الصغير . ولم تسأل الام اين كانت بنتها ، فقد كان المهم هو ان تراها في الوقت الذي اخذ فيه الرجل الضعيف البصر الذي جاوز الستين من عمره ، يصف لها كيف انه وجدها نائمة في دورة المياه الملاصقة لاستراحة الحريم ؛ بعد

ماانصرف المرضى وكان هو فى سبيل اغلاق العيادة

ولم تكن تدرى كم مر من الوقت، فان الحوادث قد سرقتها . واتجهت من فورها نحو الطريق الزراعى لتعود الى بلدها ، وكان الوقت صيفا والليل بادى النداوة ، خصوصا على شجر الكافور

واخذت نفسا طويلا حين صافحها النسيم ، وتذكرت وجه زوجها وقلقه عليها ، ثم تذكرت ثقته فيها عندما تصل بالسلامة وتحكى له حوادث الليلة وتوقعت بعض الملامة، فأخذت تجهز الاجابة والاعذار

لكن مشكلة جديدة مالبثت ان لاحت على الافق ، فقد طال انتظارها لسيارة الاوتوبيس ، التى تعتبر المواصلة الاولى على هذا الطريق . ولما ضاع الوقت أخذت توازن بين القلق الصاخب ، والقلق المكبوت اللذين عانتهما فى هذه الليلة

وبهر عينيها على بعد ضوء أحد الكشافات ، فرفعت يدها تشير بالوقوف لكن حركة الاندفاع نحو الامام كانت تدل على أن السيارة لن تقف . ووقعت الام والطفلة فى نطاق النور ثم حاذتهما السيارة ثم جاوزتهما وعبرت ثم توقفت بعد ذلك !

ولم تتحرك الام من مكانها حين رأتها أحدى سيارات النقل التى تمر أحيانا على الطريق . لكنها سمعت صوتا يناديها : « ياست .. ياست .. تعالى ياست » !

وتقدمت آليا بلا ارادة ، كما نعانق الاخطار لفرط خوفنا منها . وكان الصوت لايزال يناديها آمن النبرة هادئا فيه خمول النوم . تقدمت الام بعد أن وازنت بسرعة بين كل الاخطار . فنحن فى طرفة عين نصدر أحكامنا بطريقة غريزية لا عقلية اذا هددتنا المخاوف . على ان المرأة تذكرت آن شخصا ما سينقذها على الطريق .. حتما

ووصل اليها الصوت من مقعد السيارة :

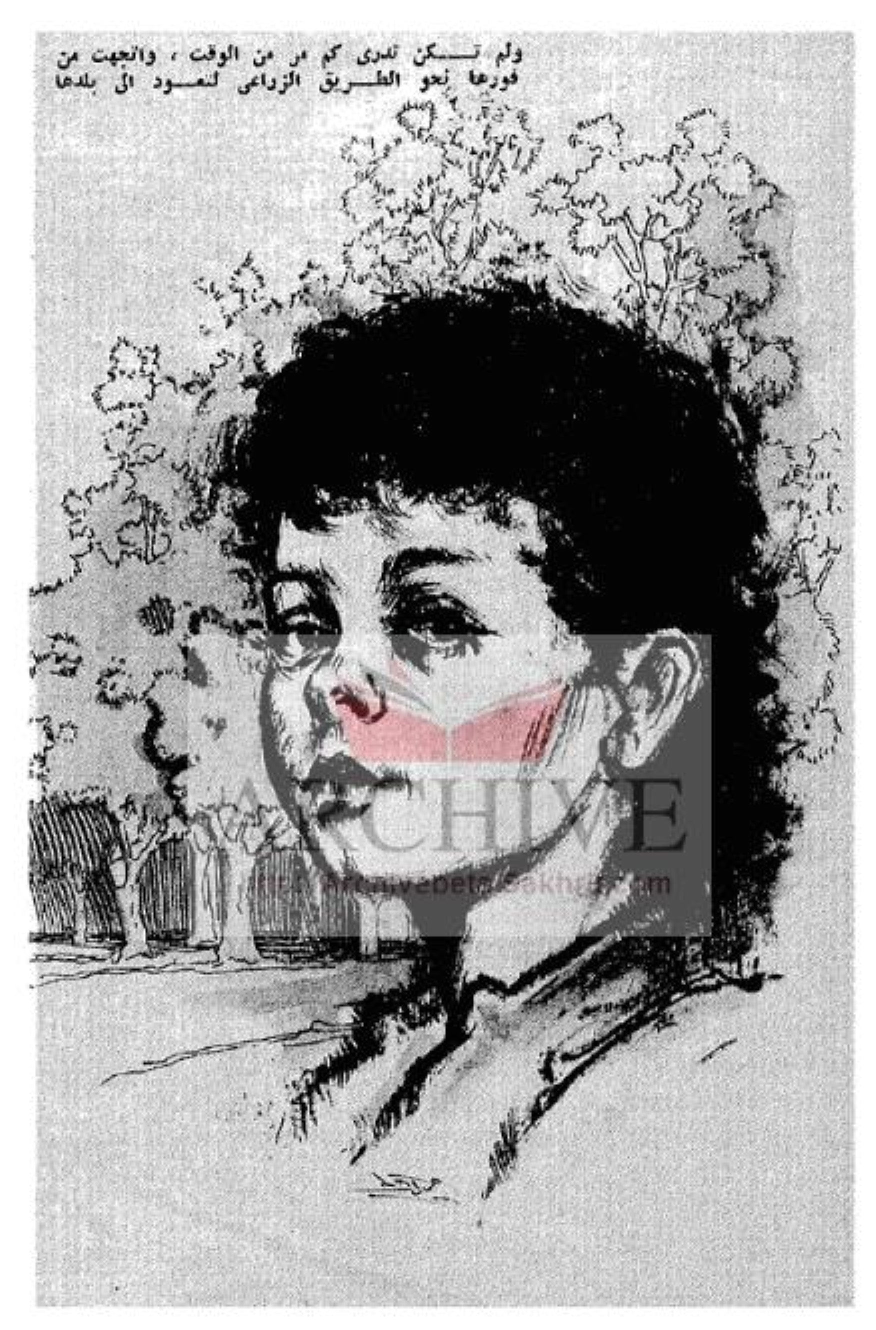
ــ لاجل خاطر الطفلة .. تفضلى .. والى أين انت ذاهبة ؟

ــ عند محطة (...) انزلنى . لكن .. كم تطلب اجرا ؟

فانخرط فى ضحك هادىء ولم يرد واخرج علبة الثقاب ليشعل لفافة ، فرأت وجهه المكتنز الاسمر، وذقنه غير المحلوق . ولم يكن صغير السن ومن الممكن ان يطمئن القلب اليه . ونفخ اول نفس من اللفافة وقال وهو يفتح الباب :

ــ اجرة !! من يأخذ أجرة على انقاذ الغريق ؟! اليس من الجائز ان تظلى واقفة حتى الصباح ! ؟ .. أصعدى من أجل الطفلة

وفى الدقائق الاولى كان الصمت ثقيلا . وكانت الطفلة بينها وبين السائق ورائحة البنزين وحرارة الجو وصوت المحرك والم فى الفم



ولم تـــكن تدرى كم مر من الوقت ، واتجهت من
فورها نحو الطـريق الزراعى لتعـود الى بلدها

وترقب الكلمة الاولى ، كل هـــذه الاشياء كانت اشبه باصبعين تضغطان على حلقها

ومرت دقيقتان ، وتنهد السائق في الوقت الذي كانت هي فيه تقدر سرعة السيارة بمرور أشباح الشجر الى الوراء ، وكأنها تقدر خطـورة القفز اذا اقتضى الامر . ثم تنهد السائق مرة أخرى ثم قال للطفلة بعد ان مال نحوها قليلا : « ماأسمك ياعروسة ؟ »

وضحك بصوت عال ، اذ لم ترد عليه ، ثم حول الكلام نحو الام :

ـ لماذا لا ترد ؟! لعلها خائفة منى .. سأبحث اذن عن عروسة اخرى!

ولم يجئه جواب من احد ، فقد كان يفتح باب الحديث بخبث ثم عاد يسأل الام :

ـ على فكرة .. ما اسمها ؟

فأجابت بصوت متهالك من الالم وصل الى اذنه على صورة ظنهـا اغراء :

ـ اسمها فوزية

فهتف بسرعة :

ـ فوزية ؟!.. يالها من عجيبة . تصـوري ان حبيبتى الاولى كان اسمها فوزية ! فوزية .. فوزية !

وسكت ولم تتكلم المرأة فعـاد بعد وهلة يقول :

ـ آه .. فوزية .. فـكرتنى بالذى مضى (ثم وجه الكلام الى الام) ولكن ما الذى اخرك فى البندر حتى نصف الليل مادمت ذاهبة الى هذه البلدة ؟!

ـ كنت .. كنت .. فى زيارة اخى

ـ هل هو فى البندر ؟

ـ لا .. فى السجن

ـ يا ساتر ! ولماذا هومسجون ؟

فلم تجب . فمال على البنيـة وقبلها بصوت عال ثم طلب الجواب فقالت المرأة :

ـ اتهم فى جريمة قتل

ـ قتل ؟! يلساتر !

وسكت ، وعاد أزيز المحرك الى اذنها ولامست قلبها فرحة الطمأنينة حين استطاعت ـ كمـا تعلمت من زوجها ـ ان تسارع بالقاء الرعب الى قلب من يريد تخويفهـا . ومضت فترة قال بعدها السائق :

ـ هل تعلمين اننى لا ألوم القاتل احيانا لانه قد يندفع الى الجـريمة بلا وعى ؟

ـ ولا انا

نضحك فى شىء من السخرية . ثم سكت . ثم قال بعد فترة :

ـ ولاننى انا شخصيا قد قتلت زوجتى وانا شاب صغير !

فامسكت المرأة اعصابها ونظرت الى أشباح الشجر وهى تجرى الى الخلف . ورأت أنوارا متتـابعة لسيارات فى طريقها المضاد نحـو البندر فحملت اليها شجاعة جديدة، وبما انها كانت تلفق الاكاذيب فقد رجحت انه هو الاخر يكذب فعادت تقول وكأنهما فى مزاد :

ـ لابد انك كنت تحب زوجتك ، فانا اعرف امرأة قتلت زوجها من

حبها فيه .. من الغيرة عليه ... دست له السم

فهتف مسرعا :

ـ امرأة وتقتل ؟! ان جرائم النساء أفظع من جرائم الرجال . ياساتر ! هل كانت جارتك مثلا ؟

ـ أقرب

ـ صديقتك ؟

ـ أقرب

ـ قريبتك

ـ أقرب

ـ اختك او امك مثلا ؟!

ـ أقرب

ـ أقرب ؟! .. ها. ها . ها . اذن فانت التي قد قتلت زوجك ؟ هل من الممكن أن يجتمع قاتلان على كرسي في سيارة نقل بمحض المصادفة أيتها الكذابة ؟!

وانخرط في الضحك لانه كان كاذبا في كل ماقاله ، ثم استطرد :

ـ وما دمنا متشابهين فلماذا لانتزوج ؟! أليس هذا مناسبا ؟!

ـ ليس عندي مانع . تعال معي الى بلدنا لتخطبني من أخي

فأجاب بسرعة من رأى خطرا لم يكن على باله :

ـ ليس هذا مهما الان . المهم الان هو ان تعرفي اننا سنقف بعد دقيقتين عند (نقطة مرور)وعندما اسأل عنك ، سأقول أنك زوجتي وهذه الطفلة التي يعاكسها النوم ابنتي ، لان لوائح المرور تحرم علينا ان نركب احدا معنا . هل فهمت ؟ ثم .. أليس هذا فالا حسنا . لا تنسى أنك زوجتي !

وظل الصمت . وعاد أزيز المحرك ورائحة البنزين والم الفم تسيطر على مشاعر المرأة . على انها كانت اكثر سعادة من اى لحظة مضت فقد قرب الوقت وسينزاح الكابوس

ووقفت السيارة أمام النقطة . وخرج من المبنى احد رجال الشرطة وتقدم نحو المقعد الذى جلسوا عليه في اللحظة التى كانت البنية فيها تقول بأعلى صوتها : « اشرب ياماما. اشرب ياماما . »

ـ هل تريدين ان تشربي يافوزية؟! تعالى ياحبيبتي

ونظرت الطفلة نحو رجل الشرطة الذى كلمها وغيرت نداءها فورا .

ـ « أشرب يا بابا . . اشرب يا بابا » !

وفي هذه اللحظة فتح باب السيارة ونزلت الام في تهالك شديد واحتضن الاب الطفلة وقبلها ومال نحو السائق يقول له قبل أن يمشي :

ـ اشكرك . هذا فضل لن أنساه لك

وتحركت السيارة وكلمات سائقها تتناثر على الطريق :

ـ هذا أقل واجب .. ربنا يديم المعروف

ثم سابق الريح

وعندما اخذ الزوج يستوضح الامر قالت الزوجة في اعياء شديد ،

ـ انها حكاية طويلة .. ستعرفها في البيت .. صب على وجهي حفنة من الماء

غـزاة من الأندلس

بقلم الأستاذ حبيب جاماتي

جمع عبد الله بن طاهر ، حـاكم مصر للخليفة المأمون ، قواد جيشه وعظماء ولايته ، للمرة العاشرة في خلال شهر واحد ، للنظر فيما يجب ان يتخذ من تدابير ، للتخلص من تلك الطغمة الشقية التي وفدت من الاندلس الى مصر ، وسيطرت على مدينة الاسكندرية

فمن هم اولئـك الذين اقلق وجودهم في الاسكندرية بال الخليفة العباسي ببغداد ، وحرم الراحة على عميله في مصر عبد الله بن طاهر ؟

كانوا فريقا من الثائرين ، حاولوا في الاندلس اسقاط صاحب العرش الاموي هناك ، الحكم الاول ، ابن هشـام الاول ، ابن عبد الرحمن الداخل « صقر قريش » فأعلنوا العصيان في سنة ٢٠٢ الهجرية ، الموافقة لسنة ٨١٨ الميلاد ، بقيادة زعيمهم ابي حفص عمر بن شعيب البلوطي ، ودارت بينهم وبين القوات التي قادها الحكم بنفسه لاخضاعهم معارك عنيفة عرفت في التـاريخ بوقعة « الربض » ، وعرفوا هـم

بعضها باسم « الربضيين » وانتهت الحرب بانتصار الحكم ، وهزيمة الربضيين ، فرحلت البقية الباقية منهم عن الاندلس ، بطريق البحر ، وكان قائدهم ابو حفص مع الراحلين

وانقسموا الى فريقين ، فتوجه فريق منهم الى ساحل العـدوة المغربية ، ونزلوا بها ، واستقروا بمدينة فاس ، حيث انشأوا ناحية عرفت باسمهم منـذ ذلك الوقت : « العدوة الاندلسية » وواصـل

الفريق الآخر السير بحرا ، وعلى رأسه ابو حفص عمر بن شعيب ، فبحث عن ملجأ يلجأون اليـه ، أو ناحية يستولون عليها ، وشاءت الاقدار ان تكون مدينة الاسكندرية نهاية مطافهم ، وهاجموها من البحر دون سابق انذار ، فاخذ المسئولون عن المدينة على غرة منهم ، وسرعان ما سقطت في ايدي الوافدين المغيرين الذين انتشروا في ارجائها ، وارسلوا حاميات منهم الى اطرافها وضواحيها


والصليبة كانت في هذا الغرب بالذات مجسمة في شكل ثلاثة حسان !

« لا اعرف فارسا طبع على الشجاعة والنبل مثل الفارس العربي .. »
(نيقفور فوكاس)

وقرر زعيمهم ابو حفص ان ينشىء في ذلك المكان دولة اندلسية جديدة بعد ان اخفق في اسقاط الحكم الاول عن عرشه ، في الدولة الاندلسـية الاصيلة !

□

وحاول عبد الله بن طاهر ، حاكم مصر للمأمون بن الرشيد ، ان يطرد اولئك الاغراب من المكان الذي حلوا فيه ، او ان يضع على الاقل حـدا لمطامعهم وغزواتهم ، ولكنه فشل في محاولاته المتوالية ، وظل ابو حفص وجماعته ، وعددهم بضعة الآف ، قابضـين على الزمام في المدينـة ، يتصرفون فيهـا على هواهـم ، ويسيطرون على السواحل الممتدة غربا وشرقا ، ويتوغلون الى داخل البلاد للسلب والنهب !

لقد جرب الحرب فهزم ، وجرب الدهاء ففشل ، وجرب الاغتيـال فارسل من يقتل زعيم الاندلسيين فنجا ابو حفص بيديه الفولاذيتين

الرجل الذى جاء ليقتله ! واخيرا ، جرب عبد الله بن طاهر الاغراء بالمال فنجح !

عرض على ابى حفص وجماعته ما يريدونه من اموال . وتعهد بأن يضع تحت تصرفهم كميات كبيرة من الاسلحة ، والذخائر والمؤن ، وان يمدهم بالسفن التى يملكها ، ليضموها الى سفنهم ، على شرط أن يجلوا عن الاسكندرية وضواحيها ، وان يركبوا البحر ويرحلوا عن أرض مصر ، الى اية جزيرة من جزر البحر الابيض المتوسط ، فيحلوا بها ، ويقيموا فيها دولة تعوضهم عما ضاع منهم

ورضى ابو حفص بأن يرحل ، فقد وجد أن الثمن الذى يدفعه عبد الله بن طاهر جدير بألا يرفض ... ولكن ، الى اين يرحل ؟

كانت المصادفة هى التى قادت الغزاة الى الهدف المنشود . والمصادفة كانت فى هذا الظرف بالذات مجسمة فى شكل غادة حسناء !

كان اسمها « انستاسيا » وكان موطنها مدينة انطاكية بالبلاد السورية ، اما سبب مجيئها الى مصر فكان هربا من الموت فى وطنها: قصة مثيرة ، سردت الفتاة تفاصيلها على مسامع عبد الله بن طاهر ، يوم لجأت الى رحاب قصره ، ومعها رجل يحمل رسالة من الخليفة المأمون الى حاكم مصر

كان العداء مستحكما فى ذلك الوقت بين الدولة العربية العباسية، والدولة الرومية البيزنطية . فكان كل من المأمون صاحب العرش ببغداد ، وميخائيل الثانى صاحب العرش بالقسطنطينية ـ اى بيزنطة ـ يسعى للايقاع بعدوه ، ويواصل الاعتداء على أطراف مملكته . وفى نفس الوقت كان الصراع قائما داخل الدولة البيزنطية ، بين الطامعين فى العرش . فلا يكاد يستقر منهم واحد عليه حتى يهب من يرفع راية التمرد والعصيان ليسقطه ويحل محله ، وكان هذا ماحدث لميخائيل الثانى ...

كان خصومه يأخذون عليه اصله الوضيع ، ويعيرونه بانه بدأ حياته خادما فى اسطبل . فثاروا عليه ، الواحد بعد الاخر . وفى سنة ٨٢١، أعلن واحد من قواد جيشه ، واسمه « توماس » سقوط الامبراطور ، ونادى بنفسه أمبراطورا فى مدينة انطاكية بسورية ، وزحف على رأس ثمانية آلاف مقاتل ، ووجهته عاصمة الدولة ، بيزنطة ، فضرب حولها الحصار . وكان الخليفة المأمون يشد أزر توماس ويؤيده بالمال والسلاح ، لان الحرب الاهلية فى داخل الدولة كائنا من كان المشتركون فيها ، تضعف الروم وتكسر شوكتهم . غير ان الامبراطور ميخائيل الثانى صمد امام الخطر

الوافد عليه من أنطاكية ، وتمكن من فك الحصار عن عاصمته ، وهاجم الجيش المحاصر ، ومزق شمله ، واغرق السفن التى جاءت من البحر لتشترك فى الحصار . ووقع توماس وابنه أنستاس فى الأسر . فأمر ميخائيل الثانى بقطع أيديهما ، ووضعهما على ظهر حمار يطوف بهما فى البلاد . وماتا فى سنة ٨٢٣ وكان لتوماس ابن بالتبنى ، هو أنستاس الذى عذب ومات مع أبيه وابنته بالتبنى أيضا هى انستاسيا التى هربت من أنطاكية يوم بلغها خبر هزيمة أبيها وأخيها

وقد ساعدها رسل الخليفة المأمون ، ومهدوا لها سبيل الخروج من البلدان الخاضعة لحكم الروم ، وأوفد المأمون واحدا من رجال حرسه الامناء ، ليرافق الفتاة فى طريقها الى مصر ، وزوده برسالة الى عبد الله بن طاهر ، يوصيه فيها خيرا بالفتاة ومن معها من أهل ورفاق . وكانوا كثيرين ، جاءوا زرافات ووحدانا ، هاربين من حملة التأديب والانتقام التى أمر بها ميخائيل الثانى

ونزلت انستاسيا ابنة توماس ، فى ضيافة الحاكم بقصره ، ومعها خطيبها « ربيع بن خطاب » وهو من نصارى انطاكية

كان مجىء انستاسيا الرومية ، وربيع الانطاكى ، ورفاقهم من الرجال والنساء ، الى مصر لاجئين ، فى مطلع سنة ٨٢٤ للميلاد ، الموافقة لسنة ٢٠٨ الهجرية ـ كانت المصادفة المجسمة فى شكل غادة حسناء ـ واهتدى عبد الله بن طاهر من طريقها الى المخرج من ورطته

□

كان ربيع وانستاسيا ورفاقهم على علم بدخائل الحال فى الامبراطورية الرومية ، وكانوا يعرفون مواضع الضعف فيها ، ومبلغ قوة الحاميات العسكرية فى أطرافها ، ومدى ولاء الشعوب فى أجزائها . فاطلعوا عبد الله بن طاهر على ما كانوا يعرفون ، وابدوا له استعدادهم للعمل معه يدا واحدة ، اذا اراد أن يتقدم على غزو أرض من أراضى الروم ، فى جزر البحر المتوسط التى يحكمها امبراطورهم من بيزنطة

وقفزت الى راس عبد الله فكرة تلقفها بسرعة ، وقرر وضعها موضع التنفيذ بلا ابطاء

انه حائر فى ارشاد الاندلسيين الى أرض يرحلون اليها ويستولون عليها ، وهاهم اولئك اللاجئون من الروم يحملون اليه الدليل على ان جزيرة « كريتس » ـ وهى أكبر الجزر الرومية وأقربها الى مصر ـ فى حالة من التضعضع تجعلها فريسة سهلة لكل مغامر جرىء مقدام . فالحامية فيها منقسمة على بعضها ، ونفوذ الامبراطور ميخائيل يتضاءل يوما بعد يوم . ولتوماس الذى قتله ميخائيل أنصار فيها يرقبون الفرصة للانتقاض على الامبراطور ،

والشعب في الجزيرة قلق مضطرب ينظر الى المستقبل بعين الخوف والجزع . فلماذا لايركب ابوحفص عمر بن شعيب ورجاله البحر في الحال ، وينطلقون بسفنهم لغزو الجزيرة الكبيرة الغنية الح . . ؟

وبادر عبد الله بن طاهر فعرض الامر على ابى حفص فوافق عليه . ولكنه ادعى بأن جيشه قليل العدد فتعهد له عبد الله بأن يضع تحت تصرفه مايشاء من كتائب الفرسان وفرق الرماة من الجيش المصرى . وتحمس ابو حفص لمشروع الغزو الجديد ، وتأهب له ، وما مرت أسابيع حتى كان جيش الاندلسيين قد احتشد على مرفأ الاسكندرية ، ليركب السفن الى غزوته الجديدة

جيش ضم فلول الرابضيين وجماعات من المتطوعين والمغامرين، وثلاثة آلاف او اكثر من الفرسان والرماة الذين اختارهم عبدالله بن طاهر ليساهموا في الحملة الجريئة ومئات من الروم الذين جاءوا مع ربيع الانطاكي وأنستاسيا بنت توماس ، والذين ابوا الا أن يخوضوا غمار القتال من جديد ، طلبا للانتقام من الامبراطور ميخائيل ، والثأر لمن قتل من بنى قومهم

وفي يوم وضاح الجبين من ايام سنة ٨٢٤ للميلاد ، ابحرت من الاسكندرية اسراب من السفن الكبيرة والصغيرة، الثقيلة والخفيفة، تحمل ثمانية الاف ــ وقيل عشرة آلاف من طلاب الطعن والنزال ، في الطريق الى جزيرة « كريتس » التي كان العرب يسمونها « اقريطش » والتي تعرف اليوم باسم « كريت»

ولما وصل الغزاة الى ساحل الجزيرة ، ونزلوا من سفنهم الى البر ، أمر قائدهم ابو حفص عمربن شعيب بأن تحرق السفن ، فكرر بذلك ما فعله من قبل طارق بن زياد يوم عبر المضيق المشهور لغزو البلاد الاسبانية. ومثل طارق كتب النصر لابى حفص . فقد أقام المتاريس وشيد في بضعة ايام حصنا سماه « الخندق » وانطلق برجاله يطارد الحامية التى ارتدت الى داخل الجزيرة طلبا للنجاة . وكانت المقاومة ضعيفة . وما هى الا أيام معدودة ، حتى كانت جزيرة « كريتس » قد خضعت للغزاة القادمين اليها من مصر والاندلس ، فرفعوا أعلامهم على مدنها وقراها وأبراجها وحصونها . وعرفت الجزيرة منذ ذلك الوقت باسم جديد غير اسمها القديم : اسم محرف من كلمة «خندق» فصارت كريت تدعى « كانديا »

لم يقدم عبد الله بن طاهر على تحريض ابى حفص ودفعه الى تلك الغزوة ، بدون استشارة الخليفة المأمون ، فكانت الحملة الموفقة وسيلة

لتخلص عبد الله بن طاهر من أولئك الاندلسيين وكان ذلك فرصة لربيع وانستاسيا ورفاقهم للانتقام من الامبراطور الذى فتك بذويهم،وكان الى جانب هذا وذاك ،. منفذا الى ميدان جديد من ميادين البطولة ، صال فيه العرب وجالوا ، فانشئوا دولة اضافوها الى غيرها من الدول العديدة التى انشئوها فى الشرق والغرب

وفى تلك الغزوة ، قتل « ربيع » خطيب انستاسيا والسلاح بيده فى اول معركة دارت بين الغزاة وجنود الحامية ..وكانت انستاسيا خطيبته قد خاضت غمار تلك المعركة جنبا الى جنب مع ذلك الشاب الذى بادلته الحب ، والذى هرب معها من سورية ، ليموت بجوارها فى جزيرة تحوطها المياه

وجرحت انستاسيا فى تلك المعركة فحملها رفيق من رفاقها فى الهرب ، يدعى « طريف الراندى » وهو نصرانى انطاكى مثل خطيبها

وطريف الراندى هو الرجل الذى اختارته الاقدار زوجا لانستاسيا بعد أن فقدت خطيبها فى الحرب ، ولم يعد لها فى العالم من تعتمد عليه فى حياتها

وفى جزيرة كريتس أو كانديا استقر اللاجئون من انطاكية ، واتخذوا الجزيرة وطنا لهم ،وعاشوا فى حمى الدولة التى انشأها الاندلسيون هناك

وقد حاول ميخائيل الثانى ان يسترجع الجزيرة التى فقدها ، فهزم ، وكرر المحاولة فهزم ايضا . ومات فى سنة ٨٢٩ للميلاد ـ الموافقة لسنة ٢١٣ للهجرة ـ بدون ان تتحقق امنيته . وحاول ابنه وخليفته من بعده ان يغزوها ويأخذها من غزاتها العرب ، ففشل ايضا

وتحولت الجزيرة فى عهد ابى حفص عمر بن شعيب ، وفى عهود الذين حكموها من بعده من الامراء والقواد الاندلسيين ، الى قاعدة للقرصنة ، وكانت القرصنة فى ذلك الوقت ارفع انواع الحروب البحرية، واكثرها خطرا ، واوفرها شجاعة وشرفا وبطولة ...

فى سنة ٨٢٤ اخذها العرب من الروم فى عهد امبراطورهم ميخائيل الثانى

وفى سنة ٩٦١ ، تركها العرب للروم فى عهدامبراطورهم روماتوس

دولة عاشت مائة وسبعة وثلاثين سنة

والقائد الرومى الذى استرجعها من الاندلسيين ، نيقفور نوكاس ، اشهر قواد الروم فى تاريخهم ، هو القائل : « لا اعرف فارسا طبع على الشجاعة والنبل مثل الفارس العربى ! »

الحمامة المطوقة

بقلم الأستاذ احمد عبد القادر المازني



دانت لها الدنيا ، فتبوأت عرشها ملكة غير متوجة

كانت زهـرة نضيرة تفتحت في روضة الحياة ، وكانت وردة يانعة تفتحت أكمامها ، فراحت تستنشق عبير الحياة

وكانت من اسرة كريمة المنبت ، عريقة المحتد ، عظيمة الثـراء ، حباها الله بحسن رائع ، وجمـال ساحر ، يسكن كيوبيد في مقلتيها ، ويرسل سهامه من بين جفنيها ، ويصيب القلوب بسحر لحظيها

وكانت وحيدة أبويها ، فأرخيا لها العنـان ، واستكانا لرغباتها ، واستجابا لكل ما تحب ، ونزلا على حكمها ، فشبت مطلقة العنـان ، وامرها في يدها تفعل ما تشاء ، دون اعتراض من أهل أو أصدقاء

واصبحت « رجاء » زهـرة المجتمعات المتالقة ، تطوقها النظرات من كل صـوب ، وتحف بها أينما سارت ، وحيثما اتجهت ، نظرات

الحسد من النساء ، ونظرات الوله والافتتان من الرجال ، حتى اطلق البعض عليها اسم « الحمامة المطوقة» وأصبح علما عليها

وانساقت رجاء مع تيار بيئتها ، فجرفها دون أن تحس بغضاضة من الجو المحيط بها ، ودون أن يردعها رادع ، أو يوقظها موقظ ، ودون ان يفتح عينيها انسان . كانت تزهو بحسنها ، وتتيه بجمالها ، وبأسرتها

وراحت رجاء تتنقل بين رياض الحياة وجنانها غير الخالدات ، وهي في كل هذا ضاحكة لاهية مرحة طروب ، غريرة لا تحفل بالدنيا ، ولا تكترث بالعالم ، ولا تفكر في غضون ليلها أو نهارها الا في النزهات والحفلات والسهرات . وكم من ليلة قضتها مع صديقاتها واصدقائها ، ينعمون بالضحك والسرور ، ورجاء تتنقل بين طاولة اللعب بالورق ، وبين الرقص ، وهي في غضون هذا وذاك ، تستمع الى همس الهامسين ، ومناجاة العاشقين بيد انها ظلت محتفظة بقلبها ، فلم يستطع احد ان يغزوه ، فظل خاليا من الحب ، حرا طليقا من كل قيد ، وكم من مرة ساءلت نفسها :

وقال مجدى وصوته يقطر عبرات

ـ انت ... انت لست فتاة تحبين وتحبين ، ولكنك متعة ، متعة تافهة ، فكل من يستهويه جمالك ، استطاع أن يروى غلته بمغازلتك

وكانت كل كلمة ينطق بها تفرى قلبها وتوجعه ...

ـ أتراني خلقت من غير قلب ؟ أليس لى قلب يحب ويهوى ؟ مابالى لا اعشق أحدا كما تعشق الفتيات مثيلاتى ؟ لكل منهن حبيب تتغنى بحبه ، وترتل آيات غرامه ، وتستمتع بهواه ، اما انا فلا قلب لى يخفق بالحب كما تخفق قلوبهن تلك الخفقات التى اسمع انها للذة شهية . ان الناس يقولون ان الحب لذيذ ممتع في فرحه وألمه ، وسعادته وشقائه ، ونعيمه وعذابه ، فهو شيء ممتع في الحالتين ، يا الهي ، أين قلبي ؟

وكأين من ليلة مرت بها ، وهي مفتحة الاعين ، لا يغمض لها جفن ، تتقلب في فراشها وهي في حيرة وألم وضيق وكمد ، وتعجب من أمر نفسها . أتراها ستقضى حياتها على هذه الوتيرة المملة القاسية ؟ أتراها ستبقى طوال عمرها مدفونة القلب ، لا يخرج من لحده ، ساكنة الفؤاد لا يعزف على أوتار الحب ؟ وهل تراها ستقضى كل حياتها متنقلة كالفراشة من زهرة الى زهرة دون ان تستمتع برحيق تلك الازهار ، حتى يأتى يوم يحترق فيه جناحاها ، وتقضى نحبها دون ان يبكيها حبيب ؟

ولكن ... هل الحب ضرورة من ضرورات الحياة ؟ الا تستطيع ان تنعم بالحياة دون أن يخفق قلبها خفقات الحب ؟ انها لا تدرى ، ولا تستطيع أن تبت برأى ، وكل الذى تدريه هو الذى تسمعه من أترابها وصديقاتها، وقد يكن مصيبات فيما يتحدثن به وقد يكن مخطئات

□

وانضم الى جمع الاصدقاء صديق جديد ، فرحبوا به والتفوا حوله بعض لحظات ، ثم تفرقوا شيعا

وكان مجدى ، الصديق الجديد ، شابا ربع القامة ، أسمر الوجه ، متألق اللحظات ، ولم يكن وسيما وان كان وجهه مقبولا ، ولكنه كان خفيف الروح ، أنيق الثياب ، رزين الحركات شهى الحديث معسول الالفاظ

ومرت أيام وأيام ، ومجدى يجتمع باصدقائه وصديقاته الجدد كل ليلة ، ويذهب معهم أينما ذهبوا ، ويضاحك هذا ، ويمازح ذاك ، ويتبادل الاحاديث مع البعض، ولكنه كان يفعل كل هذا فى رزانة الرجل الذى عض على ناجذيه

وعجبت رجاء من أمر هذا الشاب الذى انضم الى جماعتهم ، فانها لا ترى منه ما ترى من الشبان الآخرين . فكلهم يحومون حولها ، ويهمسون فى أذنيها بكلمات الحب ومناجاة الغرام ، وكلهم يتزاحمون حولها ، ويتوددون ، عداه وحده

ورأته ذات ليلة جالسا بمعزل عن الجميع ، فأقبلت عليه وحيته ثم جلست الى جانبه ، وراحت تبادله حديثا عابرا واخيرا طلبت منه أن يراقصها فاعتذر بأنه لا يجيد الرقص

وما كان اكذبه ! لقد رأته راقصا واعجبت برقصه . وهى اليوم تدعوه الى الرقص فيرفض . انها اهانة لاتحتمل ، ولقد كانت تحسبه انسانا مهذبا ، فاذا به فظ . أيوجه اليها هذا الشاب مثل هذه الاهانة ، وهى الفتاة التى تنحنى لها رءوس الشبان ، وتخضع لها القلوب ،ويقبل عليها من هم خير منه ، ويرجون منها نظرة خاطفة أو بسمة خفيفة ، ويقنعون منها بهذا القدر الضئيل

ووثبت من مكانها دون أن تلقى عليه نظرة ، وانسابت الى حيث تستطيع ان تتناسى هذه الاهانة وانى لها أن تنسى هذه الاهانة الاولى من نوعها ؟

واسل مجدى فى أثرها نظرة ، وعلى وجهه ابتسامة خفيفة

وما غمض لرجاء جفن

وظلت دماؤها تغلى وتفور كلما تذكرت موقف هذا الشاب الفظ ، وهى تدعوه الى الرقص فيرفض فى جفاء ، وراحت تسائل نفسها : من يكون مجدى هذا الى جانب غيره من الصحاب ؟ نعم انه شاب خفيف الظل ، انيق الهندام، رزين فى حديثه وحركاته ، حلو النبرات ، ولكنه كان فظا معها ، وهى لم تألف مثل هذه الفظاظة وهى الفتاة المدللة التى لم تعترض حياتها عقبة الا واكتسحتها

وعجبت رجاء ما الذى يدفعه الى ان يخصها دون غيرها بهذا النفور الذى يبدو واضحا ؟ ان صلتها

به تكاد تكون سطحية ، وما تبادلت معه من الاحاديث أكثر من تحية عابرة ، وكلمات جوفاء ، فما الذى ينفره منها ، ويحمله على توجيه مثل هذه الاهانة القاسية اليها ؟ اتراه يبغضها ؟ ولكن لم البغض وهى لم تسيء اليه ؟

واعدت العدة للنكاية به ، وغفت عينها ومجدى يشغل كل ذهنها

وكان عيد ميلادها قد اقترب ، وكان من عادتها كل عام ان تقيم حفلة شائقة تدعو اليها صواحبها فيقضون ليلة غراء

واعدت بطاقات الدعوة ، وبعثت بها الى جميع الصديقات والاصدقاء ، وتعمدت اغفال مجدى

وحل موعد الحفلة ، وتوافد المدعوون الى قصرها الفخم ، ووقفت رجاء تستقبل ضيوفها ، وترحب بهم ثم حانت منها نظرة الى باب البهو ، فاذا بها ترى مجدى قادما وحده ، يمشى مشيته الرزينة

وطفق مجدى يحيى الاصدقاء ، ويصافحهم ، ويتحدث الى هذا وذاك ، ورجاء واقفة مكانها تنتظر ان ينتهى من تحياته لتصوب اليه سهمها ، وتصيب قلبه ، كما أصاب قلبها ، وتدمى كبرياءه كما ادمى كبرياءها . وانقضت دقائق ثم التفت مجدى الى ناحيتها ، ورفع حاجبيه كمن فوجيء بما يدهشه ، وتقدم نحوها وهو يقول :

ـ معذرة يا رجاء ، فانى لم أرك والا لبادرت أليك وقدمت اليك تهنئتى بعيد ميلادك ، وعذرى ان سحر ضيوفك غلاب

وامتقع لونها لهذه الكلمات التى نالت منها اى منال ، ولكنها تمالكت نفسها ، وراشت له سهمها وقالت :

ـ آسفة انى لم ابعث اليك بدعوتى فقد نسيتك ولم أذكرك

ـ هذا لا يدهشنى منك ، ولم يحل دون قدومى لتقديم التهنئة

ثم تغيرت نبرات صوته ، وصارت جادة وهو يقول :

ـ ولانى راحل ، وقد تطول غيبتى ، فقد رايت ان احضر ، ولو من غير دعوة ، لاهنئك واودعك

ـ راحل ؟! . ولم ؟

ـ لا اريد ابداء السبب

ـ ولم ؟

ـ أحسب ان من حقى الافضاء بامورى الى من اريد

وتركها دون ان ينتظر ردا

وهرعت رجاء الى مخدعها فى الطابق الثانى ، وهى تزعم لنفسها ولغيرها انها ستاتى بمنديل ، ولكنها فى الواقع كانت بحاجة الى الوحدة ، والى الانزواء

واغلقت الباب وراءها ، وهى تكاد تكون متبلدة الذهن

ثم الفت نفسها لا تفكر فى الحفلة ولا فى مدعويها ، وانما تفكر فى ذلك المخلوق الذى يناصبها العداء ويبغضها اشد البغض لعلة لاتدريها

وراحت تسائل نفسها لم هذا التجريح منه يتعمده

معها ؟ وماذا فعلت ؟ وأي ذنب جنت انها تود أن تكون على علائق طيبة معه ومع غيره ، ولكنه منذ البداية ينفر منها ، وانها لتود أن تصلح ذات البين بينها وبينه

وطاف بذهنها قوله انه راحل ، وان غيبته قد تطول . راحل ؟؟

واحست بقلبها يشتد في خفوقه ، وان شعورا محزنا يطغى عليها ، فعجبت من امرها ، وماذا لو رحل ؟

ماذا ؟ وشعرت بالغرفة تشتد ظلمتها ، وبالعرق يتصبب من جبينها وبقلبها يشتد في وجيبه ، واحست أن فكرة رحيله تضايقها بل تحزنها حزنا لاتدرك له كنها ولا تفهم له علة

ثم تفتق ذهنها فجأة ، وشعرت أن غشاوة تنزاح عن عينيها ، وترى حقيقة لم تكن تتصورها . انها حقيقة مخيفة رهيبة ، فهي تحب هذا المخلوق الذي يزدريها ويهزأ بها

وتبلدت من هول هذه الحقيقة

طالما نشدت الحب وابتغته ، فكان لايواتيها ، وكان يفر منها ، وهاهو ذا كيوبيد يصيب اليوم قلبها بسهم ، ولكنه سهم مسموم

وليتهـا كانت ستنعم حتى بود الذي تحبه وصداقته واحترامه !

حتى هذا ستحرم منه !!

وهبطت من غرفتها ، وهي تشعر أن ليس هذا عيد ميلادها ، ولكنه مأتم تقيمه على قلبها

وجالت بأنظارها في البهو الفسيح ووقعت انظارها عليه دون غيره من مدعويها ، وهو جالس بنجوة من الجميع ، وحيدا يحتسي كأسـه ، وعلى وجهه دلائل كمد دخيل

والفت اقدامها تتجه نحوه ، ثم جلست الى جانبه وقالت وهي تحاول جهدها أن تخفي عواطفها وتكتمها :

ـ مالي أراك معتزلا الجميع ؟

ـ ارى في العزلة خيرا لي

ـ يخيل الى أن في نفسك كمدا دخيلا

فنظر اليها نظرة طويلة ثم قال :

ـ وهل انت سعيدة ؟

فتجلدت وقارضته النظر وقالت :

ـ نعم سعيدة ، ولم اشقى ؟

ـ يسرني انك سعيدة

ـ أيسرك هذا حقا ؟

ـ لا شك ...

ـ اذا كان يسرك ما يسرني فلم تتعمد النكاية بي ؟

ـ اتعمد ؟ اني لا اتعمد شيئا

ـ هل تحسب اني لا أرى ؟

ـ وماذا رأيت أيضا ؟

ـ انك ، لعلة لا أدرى كنههـا ، لاتود أن تصل الود بيني وبينك

ـ وماذا أيضا ؟

ـ انك حزين النفس ، وأن بنفسك هما دفينا يحنقك على الناس ... وعلى بصفة خاصة

ـ ثم ؟ ...

ـ ثم بودي أن اعرف هل صدقت فراستي وصدق ظني !

ـ اهذا كل ما رايته ؟

ـ نعم ...

ـ اذن فانت عمياء لا تبصرين ، او بمعنى ادق بعين واحدة ، عوراء، ترين اشياء ، وتغيب عنك اشياء

فذهلت رجاء ورددت قوله :

ـ عمياء ! عوراء !

ـ انى أقول ذلك مجازا ، فان لك عيونا ساحرة ولكن ...

ـ ولكن ماذا ؟

ـ الا تودين أن تسأليني ماذا رأيت انا ايضا ؟

ـ حسنا . ماذا رأيت ؟

ـ رأيت انك فتاة جوفاء ...

فتفتحت عيناها دهشة وقالت :

ـ جوفاء ؟ يحسن ان اتجلد حتى اسمع بقية حديثك الطريف

ـ تحسنين بذلك صنعا . وانت .. فتـــاة لا يرجى منهـا خير ، وانك كالفراشـــة لا استقرار لك ، وانك بايجاز فتاة عصرية ، يلهو بها الانسان، ولا يحاول الاحتفاظ بها

وكان وجهها يزداد اربدادا وتجهما وعيناها تزدادان اتساعا وحملقـــة فيه ، ودماؤها تشتد فى غليانهـــا وفورانها . ثم ابتسم مجدى وقال :

ـ ورأيت كذلك انك تحبينني وتحاولين كتمان حبك !

وروعت لهذا القول ، وتحركت فى جلستها حركة الجفول ثم قالت :

ـ « انا احبك ؟ »

ـ نعم ...

ولم يسعها الا أن تضحك ضحكة هستيرية جوفاء فقال :

ـ وعلى الرغم من هذه الضحكة الجوفاء فانى لا أزال أكـرر قـولى انك تحبينني

ـ وما الذى يدعونى الى التكران ؟

ـ شعورك انى احتقرك

ـ أنت تحتقرنى ؟ ومن انت ؟

ـ لا شىء على وجه هـذه الارض انسان مغمور لا قيمة له . انسان مجهول من كل الناس . ولكنى رغم كل هذا احتقرك ورغم كل هـــذا يهمك ان تقفى على رأيى فيـــك ، ويهمك ان احبك كما تحبيني

وكان وجههـــا قد تخضب ، ثم غاضت الدماء منه ، ثم همت بالوقوف وقد ثارت ، وفارت دماؤها ، وغلى مرجل غضبها ، ولم تســـتطع أن تحتمل منه المزيد . لقـــد صبرت عساها تجتذبه اليها ولكنه تمادى فى وقاحته . فهمت أن تقف غير أن مجدى قبض على رسغ يدها وقال :

ـ بل انتظـــرى فانى لم أتمم حديثى الذى اود أن أحدثك به قبل رحيلى والذى تودين ان أحدثك به

وأوحت لها غريزتهـــا ـ غـريزة حواء ـ أن لها صـلة وثيقة بهـــذا الحديث ، ولكن حواء قالت :

ـ لايهمنى ان اسمع حديثك

ـ بل أنت متلهفة الى سماعه

ـ لولا اللياقة لطردتك من الدار

ـ لك أن تفعلي ما تشائين بعد الانتهاء من حديثي

ولم تجب رجاء ، وكان قلبها يشتد في وجيبه ، وقال مجدي.

ـ رأيتك منذ أمد بعيد ، فأحببتك ، أحببتك الحب الثابت المكين ، الحب الذي يدك الجبال والاطواد ويبقى هو قويا على ظهر الارض

وخفق قلبها خفقة السرور والفرح وتابع مجدي حديثه فقال :

ـ وما كنت تعلمين بحبي لان أنظارك لم تكن قد وقعت على وجهي بعد . واتصلت بأصدقائك كي أتمكن من أن أراك عن كثب . وما كنت أنوي أن أبوح لك بحبي لأني كنت ضعيف الامل في تحريك قلبك وتعليمه ألحان الحب ثم رأيتك فندمت رأيتك فتاة تستهينين بكل التقاليد الكريمة ، رأيتك فتاة يحاول كل شاب أن يلهو بك ، فتاة ألفت المقامرة ومراقصة هذا وذاك ، والسهر كل ليلة ، رأيتك فتاة غير جديرة بحب كالذي أكنه لك بين أضالعي - أنت فتاة يلهو بك الرجل ولكنك لا تصلحين حبيبة لقلب مخلص في حبه . أنت ... أنت لست فتاة تحبين وتحبين ، ولكنك متعة ، متعة تافهة ، فكل من يستهويه جمالك ، استطاع أن يروى غلته بمغازلتك ومناجاتك بحبه ومراقصتك ومجالستك ومسامرتك ، وأنت لا ترين في كل هذا خروجا على التقاليد التي يجب أن ترعاها فتاة مثلك ، على الرغم من حذرك وحيطتك وعدم اسفافك

لهذا ندمت يا رجاء ان رأيتك عن كثب ، وليتني ظللت اتعبدك في محرابي ، بعيدا عنك ، وبعيدا عن هذه المناظر التي أدمت قلبي ولهذا انا راحل اعالج قلبي عله ينسى

وكان صوته حزينا خافتا تختلج فيه نبرات الالم ، وأحست رجاء أنها تكاد تشعر أن صوته يكاد يقطر عبرات ودموعا . وكانت كل كلمة ينطق بها تفرى قلبها وتوجعه ، ولكنها لم تغضب ، فقد تبدت لها الحقيقة في أوضح صورها ، وتبينت صدق حديثه ، ولان الذي يحدثها هذا الحديث الموجع الرهيب الذي لم تسمع مثله يوما ما حتى من أبويها ، هو حبيب قلبها الذي يحبها ويبادلها غراما بغرام

وأحست رجاء بالعبرات تملأ عينيها ، وقالت في صوت مختنق :

ـ مجدي ، لست حانقة عليك لهذه الكلمات التي لم أسمعها حتى من أبوي . لقد حدثتني بصراحة مؤلمة ، ولكنها أزالت الغشاوة التي أسدلت على عيني هذا الامد الطويل ، وما أسدلتها يامجدي برغبتي وبيدي ، ولكنها البيئة والجو الذي أعيش فيه واستنشقه . وطالما ثارت نفسي من مثل هذه الحياة ، وطالما وددت أن أعرف الحياة الصحيحة البريئة الجميلة ، ولكني كنت غريرة أجهل السبيل القويم ، فضللت الطريق الذي ساقتني ظروفي اليه حتى جئت فوجهت قلبي الى الحب ، وحتى حادثتني وكشفت لي عن عيوبي

وانا اعترف بها جميعا ، ولكني احب ان توقن ان الذنب لم يكن ذنبى

وهم أن يقاطعها فقبضت على يده وقالت !

ـ صبرا يا مجدى . أما اليوم وقد كشفت لى عن هذه المساوىء ، وعلى الرغم من تنصلى منها ، فانى احس بخجل يندى له جبينى . اما اليوم وقد عرفت كيف تحرك أوتار هذا القلب فيعزف الحان الحب ، حبك ، ويرتل انشودة الغرام : غرامك ، أما اليوم وقد عرفت لنفسى غرضا وهدفا فى الحياة ، وهوارضاؤك والخضوع لرغباتك ، والاحتفاظ بحبك ، ومحاولة الظفر باحترامك . اما اليوم وقد تكشفت لى مباهج الدنيا الدائمة ، لا تلك المباهج الجوفاء فانى اكون حقيقة بلومك وتأنيبك بل واحتقارك وازدرائك لو انى سرت بعد ذلك فى تلك الطريق القديمة .

ولتعلم يا منية الروح انى لم اتبين حقيقة حبى لك الا منذ لحظات ، وقبيل مجيئى اليك الآن

وتريثت لحظة ثم استطردت :

ـ وكل ما ارجوه منك يامجدى الا ترحل ، وسترى منى تغييرا يثير اعجابك ، ويمحو احتقارك ، ويزيد من حبك وغرامك بى . مجدى ... ليس فى هذه الدنيا من ارجو منه الصفح عن هذا الماضى المخجل الا اياك ، وليس فى الدنيا من ابغى حبه ورضاه مداك ، فاصفح ولك أن ترانى عن كثب فترة أخرى ، حتى ترى بعينى رأسك اى تغيير أحدثه فى نفسى حبك وغرامك

وكانت لا تزال قابضة على يده ، وتشتد فى قبضتها عليها الفينة بعد الفينة ، وكان هو ينظر الى عينيها نظرات متفرسة ، ولم يسعه ، وقد راى هذا الصدق المطل من عينيها ، الا ان يمد يده الاخرى فيحجز بها يدها بين يديه ثم قال :

ـ أحسب ان هذه توبة صادقة ؟

ـ هى أصدق توبة نطق بها انسان

ـ وهل انت حقا تحبيننى بارجاء؟

ـ انى اعبدك يامجدى ، وساكون لك الحبيبة المخلصة الوفية التى تقدس رغباتك وتراها وحيا من السماء . وانت هل انمحى ما فى قلبك من سوء ؟ وهل أنتعش حبك

ـ انه كما كان قويا عنيفا ، وما اردت بهذا الحديث الا أن اقذف بآخر سهم فى جعبتى عسى ان أصلح ما أفسد الدهر

ـ وهل ظفرت بغايتك ؟

ـ وبنعيمى الدنيا والاخرة

ـ وأنا اليوم لا احتفل بعيد ميلادى ، ولكنى احتفل بمولدى الجديد . وما أبدع توافق المولدين !

ـ وما رأيك لو جعلناه تاريخا لخطبتنا كذلك ؟

ـ ألا ترى انك متعجل ؟ الا يحسن أن تنتظر حتى تطمئن نفسك ؟

ـ حسبى ما سمعت ورايت مطمئنا لى . ولا تنسى اننا فى عصر السرعة ، والابطاء فى هذا العصر غير مشكور ولا محمود

كواكب مثلن روائع القصص

هذه مجموعة من نوابغ الكواكب فى الخمسين
سنة الاخيرة اللاتى اشتركن فى روائع
القصص العالمية . وكان لمواهبهن فضل
عظيم فى ازدهار السينما فى مختلف الشعوب



جريتا جاربو (السويدية)

شهرتها في السينما (الآلهه) لأنها خلدت كل شخصية مثلتها في السينما ، ودمغتها بطابع لا ينسى جاءت الى هوليوود عام ١٩٢٥ مع المخرج السويدى (ستيلر) الذى اكتشف مواهبها في السويد ، وعارضت الشركات الامريكية في التعاقد معها لأنها لم تكن ترحب بالممثلات المستوردات من الخارج، ولكن استاذها رفض ان يعمل في هوليوود ما لم تعمل تلميذته . وبدأت اللحمة الذهبية لأنبغ ممثلة سينمائية . وحياتها في السينما هي حياة أروع القصص التي ظهرت منذ أواخر القرن الماضى الى عام ١٩٣٥



دانيل داريو (فرنسية)

اختارها الكاتب الانجليزى (لورانس) لتمثيل بطلة قصته المشهورة (ليدى شارلى) مع انها فرنسية وليست انجليزية!! والقصة من الادب المكشوف لعنها البابا ، وصادرتها انجلترا ، ولكن هذه الممثلة استطاعت بفنها الرفيع ان تقدم شخصية محتشمة فى قصة غير محتشمة ، وفتحت للفيلم ابوابا كانت موصدة



ميشيل مورجان (فرنسية)

فرنسية في وسامتها ، وفي انوثتها ، ثم في تعبيرها .. قطعة من ارض فرنسا ... ولهذا فهي لا تعمل الا في القصص الفرنسي ، بل تكاد تكون قاسما مشتركا في تمثيل بطلات ما تخرجه الافلام الفرنسية المعاصرة . وفي تمثيلها لشخصيتي (ماري انطوانيت) ملكة فرنسا ، ثم (جان دارك) منقذة فرنسا ــ كانت حقا الملكة التي اطاحت براسها المقصلة ، والمنقذة-العذراء التي لاقت حتفها فوق المحرقة



اليزابيث تايلور (امريكية

كانوا يطلقون عليها ، فى اول الامر ، اسم (الدلوعة ليز) ..

هى حق جميلة ، وهى حق مثيرة ، الا ان الجمال والاثارة ليسا كل شىء فى الممثلة ، لتقفز الى الصف الاول وتمتلك ناصية الجمهور ... هناك الموهبة و (ليز) تجمع بين الموهبتين ، ومن كانت على هذا فحياتها مغامرات متداخلة

آخر أفلامها ، قطة فوق سطح من الصفيح الساخن) لاكبر قصاص أمريكا اليس ولبامز !

الينا بيتريتسكايا
(روسية)

احـــدث نجمة في السينما السوفييتية ،قفزت الى الصف الاول منـذ ثلاثة اعوام بعـد فيلم (قصة لم تنته) ، ثم استقرت في المقـدمة بفيلمها الاخير (نهر الرون الهادىء) أروع قصــة للكاتب الروسي المعاصر (مايكل شولوكوف) وفي (الينا) يتمثل الجمـال الروسي الذي يؤثر . بفطرتـه اكثر من تزينه ، كمـا يتجلى الاداء الواقعي الذي يؤثر بسلامة الفطرة أكثر مما يجلب بالصناعة ... انها قطعة من روسيا



ميكو ــ تاكا (يابانية)

ويطلقون عليها اسم (جريتا جاربو اليابان) « جمالها يخضع لمقاييس الجمال في امريكا وفي اليابان ومـواهبها عـالمية » كـذا وصفها نقـاد هـوليوود حينما مثلت أمام مارلـون براندو فيلم (سايونارا) ، وقصته أمريكية ، تعالج الذين يعقدون زيجات مـع اليابانيات أثناء اقامتهم هناك في الخدمة العسكرية



انجريد برجمان (سويدية)

السويدية الثانية المنحدرة من غزاة الشمال . غزت هوليوود بعد (جريتا) وما زالت تغزوها ، ولها كل يوم خلق جديد فى السينما ، وآخر أفلامها (السعادة السابعة) د « Indiscret » ، وقبلهما ، فيلم (أنستاسيا) الذى يؤرخ رجوعها الى هوليوود بعد أن تركتها الى ايطاليا ومكثت فترة من الزمن ، وتزوجت من المخرج الايطالى (روسولينى) واصبحت اما ، ولكن لا الزواج ، ولا الأمومة ، وقفت فى وجهها حينما رات ان ايطاليا لا تقدم لها الامكانيات التى تحسن ابراز مواهبها



ديبورا كير (انجليزية)

منذ سبع سنوات وهي تتألق في السينما الامريكية ، بعد ان تركت استوديوهات لندن الى هوليوود ، وآخر افلامها (الناشد المتباعدة) لكاتب امريكي كبير ، وقبل ذلك قفزت الى الصف الاول بين نجوم أمريكا في فيلم (نيرون) واعادت شركة مترو جولدوين اخراج قصة (سجين زندة لتفيد من مواهبها مع انه سبق لهوليوود أن اخرجت هذا الفيلم



ماريا شل (المانية)

يقول النقاد الالمان لولا عبقرية هذه الممثلة لتأخر ازدهار السينما الالمانية بعد الحرب العالمية الثانية ، اذ لم يجد الكتاب الالمان من تجيد أدوار البطلات في قصصهم

واعجب ما في هذه الممثلة اشراقة وجهها فان ابتسامتها شمس تذيب الثلوج . كما انها تختلف عن الممثلات الالمانيات في أن اداءها لا يشكو جفاف العاطفة بتأثير غلبة الذهن على القلب . وقد تجلى هذا في تمثيلها قصة (رُوز ــ بيرن) للقصاص الالماني الكبير (هوبتمان) وهي قصة تشبه (غادة الكاميليا) .. امرأة تضحي بكل شيء في سبيل الحب

چنيفر جونز (امريكية)

تنظر اليها فى الصورة فلا تجدها على وسامة أخلاه تتفق والشهرة التى أعلتها ، ومعلوم أن اكثر نجوم السينما دخلوا عالها بجواز من الجمال او الجنس ، وتشاهدها تمثل فلاذا هى جميلة الجميلات .. وكأنها تستمد هذا الجمال من انفعالات دورها .. جمال يتجدد فى كل انفعال !!

من قصة (مدام بوفارى) لجوستاف فلوبير ، الى (وداعا للسلاح) لهيمنجواى تقفز هذه الممثلة من سماء الى سماء



بين الاستاذ العقاد والأستاذ عماد

في يوم ٢٨ يونيو ١٩٥٩ أتم الاستاذ عباس محمود العقاد السبعين من عمره وقد أرسل اليه صديقه الشاعر الاستاذ محمود عماد القصيدة التالية تحية وتقديرا

جَسَدٌ تحوّل كُلُّهُ ... عَقلا وعقلٌ قد تَجسَّدْ
سمّوه عقادا وما ... أمر لديه قد تعقّدْ
سبعون عاما عمره ... في رأي مَن أحصى وعدّدْ
وبرأي مَن وَزن النهى ... سبعون قَرنا بل وأزيدْ
يا رائدَ الأدبِ الرفيع ... ومَن إليه دَعا وأرشدْ
إني لأشهدُ ليس غيرُ ... كَ مِن زعيمٍ فيه أوحدْ !!
حتى بمحكمة العِرا ... قِ إذا دعيتُ بذاك أشهدْ !!
مَنْ قال كلُّ الشيب مِن ... كِبَرٍ وعجز لم يُسَدَّدْ
فبياض شَعرك صبغةٌ ... والشعر في فحواه أسودْ
مَن كان في السبعين يَعْـ ... ـشَقُ فالشبابُ عليه سَرمدْ
ما زال شِعرُك في الق ... تيَمتَها بالشيب يُنشَدْ
يا ليتها كانت لمن ... شابوا جميعهمو بمرصَدْ
ومضتْ إلى أترابها ... تُطرِي للشيبَ بنا وتَحمدْ
من يوم شِبنا ما غَر ... فنا مَن تُسهّدُ أو تُسَهَّدْ
لِمَ أنت وحدك يا صَد ... يقِ دوننا بالحب تَسْعَدْ ؟
أفما نُزوَّد مِن قَوا ... رير الهواء بما تُزوَّدْ ؟
أو فالدليل على صِبا ... كَ تَمينُ كتْبٍ ليس يَنفَدْ
كتب كأمواج الخضم ... يـومٍ قد أرغى وأزبَدْ

إن يَغشَها مَن لا يُجيـدُ   الغوصَ في الأعماقِ يُلحِدْ
كُتبٌ بها تُرعَى الحيا   ةُ على قواعدها وتُسنَدْ
عدَلَتْ فيها الفكرَ واستَدْ   نَيتَ فيها كلَّ مُبعَدْ
يَلقَى الخلودَ مؤلِّفٌ   بمؤلَّفٍ منها تَفرَّدْ
لولا خشيتُ يقال دبٌّ   رام إصلاحا فأفسَدْ
لوضعتُ شخصَك في إطا   رٍ إذْ أخاف عليه يُحسَد
سبعين بعدَ الألفِ عِشْ   ويُقالَ هذا عمرُ فرقَدْ
يا ليت كل مُجـدِّدٍ   في هـذه الدنيا يُجدِّدْ

محمود عماد

وقد ردعليه الاستاذ عباس محمود العقاد بهذه الابيات

قالوا تَسَهَّدَ ، قلْ تَشهَّدْ   ونوى التهجُّدَ ، قلْ تَهجَّدْ
ما مِن هوًى كان السُّها   دُ ، وذاك ضوءُ الصبحِ سرمَدْ
ما لامرىءٍ لبِسَ النهـا   رَ برأسِهِ في الليل مَرقَدْ
والحُبُّ حلمٌ ، هل ترى   حلمًا على الأضواء يُرصَدْ ؟
وجميـلُ ظنِّك يَستردُّ   لِيَ الشبابَ وإن تَردَّدْ
فِينَ (العيادِ) على المدَى   معنى تولَّدَ أو تعمَّدْ
يا مَن يُجيـدُ ومَن يَجو   دُ ، وصِنْوه هيهات يوجدْ
هـاتِ الشبـابَ فإنه   معنًى مِن الشعر المجوَّدْ
وسِنٌ للمودّة روحُـه   والروح يا أبقى مُخلَّـدْ
أبقَى نعم . . أو لستَ محو   دًا ، بَلَى ! ورضاك يُحمدْ
وعلى يديك ـ فأنتَ عقـا   دٌ ـ نظيمُ الشعرِ يُعقَدْ
هـأنتَ أكبرُ يا أُخَيَّ   مِن ابنِ سبعينٍ وأزيدْ !

عباس محمود العقاد

كلب يعتز بنفسه

للكاتب النمسوي استيفان زفايج

ووصل « جوبيتر » الى حيث غاصت الطفلة فى سرعة مذهلة . ولم تكد تمر ثوان معدودات حتى كان عائدا بها الى الشاطىء

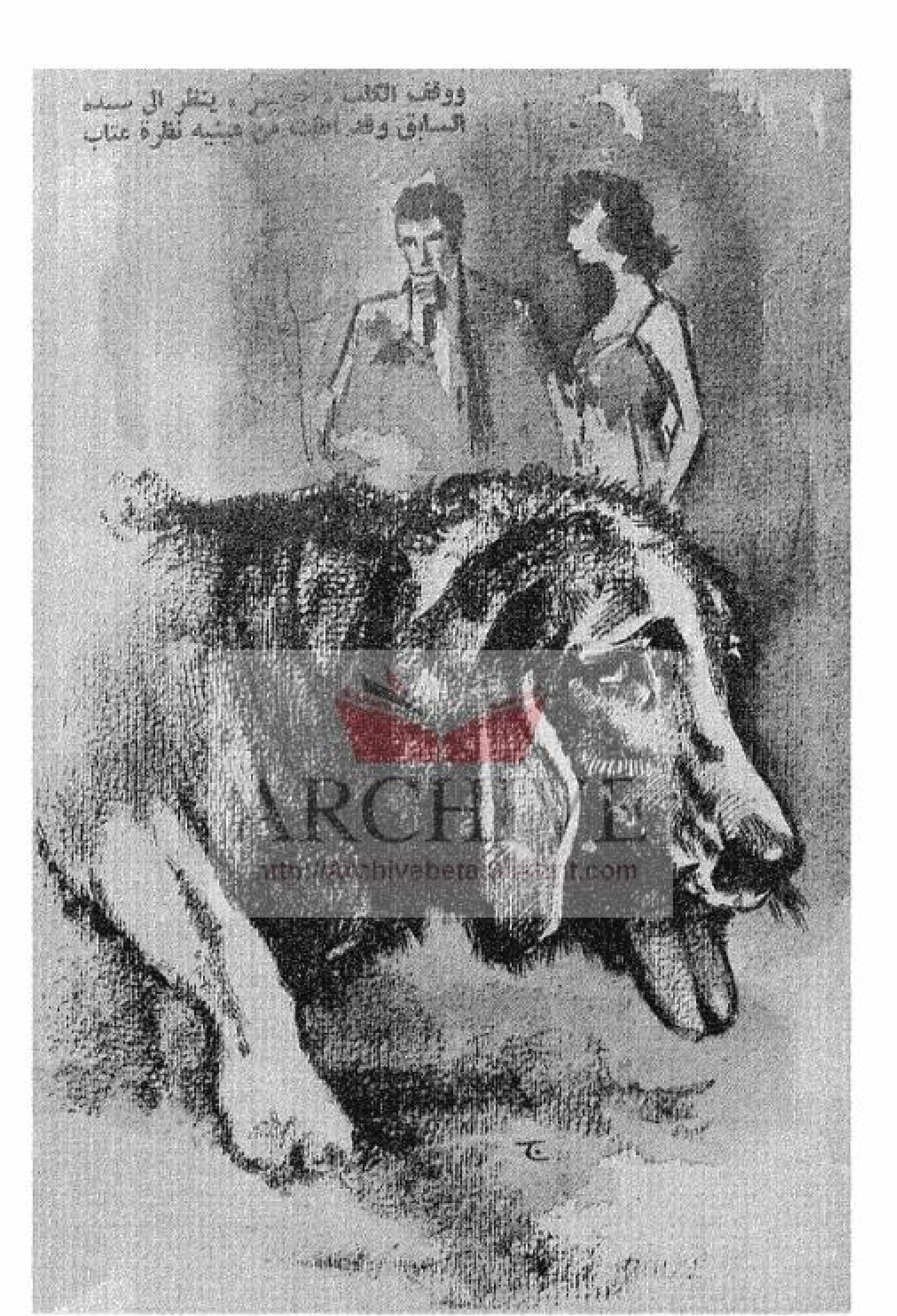
ليس لدى ما اقوله عن «روجيه استرجيس» الا انه كان رجلا لطيفا، خفيف الظل ، وجارا طيبا جديرا بالثقة . ومع ذلك ، فمنذ أن كنا نقيم ببيتنا المواجه لبيته على الشاطىء فان الصعوبة فى احتماله كانت تزداد على مر الايام ، فقد كان يعيش فى حماس متصل ، وكان سعيدا ببيته المريح ، وزوجته الكاملة ، وصديقته الجميلة ، وكان سعيدا كذلك بغليونه الذى كان يدخنه . كلا ، لم اكن اظن البتة قبل ان التقى به أن شخصا مثله منشرح المزاج على الدوام ، يمكن أن يصير تقريبا انسانا غير محتمل!

وكان السيد « استرجيس » يحب زوجته حبا جما ، بل كان يعبدها أكثر مما ينبغى ، وكان يبدى للاخرين فخره بها واعتزازه وهو يقدمها اليهم ، حتى كاد هذا يورثها الارتباك والاضطراب ، فما العمل ؟ نعم ، ما العمل لنحد من اندفاع هذا الزوج ونقلل من حبه لزوجته الذى ارتفع الى مرتبة العبادة ؟

وعندما تحدثت فى الامر انا وزوجتى « اليزابيث » واخذنا نقلبه على مختلف وجوهه ، انتهينا الى ان « استرجيس » وزوجته كان لابد لهما ان ينجبا طفلا حتى يوجه « روجيه » عندئذ فائض عواطفه نحو هذا الطفل .. غير ان الزوجين كانا قد اخذا بفقدان الامل فى أن يكون لهما ولد ، وقد مضى على زواجهما اكثر من ثمانية اعوام !

وحدث فى نفس الوقت ان زارت زوجتى بيت احد اصدقائنا القدماء، فرجعت من الزيارة بالاقتراح الآتى:

كان لهذا الصديق كلبة من نوع « البولدوج » ، كانت قد وضعت لتوها مجموعة لطيفة من الجراء الصغيرة وقد رات « اليزابيث » أن امرأة جارنا لابد ان تصبح


ووقف الكلب الحزين ، ينظر الى سيده السابق وقد اطلت من عينيه نظرة عتاب

سعيدة باقتناء احد هذه الجراء

ولم تفه السيدة «استورجيس» بلفظ عندما عرضنا عليهـا ذلك الامر ، وكانت تلزم الصمت دائما فى حضرة زوجهـا « روجيه » .. وقد تقبل الزوج اقتراحنا بارتياح كبير

▭

ووصل الكلب الصغير بعد ذلك بيومين ، غير ان النتيجة جاءت غير متوقعة على الاطلاق !.. ذلك اننا كنـا نرغب فى أن نضـمن للزوجة اليفا يؤنس وحدتها ، ويجلب لهـا شـيئا من التسـلية ، ولكن الذى حدث أن زوجها « روجيه » قـد اسـتولى على الكلب فلم يفـارقه البتة

وتبدو لى هـذه العـاطفة الان خيالية لا تصدق ، اذ كان الرجل يمكث ساعات باكملها يداعب فيها كلبه « جوبيتر » دون أن يمل او يكل ، فكان هذا يبعده عن زوجته!

وأخذ الكلب « جوبيتر » يكبر وبدأ صدره يقوى ، ولحمه يمتلىء، وقدماه تشتدان، وفكاه يتضخمان ، وانى لاعترف صراحة بأنه كان كلبا رائعـا رقيق الحاشـية ، يعنى به سيده عناية بالغة ، ويدربه احسن تدريب . وكان فى أول امره لطيفا للغاية ، ولكنه اخـذ يتغير رويدا رويدا ، ويبـدو أن ذكاءه وقدرته على الملاحظة كانا أكثر من المألوف ، اذ ما لبث أن لاحظ أن سـيده كان يحبه حبا يقرب من العبـادة ، ولا ينهره على اى عمـل غير موفق يصدر عنه ..

وكانت النتيجة محتـومة ، اذ اصبح « جوبيتر » متعاليا شـديد الغطرسـة ، وأصـبح لا يرتضى من سيده الاهتمام بشىء سـواه ، ويتلكأ عمدا اذا ناداه أحد . واخذ جبروت «جوبيتر» وتكبره يزدادان على مر الايام ، كما اخذت ثقته فى سلطانه وسطوته تتضاعف ، فكان يتمدد فى استرخاء على الاريكة ، ولا يحفـل حتى بالقاء نظـرة على سيده الذى كان لا يفتأ يناديه فى حنان واعزاز !

ومضـت الايام ، وسرعـان ما اخترع الكلب « جوبيتر » العابـا مؤذية . وكان بعض الفقـراء من الجيران قد اعتادوا أن يأتوا بسلال تحمل ثيابهم القذرة كى يغسلوها فى مياه القناة ، فكان « جوبيتر » يعـرف يوم مجيئهم ويترقبهم ثم يقصـد الى المكان الذى يغسـلون فيه ، وفى اللحظة المناسـبة ، كان يرفع السلال براسه الضخم فيلقى بها وبما فيها من الملابس الى الماء ، ثم يجرى بعيـدا بعد ذلك ، وقد فتح ما بين فكيه ، وكأنه يسـخر منهم ، ويتحدى النساء ان يلحقن به ، وعينـاه الورديتـان تلمعـان ببريق المكر والسرور ، ولـو أنهن لحقن به ، لما استطعن أن يفعلن شيئا فقد كان قويا كالحصان ..

وانتهى الامر بهـؤلاء النسـوة أن بحثن لهن عن مكان بعيـد آخر يغسلن فيه ثيابهن ! . وهـكذا ، حقق « جوبيتر » لنفسـه مكانة فى

المنطقة ، وقدم دليلا آخر على نفوذه وباسه !

▭

وانقضى عام على هذه الحال ، و « جوبيتر » يرتع ويلعب ويعيش كما يهوى مستمتعا بكامل حريته ، يفعل ما يشاء ولا معقب على تصرفاته .. وصار يتفنن فى اذلال سيده حتى صار هذا السيد عبدا لنزواته !

وذات يوم ، طلبت السيدة « استورجيس » الى زوجتى أن تذهب الى بيتها لرؤيتها ، فلما عادت زوجتى كان التأثر شديدا باديا على محياها ، اذ كانت جارتنا تعتقد أنها حامل ، وطلبت الينا ان نعد زوجها لتلقى هذا النبأ الذى اشاع فى نفسى وفى نفس زوجتى « اليزابيث » موجة من السرور فتركت كلمة للسيد «استورجيس» كى يمر ببيتنا عند عودته من المدينة

وجاءنا « استورجيس » أخيرا بادى المرح والنشاط على عادته ، فحدثته فى الامر بحذر شديد ، وشرد ذهن الرجل لحظة ، وفجأة ، لمعت عيناه ، وقفز من مقعده ، ثم رأيناه يجتاز حديقتنا الصغيرة فى طرفة عين ، ويتوارى بسرعة خلف باب منزله .. ولم تدهش أنا واليزابيث لهذا السلوك منه ، وشرعنا نضحك من أعماق قلبينا

وكان الكلب « جوبيتر » راقدا على الاريكة فى تلك اللحظة ، ينتظر تحيات سيده ومداعباته التى أصبح يعتبرها واجبا يجب ان يؤدى له ، وكان يتوقع ان يتوقف استورجيس عنده حينما يمر به ، ثم يركع أمامه ويداعبه كالمعتاد ، وعندئذ يقابله بالصد ، ويبعده عنه بقدميه الاماميتين فى تعال وكبرياء

ولكن .. الذى حدث أن عبر « استورجيس » الغرفة دون أن ينطق بكلمة ، أو يلقى على «جوبيتر» نظرة واحدة ، وسمعهما الكلب يثرثران ويضحكان ثم يبكيان! وهكذا أفاق «جوبيتر» المتكبر المغرور فجأة ليجد نفسه وحيدا مهملا ، لا يكاد يشعر بوجوده أحد

ومر المساء بأكمله ثم انقضى الليل ، والكلب جاثم مكانه على الاريكة ينتظر ، ولكن دون جدوى فلما أصبح الصباح ، لاحظ «جوبيتر» مرة أخرى أن أحدا لم يعره اهتماما ، ومع انه كان كلبا ذكيا ، فان هذا الحادث كان يعلو على مستوى ذكائه ، فأصبح ثائرا عصبى المزاج ، دائم التوتر والغضب .. انه لن يخطو قط الخطوة الاولى نحو سيده ، اذ يجب على «استورجيس» أن يثوب الى رشده وان يعود الى مداعبته وملاطفته

▭

وما أن حل الاسبوع الثالث حتى أخذ «جوبيتر» يعرج ، وكان طبيعيا ان يتوقع من سيده أن يهرع به الى الطبيب البيطرى كى يطمئنه على حالة كلبه العزيز ، غير ان شيئا من هذا لم يحدث ، وخاب ظن الكلب ، اذ أن « استورجيس » قد شغله أمر

طفله المرتقب ، فلم يعر الكلب ادنى اهتمام ، فلما يئس هـذا من ان يسترعي انتباه سيده بهذه الوسيلة اضطر آخر الامر ان يكف عن العرج وبعد ذلك بقليل ، حاول «جوبيتر» ان يجرب الاضراب عن الطعام، وفعلا اخذ يرفض ما يقدم اليه منـه في بطولة وجلد لمدة يومين متتاليين ، لكن الجوع الحيواني كان أقوى من ارادته .. وأقول «ارادته» وأنا اعني ما أقول ، لاني كنت أعرف «جوبيتر» حق المعرفة ، واعلم انه عاد الى الاكل ولكن بدون متعة أو شهية

وسرعان ما هـزل « جوبيتر » وتغيرت هيأته ومشيته ، وبـدا فيهما الاذلال ، وانطفأ لمعان شعره ، واصبح شارد البصر يطاطيء راسه ذلة وانكسارا كلما مر به احد

ولا يخالجني شك البتة في ان «جوبيتر » كان يشعر تماما بأن هناك أمرا تعد له العدة ، ويستأثر باهتمام أهل البيت .. وبعد مضى عدة أشهر ، اختفى الكلب ذات يوم، ولو كان بشرا لاعتقدت انه لابد أن يكون قد انتحر غير أنه عاد في مساء اليوم الثالث من اختفائه زائغ البصر، مثخنا بالجراح ، والظاهر أنه تشاجر مع كل الكلاب التي كان يصادفها في طريقه ، ثم عاد أخيرا الى البيت كما يعود المرء بعد ان يصـل الى ذروة اليأس ويذوق مرارته !

وكان في انتظار الكلب عند عودته مزيد من الاذلال ، فلم يستقبله احد أو يرحب بمقدمه أحد ، حتى ولا الخادمة التي تركته واقفا بالبـاب ولم تحفل بمجرد النظر اليه ، اذ كانت ساعة الولادة قد حانت وكان الطبيب مشغولا بتوليد الام ، تعاونه الممرضة ، اما انا وزوجتي فكنـا ننتظر في صحبه السيد «استورجيس» الذي كان محمر الوجه بادي القلق والانفعال

وكان « جوبيتر » أثناء ذلك واقفا ينتظر خارج الباب ، ولعـله كان يسأل نفسه بين لحظة واخـرى : ترى ماذا يفعلون ؟ وما لبث أن سمع جلبة وأصواتا مختلطة، وادرك بغريزته أنه لابد أن يكون هذا هو الشيء الذي أطاح بمكانتـه وتسبب في اذلاله ! سوف لا يفلت من بطشه « هذا » العدو الوضيع الجبـان الذي لم يره بعد ، والذي سيـراه حتما عندما يفتح الباب !! وتوترت أعصاب «جوبيتر» وتصلبت عضلاته فجثم على الارض متربصا وعيناه لا تفارقان باب البيت

وأخيرا أعلن النبأ السـعيد ووضعت الزوجة بنتا ، وفتح باب غرفة النوم بعد لحظات ، وظهرت الممرضة تحمل بين ذراعيهـا صرة صغيرة من الصوف ، ومن خلفها الطبيب الذي كان يبتسم وهـو يقول : « هيا يا سيد « استورجيس» خذ ابنتك الوليدة بين ذراعيـك وحدثنا عن مشاعرك كأب ! » ، وكان « روجيه » بادي التأثر ، شـديد الانفعال ، ونظرا لانه كان طويـل القامة انحنى كثيرا حتى استطاعت الممرضة أن تضع الطفلـة بين ذراعيه ، فأخذ يتأمل وجهها الصغير

في حنان بالغ من خلال دموعه التي كانت قد تجمعت في عينيه !

ومضت لحظة صمت كان الطبيب خلالها ينظر الى وجه السيد « استورجيس » بمزيج من العطف والسرور ، وفجأة .. لبس قفازه في يديه ، وقال وهو يتهيأ للانصراف: « حسنا .. ان كل شيء يسير على ما يرام ، وليس ثمة ما يدعو الى أي قلق . وسوف أعود بعد قليل.»

وفتح الطبيب باب البيت لينصرف وفي تلك اللحظة ، وفي لمح البصر مرق شيء كالسهم من بين ساقي الطبيب ، واندفع « جوبيتر » الى داخل الغرفة وعيناه شاخصتان الى سيده ، ومثبتتان على الصرة التي كان يحملها بين ذراعيه ، وبحركة واحدة ، قفز الكلب الى الطفلة الوليدة وهو ينبح من شدة الغضب ! وكان هجومه مفاجئا وعنيفا قاسيا الى حد أن « استورجيس » ترنح برغم طول قامته وسقط على الجدار ، وهو يحاول بالغريزة أن ينقذ الوليدة برفعها الى أعلى على امتداد ذراعيه.

فتلقفت زوجتي الطفلة وأعطتها للممرضة ، ثم دفعت بهما الى داخل الغرفة وأغلقت عليهما الباب

واستعاد استورجيس توازنه بسرعة ، وهجم على الكلب هجوما لا يقل عنفا وقسوة عن هجوم الكلب نفسه ، فكسر عليه المنضدة والمقعد وشاركته أنا والطبيب كذلك في هذا الهجوم ، فضربنا « جوبيتر » بكل ما أوتينا من قوة ، ثم ربطناه وقذفنا به الى الحديقة . وحانت مني نظرة الى « استورجيس » فرأيته يترنح كالثمل . وقد تمزقت سترته وأخذ الدم يقطر من ذراعه اليمنى !

□

واقترحت على « روجيه استورجيس » أن نقتل «جوبيتر» ولكن كان علينا أن نتحقق أولا من أنه ليس مصابا بمبادىء مرض الكلب وأخيرا ، استقر رأي الطبيب على أن يأخذه معه ، ثم شرع يهدىء من روعة رويدا رويدا حتى انقشع غضبه ، ولانت عريكته . واقترح بائع خردوات من بلد مجاور أن يأوي الكلب عنده ليستخدمه في الحراسة فوافقنا على الفور . وهكذا تم لنا التخلص من «جوبيتر» في النهاية

والحق أن السيد « استورجيس» صار يعبد الآن صنما جديدا أعز عليه بكثير من صنمه السابق ، وأخذ يحيطه بفيض من عطفه وحنانه فكان يكتشف في كل يوم وفي كل ساعة بل وفي كل لحظة ، أمورا جديدة عجيبة في طفلته الوليدة الجميلة ، حتى أنه كان يعاني مشقة كبيرة في مغادرة بيته ليذهب الى عمله وكان يتصل بالبيت تليفونيا من مقر عمله عشرات المرات في اليوم الواحد ، ليستفسر عن صحة المولودة ، ويتلقى بشأنها آخر الانباء وكان لا ينفك يحضر معه في كل ليلة لعبة جديدة لها ، وبات واضحا

أن الرجل قد تعلق تعلقا شـــديدا بطفلته ، وصار يحبها حبا يقرب من العبادة .. وقصارى القول كنا قد نسينا جميعاآمر الكلب«جوبيتر»ومع ذلك ، فقد اضطررت ذات ليلة لان أتذكر هذا الحلم المزعج ! ذلك أني كنت أحس ليلتئذ بأرق يمضني ، فنهضـــت وارتديت « الروب دى شـــامبر » ، ثم ذهبت الى المطبخ لادفيء كوبا من اللبن • ولما عدت الى الشرفة ، لاحظت أن ضوء القمر كان يغمر الفضاء من حولى فاسترخيت في مقعدى ، وأخذت أتأمل سحر الليل الساجي في ضوء القمر الحالم وسط هذا السكون الشامل

وانقضت لحظات ، وفجأة ... لمحت شيئا يتحرك على طول السور النباتي الذي يفصل بينـــنا وبين بيت « استورجيس » ، ولما أنعمت النظر تبينت أن ذلك الشيء لم يكن سوى « جوبيتر » وكان يزحف على بطنه فى بطء شديد كما لو كان يتحسس طريقه فى حـــذر ، أو يستطلع المكان خفية ، فانحنيت على حاجز الشرفة لاحسن الرؤية ، غير أن مرفقى اصطدم باصيص ورد فأحدث سقوطه صوتاً جعل الكلب يقفز فجأة قفزة لاصوت لها ويختفى عن الانظار !

وحينما استيقظت فى صـــباح اليوم التالى راودنى شعور بالخجل من انفعالى هذا ، ولم أحدث أحدا بما حدث • غير انى بعد ذلك بعدةأيام كنت أعنى بحديقة بيتنا ذات صباح عندمـــا رأيت خـــادمة أسرة « استورجيس » تمر من أمام بابنا فسألتها عما اذا كان أحد قد رأى الكلب «جوبيتر» منذ وقت قريب فقالت انه قد وقعت لها مغـــامرة عجيبة ولكنها أخفتها عن السـيدة « استورجيس » حتى لا تثير فى نفسها القلق ، ذلك أنها كانت تدفع أمامها عربة الطفـــلة على الطريق عندما مرت بهما سيارة نقل صغيرة فسمعت فى تلك اللحظة نباحـــا وحشيا مزمجرا صادرا من داخـل العربة ، وما ان رفعت عينيها حتى رأت كلبا ضخما رابضا الى جـوار السائق ، ولمحت عيناها كلمـــة « خردوات » مكتوبة على جـــانب السيارة بخط كبير لا تخطئـــه العين

وفى هذه المرة ، اعترانى خوف شديد ، فقلت للخادمة على الفور : « ان رأيت الكلب فاخبرى السـيد « استورجيس » بذلك فى الحـال واذا لم يكن موجوداً فاخبريني أنا ، وسوف أوصى بائع الخردوات بأن يربط الـكلب عنـدما يذهب الى المدينة

ومضيت فى طريقى ولكن صورة «جوبيتر» عادت تلح على خاطرى من جديد ! ترى أكان من الممكن أن يظل الكلب متذكرا طوال هذه المدة ؟ •• ولكنيعدت فقلت لنفسى ان الامرهنا لا يتعلق بكلب عادي ، فما العمل ؟

أيكون من الاوفق أن نخطر البوليس ؟ ٠٠ ولكن رجال البوليس قديسخرون من قصتنا ، ولهذا استقر رأيي على الا أحرك ساكنا ، ومرت الايامهادئة وادعة لا يعكر صفوها شيء

▭

وذات يوم أحد ، وكان يوما مشئوما لن أنساه قط ما حييت ،كنا نقضي فترة بعد الظهر أنا وزوجتي عند آل « استورجيس » ، وكنا جالسين نتحدث ونسمر ، والى جوارنا عربة الطفلة ، في الجهة المنحدرة التي ينحدر منها التل حتى يبلغ القناة ، ولست بحاجة الى أن أقول ان « استورجيس » كان لا يكاد يكف عن النهوض الى عربة ابنته ليلقي نظرة على الطفلة ويبتسم في وجهها

ولم يمض وقت طويل حتى نادتنا السيدة « استورجيس » لنشرب الشاي في البيت على مسافة ثلاثين مترا تقريبا من الموضع الذي تركنا فيه عربة الطفلة ، فصعدنا الى البيت بينما تلكأ « استورجيس » قليلا بجوار ابنته ، ثم لحق بنا وعاد يتحدث في موضوعه المفضل فقال في غبطة وحماس :

ـ حسنا ! ان الطفلة نائمة ،وهذا أمر مدهش ، أتعرفون أنها لا توقظنا أبدا أثناء الليل ؟

فسألته زوجته في لهجة شاع في نبراتها القلق :

ـ أهي في الشمس ؟

ـ نعم ، ولكنها شمس خفيفة ، وهذا شيء يفيدها كثيرا ، وكان بودي أن أحضرها الى هنا في عربتها صعودا ولكني خشيت أن يوقظها اهتزاز العربة

فسألت « روجيه استورجيس » بدوري وقد تملكني قلق مفاجيء :

ـ هل تركتها هناك ؟

ولكن « روجيه » لم ينطق بكلمة وانما نهض واقفا وقد لاحظ ما بدا على من علامات القلق ، وكان حب الرجل لابنته جعله يقرأ ما يدور برأسي من افكار ، غير أن زوجته ابتدرته قائلة وهي تجذبه من ذراعه: « آه لك يا « روجيه » ! ٠٠ هلا جلست لتشرب الشاي أولا ؟ لعمري انك أسوأ حالا من جدة عجوز قلقة ! » وكانت تبتسم لزوجها وهي تحدثه ، غير أن « روجيه » لم يبتسم لتلك المداعبة ، وانما عاد الى مقعده وظل قلقا مقطب الاسارير ، واحتوانا الصمت لحظة وأخذت أنا « واستورجيس » نتبادل النظرات وفجأة ٠٠ حدث شيء ـ خيل الى أنه ضوضاء غير عالية ـ جعل « استورجيس » يقفز من مقعده قاصداً الى الباب ، وما كاد يطل منه حتى صاح صيحة مروعة ، تنم عن

الجزع ، فشهقت بدوري قائلا بصوت مخنوق : « يا الهي ! ٠٠ ماذا حدث ؟»

وفي اللحظة التي لحقنا فيها « باستورجيس » كان يبدو عليه أنه قد أصيب بالشلل فجأة ! وألقيت نظرة خاطفة على عربة الطفلةفأذهلني أنني لم أجدها حيث كانت ، ودرت بعيني بسرعة في أرجاء المنحدر فلمحتها طافية فوق ماء القناة وهي لا تزال مستقيمة فوق سطحه ! فأدركت في مثل لمح البصر أن الطفلة لابد قد تحركت في عربتها فاهتزت هذه وانحدرت الى الماء ، وهاهي ذي الآن أمام أعيننا تميل من أحدطرفيها وترتفع من الآخر ، ولا ريب في أن الماء كان قد بدأ ينفذ الى داخلها اذ سرعان ما أخذت تغوص في اليم !

وكان الكلب «جوبيتر» واقفا في تلك اللحظة على الشاطىء ، تماماكما كان يفعل من قبل ، بجسمه الكبير ورأسه الابيض الضخم ، ولم تكد تمر ثوان معدودة على اندفاعنا الى الباب حتى انقلبت العربة ، وتحركت ذراعا الطفلة وساقاها لحظة خاطفة ، ثم اختفت تحت الماء ٠ فرأيت عندئذ منظرا عجبا ، رأيت الكلب وقد تصلبت عضلاته فجأة ، وبدا عليه التحفز والقلق ، ودون أن يضيع لحظة واحدة ألقى بنفسه في الماء ، ورأيته يسبح وهو فاتح فكيه العريضين مثلما لم يسبح قط كلب من قبل

ووصل « جوبيتر » الى حيث غاصت الطفلة في سرعة مدهلة ، ولم تكد تمر ثوان معدودات حتى كان عائدا بها الى الشاطىء ٠ واحتضن « استورجيس » ابنته العزيزة سليمة لم يمسسها سوء بعد أن أنقذها الكلب من غرق محقق

ووقف « جوبيتر »ينظر الى سيده السابق ، وقد أطلت من عينيه نظرة عتاب ، فركع « استورجيس » الى جواره وقد شاع في قسمات وجهه الالم ، وتجمعت في عينيه الدموع ، وأخذ الرجل بدوره ينظر الى الكلب فيطيل النظر ، ثم رأيته يمد يده ويربت على ظهر الكلب وهو يقول له في حنان بالغ « جوبيتر » ! ٠٠ تعال يا كلبي العجوز ٠٠ تعال يا « جوبيتر ! »

وعندئذ ، نظر الكلب طويلا في عيني سيده ، ثم نهض ومضى في سبيله لا يلوى على شيء ، تاركا « استورجيس » وحده مع ابنته ، ونحن جميعا وقوف من خلفه ، وقد عقدت الدهشة ألسنتنا فلم يحرك أحد منا ساكنا أو ينطق ببنت شفة !

مريض الوهم !!

للكاتب الفرنسى موليير

تلخيص وتعقيب زكى طليمات

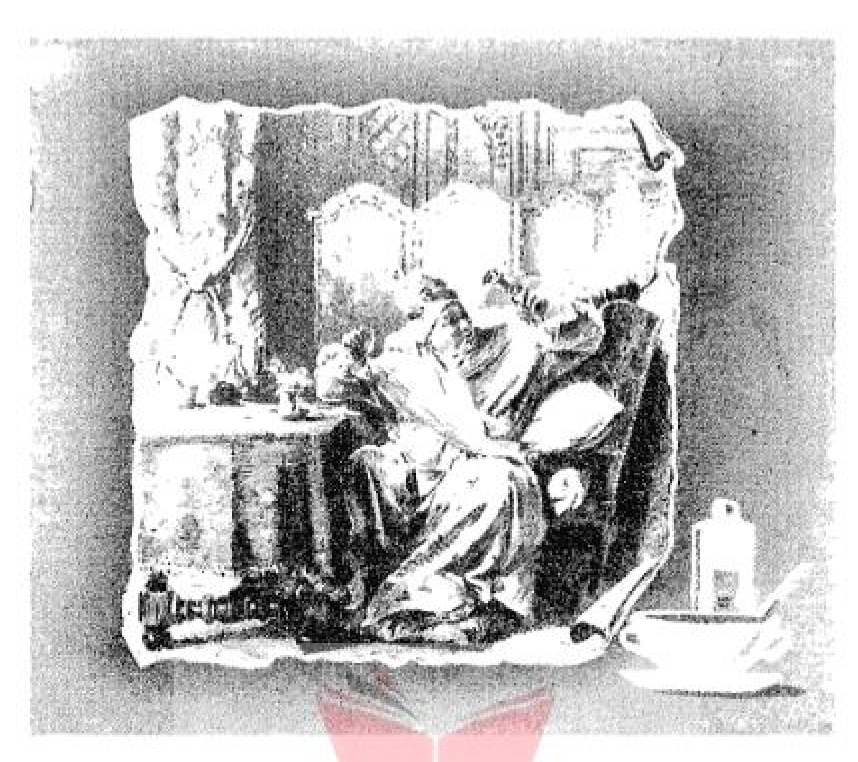
((عبقرية الكاتب المسرحى او القصاص ليست فى الحبكة والصياغة ، أو فى تسلسل الحوادث واتيان المشوقات ، كما أنها ليست فى الموضوع الذى يعالجه ، لأن الآراء والفكر تجول فى جميع الأذهان ، وهى ملء الهواء ، كما أن الصياغة والاوضاع الى تحور وتبدل . وانما العبقرية الحقة ، فى أن يبدع الكاتب نماذج بشرية تمثل وجوه الانسانية العامة التى لا تتحور ولا تتبدل

و (موليير) واحد من ثلاثة أو أربعة فى تاريخ الادب القديم والحديث ، أوتى هذه العبقرية))

النموذج البشرى ، او الشخصية الاولى فى مسرحيتنا هذه ، هو مريض الوهم .. ومريض الوهم ، هو (السيد أورجان) ، بل هو أكثر من مريض ، انه الوهم مرضا ، أو المرض وهما ، فهو أشبه بملف يجمع كل معالم وسمات المرض المتوهم حينما ينقلب فكرة ثابتة

ومع هذا ، فان ظاهر (أورجان) لا ينبىء عن المرض ، هو فى نضج الرجولة ، طويل النفس ممتلىء الجسم ، مورد الخدين . ولكن ما الحيلة !! .. هو يعتقد انه جد مريض ان قدميه تتدليان الى القبر . فهو لا يرى الا متدثرا فى الاغطية ، ملفوفا فى الاحزمة ، يعادى الهواء الطلق ويصاحب الحقن الشرجية تغسل أمعاءه مرتين فى اليوم ، ويبتلع من العقاقير أكثر مما يشرب من الماء !!

اننا جميعا نخاف الموت ، ولكننا



كان اورجان جالسا الى منضدة أمام سرير نومه يراجع قائمة ثمن الدواء الذى سيدفعه

لا نستنشق هذا الخوف مع الهواء .. وحقا أن الحرص على الحياة ، ودفع غوائل المرض .. فضيلة ، الا أن المبالغة فى هذا الحرص رذيلة ، مثل الحرص على جمع المال واكتنازه ، لان الفضيلة ، أيا كان نوعها اذا جنحت الى المبالغة ، اصبحت شيئا مذموما ، يبعث على السخرية

ومن هنا كان مريضنا (أورجان) لا يثير شفقتنا ، بل هو يبعثنا على الضحك ، وكيف لا نضحك ، وهو ينحى باللائمة على من يصارحه بأنه ليس مريضا ؟ ! وقد تزوج للمرة الثانية بسيدة كانت تمارس مهنة التمريض !! وها هو ذا موشك أن يحدث امرا يقيم الحجة على انه يعشق مرضه !! وان البخل بحياته يصاحبه أيضا . بخل فى ماله ، وما سخاؤه فى دفع ثمن الدواء ، الا سخاء المكره المغلوب على امره !!

ولا نطيل ...

ها هو ذا (أورجان) بنفسه ، جالس الى منضدة أمام سرير نومه ، يراجع قائمة ثمن الدواء الذى سيدفعه الى (صديقه) الصيدلى (فلوران) ، الدواء الذى استهلكه فى

الشهر الماضى ، وفى يده كيس نقود، وامامه على المنضدة وعاء ، هو يخرج النقود بعد المراجعة

«ثلاثةواثنانخمسة . اثنانوثلاثة خمسة .. حسن» . (يقرأ القائمة)

« وفى اليوم الرابع والعشرين ...

« حقنة صغيرة لتليين وترطيب مصارين حضرتكم» آه ان مايعجبنى فى السيد فلوران الصيدلى أن كشوف حسابه تسيل رقة وادبا . ثلاثون صلدا !! آه ! ولكن لا يكفى أن تكون مؤدبا يا سيد فلوران ، بل يجب الا تسلخ المرضى ... ثلاثون صلدا ! لقد قيدتها فى كشوفك السابقة بعشرين صلدا ، وهذه فى لغة الصيادلة تساوى عشرة صلدات ... (يعد عشرة صلدات)

« وفى اليوم الخامس والعشرين ، دواء ملين اكيد المفعول ، وبعض ادوية أخرى،حسبروشتة الطبيب (بورجون) لتفرز الصفراء من كبد حضرتكم . الثمن اربعة جنيهات !!» لا فلنجعلها ثلاثة جنيهات من فضلك

« وفى نفس اليوم دواء للشرب ملطف ، وقابض لاراحة حضرتكم . ثلاثون صلدا » لا ... خمسةعشر

« وفى اليوم السادس والعشرين .. حقنة طاردة للارياح الباطنية لطردارياح حضرتكم .ثلاثون صلدا!» لا .. عشرة صلدات تكفى ..

وهكذا دواليك ، حتىنهاية الشهر . يثور تارة كلما اقتنص مبالغة فى تقدير ثمن الدواء،ويهدأ تارة اخرى اذا ارتاح الى الثمن ، لم يجرى حساب ما استهلكه من الدواء طيلة هذا الشهر ، ويقارنه باستهلاكهمنه فى الشهر الماضى ، فيتضح له ان ما استهلكه هذا الشهر أقل من مثيله فى الشهر الماضى

وبدلا من ان يرتاح الى هذه النتيجة ، نراه يضيق ويتمتم :

ـ اذن لاعجب أن ساءتصحتىفى هذا الشهر . وسوف اخبر الطبيب بورجون بهذه النتيجة السيئة

وتركبه ثورة من الغضب فيدق الجرس الذى أمامه مناديا خادمته (توانيت) التى تبطىء فى الحضور فيندفع يسب ويلعن :

ـ انهم طرش .. توانيتياكلبة، ياسافلة ، أيترك وحدههكذا مريض مثلى . ؟ رحمتك يا الهى !

وتحضر توانيت ، وهى من طراز يجمع الى الصراحةوحسن الادراك، الحيلة وخفة الظل ، وهى مربية ابنتيه من زواجه الاول ، فلها على سيدها دالة وجرأة . ويسألها :

ـ هل كان البراز جيدا ؟

ـ ليس هذا من شأنى ، وعلى السيد فلوران أن يضع انفه فيه فهو يرتزق منه

ـ جهزى لى ماء ساخنا لآخذ حقنة أخرى بعد قليل

ـ ان السيد فلوران والطبيب بورجونقد وجدا فى جسمكتسلية بل وجدا فيه بقرة حلوبا ، وبودى أن اسألهما باى مرض انت مصاب حتى تستعمل كل هذه الادوية

ـ اخرسى يا جاهلة . احضرى لى ابنتى انجليك

وتدخل انجليك ، ولكن امعاء أورجون تتحرك فجأة ، فيجرى مهرولا الى دورة المياه ...

ومماتتحدث به انجليك والخادمة، نعرف ان الفتاة تحب شابا اسمه كليانت ، وانهما تواعدا على الزواج، وانه كتب اليها بالامس انه سيحضر ليطلب يدها من أبيها

ويعود أورجون مشرق الوجه بعد أن أفرغ ما بامعائه ، ليتحدث فى الزواج مع ابنته

ـ سأطلعك علي خبر لم يكن منتظرا . انت مطلوبة للزواج . ما هذا ؟ اتضحكين ؟ نعم ان كلمة الزواج تسر وتفرح ، وليس الذ من وقعها على قلوب العذارى ! هل توافقين اذن على الزوج ؟

ـ انى أوافق على كل ما يرضيك

رحبت انجليك بالزواج ، وقد حسبت ان حبيبها كليانت هو من يعنيه أبوها ، فاذا هى تمتدح صفاته، وتعترف لابيها انها هى وهو قد تعارفا منذ اسبوع ، ولكن يتضح بعد قليل ان الاب يتحدث عن شخص آخر ، هو ابن اخت طبيبه (بورجون)، شاب سيحصل على بكالوريوس الطب بعد ثلاثة أيام ، وأبوه طبيب معروف اسمه ديافواروس

وتنعقد الدهشة على وجه انجليك ، وتتدخل توانيت :

ـ انها مهزلة ان تتزوج ابنتك من طبيب مع ما عندك من مال

ـ حجتى اننى رايت نفسى مقعدا مريضا ، فاردت أن أصاهر الاطباء

ثم يزيد على هذا ، أن ليس للطبيب ديافواروس وارث سوى ولده توماس هذا ! ، ويشتد الجدل بينه وبين (توانيت) ، فيستل عصاه من جانبه ، ويجرى وراءها فى خفة السليم المعافى ، ولكنها تفلت منه . وتدخل زوجته (بلينا) فيرتمى بين ذراعيها وهو يشكو المرض والاوجاع

وتوبخ السيدة الخادمة ، وتهددها بالطرد اذا عادت الى تعكير مزاج السيد ، ثم توسده صدرها ، وتهدهده كالطفل

ان السيدة (بلينا) امراة ناعمة ذات دهاء !

بيد تتملق توهم المرض فى زوجها وبيد اخرى تعمل على انتزاع ثروته على الا يشرك فيها ابنتيه

وقد اعدت لهذا عدتها، واستحضرت رجل أعمال ليحتال على القانون ، ثم يجمعوا على راى ، ولكن أورجان أمام دموع الزوجة الوالهة ، التى تؤكد انها ستلحق به الى العالم الآخر اذا وقع به مكروه ، لا يملك الا ان يهبها فى الحال ما اختزنه من ذهب وقدره عشرون الف قطعة

وينتقل الجميع الى الغرفة المجاورة

وتدخل توانيت التى كانت تنصت بالباب ، وتنادى انجليك وتطلعها على الخبر وتزيد :

ـ حاولت زوجة ابيك ان تجعل منى كاتمة أسرارها ، وكم حاولت أن أشاركها فى تنفيذ رغباتها . فدعينى الآن أعمل لوحدى ، وسأستغل كل الظروف لخدمتك ، سأخفى غيرتى على مصالحك ، واتظاهر بمجاراة ابيك وزوجته فى أهوائهما .. وسأحيط كليانت حبيبك بما يجرى

ويحضر كليانت ، بعد ان عرف

حقيقة الموقف ، ويتفق مع توانيت على ان تقدمه الى أورجان بوصفه مساعد الموسيقار الذى يعلم انجليك العزف والغناء

أما توانيت فبدأت تنفذ خطتها . انها تؤنب كل من يقول لسيدها ان صحته جيدة ، وتعتبر هذه التحية اهانة تستحق العقاب

ومن ناحية أخرى صارت تهلل لسيدها لاختياره (توما) خطيبا

ويحضر توما الذى سيصير طبيبا بعد ثلاثة أيام ، ومعه والده الطبيب ديافواروس لخطبة انجليك

ان توما آية فى الغباء . يحفظ عن ظهر قلب الكلام الذى أعده ليلقيه على مسامع أورجان ، وهو يطلب يد ابنته ، وهو خامل الادراك ، لانه يحيى زوجة أورجان ويلقى بين يديها خطبة الخطوبة على اعتبارانها انجليك !

ويعقب كليانت على هذه الخطبة :

ــ انه كلام معجز . فلو كان طبيبا ماهرا كما هو خطيب ماهر ، لسرنا جميعا أن تكون من مرضاه

ولكن انجليك ترفض ان تمد يدها الى توما لتعطيه عهد الزواج ، فيثور والدها ويهددها بارسالها الى الدير . هى وشقيقتها

ويتقدم توما الى فحص أورجان ليظهر مهارته .. وبعد ان يقوم بجس نبضه ، ويتبادل مع ابيه ، الرطانة باللاتينية فى أسماء الامراض والعقاقير ، يلتفت الى أورجان :

ــ أنت تشكو من عدم انتظام (البارنسكى) ، يعنى الطحال

ــ لا ابدا . قال الطبيب بورجون أن كبدى هو المريض

ــ نعم . نعم ، فمن يقول (بارنسكى) يقصد الطحال أو الكبد . وذلك للاتصال الوثيق بينهما ، وارتباطهما بالامعاء . وأمرك ولا شك أن تأكل اللحم المشوى

ــ لا ، اللحم المسلوق

ــ نعم لا فارق بين المسلوق والمشوى

ــ سيدى كم حبة من الملح ينبغى ان أضعها على البيضة الواحدة ؟

ــ ست حبات ، أو ثمان ، أو عشر . على أن يكون العدد مزدوجا ، أما فى الادوية فيوضع الملح بالعدد المفرد

وهكذا نرى (موليير) لا يتورع عن ان يرسل سهام سخريته المسمومة الى الطب والاطباء !!

وتحضر السيدة بلينا لتخبر زوجها انها شاهدت شابا بغرفة انجليك ، وما كاد يراها حتى اطلق ساقيه للريح ، وانه يمكنه ان يعرف حقيقة الامر من اختها الصغرى لويزون

ويستنطق الوالد ابنته الصغرى ، فتعترف بأن الشاب انما هو مساعد الموسيقار ، وانه ركع أمام انجليك وقبل يديها !!

ويحضر السيد بيرالدو ، شقيق أورجان بعد أن انتهت اليه هذه الحال ، أتى ليجد مخرجا لشقيقه ، الذى يئن من مرض متوهم ، وزوجة تريد أن تسلبه ثروته ، وعنادا فى أن يزوج ابنته ممن لاتحبه ، أو ان تدخل هى وشقيقتها الدير .. يحاول هذا ، ولكنه لا يفلح

وتنبرى الخادمة (توانيت) تقدح زناد الفكر :

علينا أن نستدعى طبيبا يكرهه فى الطبيب بورجون ويفضح له مسلكه ، وبما أنه لايوجد بين أيدينا هذا الطبيب ، فقد عزمت على أن العب دورا خطيرا

ويمهد بيرالدو لتنفيذ هذه الخطة بان ينعى على شقيقه استسلامه للطب والادوية :

— لم ار أنسانا اقل مرضامنك . وانا شخصيا لأتمنى لنفسى جسما سليما مثل جسمك

ويثور أورجان ويعارض، وينتهى الجدل بما يريد ان يقرره المؤلف فى هذا الصدد ، « هناك أناس يعيشون من غير دواء ، وآخرون يموتون من الدواء ، وان الخير كل الخير فى الاعتدال . »

وفجاة يدخل عليهما الصيدلى فلوران وبين يديه (حقنة) ليفرغها فى جوف صديقه اورجان ..

ولكن بيرالدو ، يطرد الصيدلى ويصفه بأنه رجل دجال ، مثل الطبيب بورجون ، وبانه لم يتعود مخاطبة الناس فى وجوههم !

وبعد برهة ، يدخل الطبيب ثائرا يهدد أورجان بأنه سيموت فى ايام ، وانه لن يتدخل فى أمر علاجه، على الرغم من انه لم يبق بينه وبين الشفاء التام سوى تعاطى اثنى عشر دواء !!

وما أن ينصرف مدمدما مهددا، حتى تدخل توانيت ، لقد تنكرت فى زى طبيب ، وتشد شعر لحيتها المستعارة كما يفعل الاطباء وتنجح فى ان تشكك اورجان فى مهارة طبيبه . ان ما يشكو منه أورجان ليس الكبد ، ولا الطحال . وانما هى الرئة !!

والعلاج ؟ ؟

شرب النبيذ خالصا ، اكل لحم البقر والخنزير السمين ، والجبن والفطائر .. وان الطبيب بورجون . حمار !!

وينصرف الطبيب المزعوم، تاركا أورجان وشقيقه يتبادلان النظر ، الاول تعقد الدهشة فمه ، والاخر يفيض اعجابا وعجبا

وسرعان ما تعود توانيت بملابس الخادمة وهى تصيح بالطبيب ان يحتشم . اراد ، وهو خارج من الحجرة ، ان يجس نبضها فجس نهديها !!... تعمدت هذا القول بالطبع للتعمية ولتغطية موقفها اذ كانت متنكرة فى زى طبيب !!

ويضحك أورجان ، وقد نسى مرض الكبد والطحال والرئة .

ويغتنم بيرالدو هذه الفرصة فيعاود تحذير شقيقه من زوجته التى توغر صدره على ابنتيه

ولكن توانيت تنبرى للدفاع عن الزوجة ، وتؤكد ان سيدتها مدلهة بحب السيد أورجان ، وانه اذا كان فى شك من هذا ، فما عليه الا ان يتمدد على سريره ويتظاهر بالموت

يرحب أورجان بالفكرة ، ويأمر اخاه بأن يختبىء فى ناحية

وتأخذ توانيت فى البكاء والنحيب، وتأتى السيدة وتسأل ما الخبر ؟ ؟

— مات زوجك . ولا يعلم احد بهذا الخبر حتى الان . اذ كنت

وحدى معه واسلم الروح بين يدى
ـ الحمد لله . قد تخلصت من حمل ثقيل
ـ آه كنت احسب انك ستبكين!!
ـ لا. لا. انه لا يستحق البكاء. وماذا كانت فائدته على الارض ؟ كان رجلا مقرفا ، لا تفارق الادوية بطنه ، يسعل ويتمخط ويبصق
ثم تطلب الى الخادمة ان تساعدها فى تنفيذ خطتها نظير مكافأة مجزية. عليها أن تكتم خبر موته حتى تجمع بعض الاوراق الهامة التى بمقتضاها تئول ثروته اليها
ـ والآن تعالى يا توانيت ولنأخذ مفاتيحه
وما ان تمد يدها الى حزامه ، حتى يستوى اورجان جالسا وهو يصيح :
ـ حلمك .. اهكذا يكون حبك لى يا زوجتى ؟ ؟
وتصيح توانيت :
ـ آه ان المرحوم لم يمت ! !
ولا يسع الزوجة الا أن تهرب وتسمع خطى انجليك قادمة . فتطلب توانيت الى سيدها أن يعاود (موته) من جديد فيرقد
أى فجيعة يتفجر عنها قلب الابنة .. ومن دموعها المنهمرة ترى حبيبها كليانت قادما جاء ليتوسل الى أبيها بأن يعدل عن قراره فى أمر زواجهما، ولكن انجليك تقاطعه :
ـ لنترك فكرة الزواج جانبا . لا يسعنى بعد موت أبى الا ان انقطع عن العالم لابكيه
ويصحو (المرحوم) من جديد ، وقد وضحت له معالم الاشياء على حقيقتها
وينضم بيرالدو الى كليانت فى التوسل الى اورجان بان يسمح لابنته بالزواج .. فيجيب :
ـ أوافق على شرط أن يمارس مهنة الطب
ـ سمعا وطاعة . اعاهدك على أن أصير طبيبا وصيدليا
ويزيد بيرالدو من السخرية والفكاهة حبتين فيقترح على اورجان :
ـ ولم لا تعمل انت طبيبا . انك تحصل بهذا على كل ما يلزمك بنفسك !
ـ ولكن ينبغى لذلك ان ارطن باللاتينية وأن ادرس الادوية
ـ تتعلم هذا بعد أن تلبس معطف الطبيب وقبعته . وتزيد توانيت قائلة :
ـ صدقنى يا سيدى اذا لم يكن هناك سوى لحيتك فقد قطعت شوطا بعيدا فى عالم الطب ، فاللحية نصف شخصية الطبيب
وقد يتساءل القارىء بعد كل هذا ، اكان اورجان مريضا حقا ؟ والجواب .. اجل هو مريض ولكن بتفكيره ، وليس بأعضاء جسمه !!
ان ما نأخذه على أورجان ونضحك منه ونسخر به ، ليس الا فضيلة التحرز من المرض ، وقد انحرفت ، بعامل الانانية ، من الاعتدال الى التطرف.
واذا صح أن هذه المسرحية سخرية من مرض الوهم ، فهى أيضا تسخر من المخيلة المريضة !!

الحبل

للقصصي الفرنسي جي دي موباسان

ان الطلق النـارى الذى لا يصيب كفيل أن يزعج ويحدث الاضطراب

اقبل الفلاحون في «يوم السوق» مع زوجاتهم على الطرق الكثيرة المنتشرة حول بلدة «جودرفيل» قاصدين المدينة . وقد احتشد الجمع واختلطت القبعات العالية التى يلبسها الاغنياء منهم بقرون الماشية ، وبما تحمله القرويات فوق رءوسهن . . وكانت الاصوات المنبعثة من هنا وهناك تثير ضجة متواصلة ، كان يعلو فوقها بين حين وآخر خوار بقرة او قهقهة مدوية من ريفى قوى الصدر .

وكان السيد « هوشكورن » — وهو من اهالى بلدة « بروتيبه » — فى طريقه الى الميدان عندما لمح على الارض قطعة حبل صغيرة . وكان الرجل على جانب كبير من الحرص ككل نورماندى صميم ، يرى ان كل ما يفيد يجب أن يلتقط فقد ينتفع به ، فاحنى قامته فى جهد ظاهر ، على الرغم مما كان يشكوه من آلام الروماتيزم ، واخذ يلف قطعة الحبل فى تؤدة وعناية . ثم وقعت عيناه فى تلك اللحظة على السيد «مالاندان» صانع السروج واقفا بباب حانوته وهو يحدجه بنظراته

كان بين «مالاندان» و«هوشكورن» خلاف قديم ، اذ كان الرجلان قد تنازعا ذات مرة من اجل رسن ، لانهما كانا حقودين، فقد استحكمت العداوة بينهما منذ ذلك الحين . واحس السيد « هوشكورن » بشىء من الخجل حين رآه عدوه يأخذ قطعة من الحبل من الارض الملوثة بالاقذار ، فاسرع باخفائها تحت سترته ، ثم دسها فى جيب « بنطلونه » ، واخذ يتظاهر بانه لا يزال يبحث فى الارض عن شىء لم يعثر عليه بعد . ومضت لحظة قصد بعدها الى السوق ، ورأسه الى الامام وظهره مقوس من الالم ، وسرعان ما غاب فى الجمع الصاخب المحتشد ، وشغلته مناقشات ومساومات لا تكاد تنتهى !

وكان الفلاحون يفحصون الابقار ، وينصرفون عنها ، ثم يرتدون اليها وقد استولت عليهم الحيرة ، وامتلأت نفوسهم بالخوف من أن

يصيبهم الغبن ، فكانوا نهبا للتردد لا يجسرون على البت فى الامر ، يرقبون الباعة ، ويحاولون جهدهم أن يهتدوا الى حيلهم أو الى عيب فيما يريدون شراءه من الدواب .
وكانت النساء قد وضعن ما يحملن من السلال الكبيرة عند أقدامهن ، وأخرجن الدجاج والقينه على الارض ، موثوق الارجل ، قرمزى الاعراف ، يطل الفزع من عيونه

وكان طلاب الدجاج يعرضون على الفلاحات أثمانا بخسة فيأبين الا ما ذكرن لهم من اثمان ، وقد شاعت فى ملامحهن الصلابة ، وبدت وجوههن خالية من كل أنفعال . وقد يحدث فجأة ان تقبل احداهن الخفض المقترح ، فتصيح بطالب الشراء ، الذى يكون قد هم بالانصراف على مهل : « حسبنا يا سيد « أنيتم » .. سأعطيك اياه بما ذكرت »

ثم أخذ الميدان يخلو شيئا فشيئا ، ودق ناقوس الظهر ، فذهب الذين قدموا منهم من أماكن بعيدة الى حانات البلدة ومطاعمها

□

وكانت صالة الطعام الكبيرة فى مطعم « جوردان » غاصة بالناس ، كما كان الفناء الرحب يزخر بالمركبات من كل نوع ، وقد أصفر أونها من تلوثها بالاقذار ، وبدا بعضها و « عريشه » مرفوع الى السماء كالذراعين ، وبعضها الآخر قد استقر عريشه على الارض . وكان بالمطعم موقد كبير ، قد استعرت ناره وانبعث منها الدفء فى ظهور الجالسين حوله .

وكانت هناك ثلاثة سفافيد تدور على الحاضرين مثقلة بالدجاج والحمام وافخاذ الضأن ، بينما كانت الرائحة الشهية المنبعثة من المرق والشواء من جانب الموقد تداعب الانوف ، فتضاعف المرح وسال اللعاب ، وقد جلس رواد المطعم ينتظرون الاطباق الشهية التى كانت لا تنفك تقبل عليهم مملوءة وترتد عنهم فارغة ، وهم يتبادلون الحديث بصوت مرتفع ، أو يتحدث الواحد منهم الى رفيقه أو جاره عن شئونه وعما اشترى وباع

وفجأة ، سمعت دقات طبل صادرة من الفناء ، فاسرع من فى المطعم الى النوافذ والابواب ، وافواههم ممتلئة ، والفوط ما زالت بايديهم ، ولم يبق فى مكانه الا قليل منهم لم يعنوا بالامر . وبعد ان انتهى منادى البلدة من دق طبلته ، أخذ يتلو ما يلى بصوت خشن النبرات :

« على الجميع ان يعلموا انه فقدت صباح اليوم على طريق « بوزفيل » ، فيما بين الساعة التاسعة والساعة العاشرة ، محفظة جيب من الجلد ، سوداء اللون ، بها خمسمائة فرنك وبعض الاوراق . فعلى من يجدها ان يسارع الى ردها دون ابطاء الى مكتب العمدة ، أو الى السيد « هولبريك » من أهالى مانفيل ، ولمن يفعل ذلك جائزة قدرها عشرون فرنكا »

وما كاد المنادى يفرغ من تلاوة هذا البلاغ حتى انصرف من الفناء ، ثم سمع دق الطبل مرة أخرى صادرا

من بعيد ، وكان صوت المنادي أقل قوة ووضوحا فى هذه المرة

وما أن تلاشى الصوت حتى شرع الناس يتكلمون عن الحادث ، ويتساءلون هل يرجى أو لا يرجى أن يسترد السيد « هولبريك » محفظته المفقودة ، وكادوا يفرغون من تناول القهوة ، عندما ظهر البوليس بباب المطعم وقال يسألهم : « هل السيد « هوشكورن » من اهالى « برتبيه » هنا ؟ »

وكان « هوشكورن » فى تلك اللحظة جالسا عند الطرف الآخر من المائدة ، فقال ردا على سؤال الضابط : « نعم .. أنا هنا » . فعاد الضابط يقول : « هل لك أن تتفضل يا سيد «هوشكورن» فترافقنى الى مكتب العمدة ؟ انه يريد أن يتحدث اليك » . فاستولى على الرجل مزيج من الدهشة والقلق ، وشرب ما فى كأسه الصغيرة من الخمر دفعة واحدة، ثم نهض واتجه نحو الباب، وهو أشد انحناء مما كان فى الصباح، اذ كانت الخطوات الاولى التى تعقب كل راحة ، شاقة بالنسبة اليه بوجه خاص ، وكان يردد قائلا وهو يمشى : « هأنذا .. هأنذا ! »

⊏⊐

وكان العمدة هو مسجل العقود أيضا فى هذه الناحية ، وهو رجل ضخم الجسم ، يدل مظهره على الجد ، وتنطق عباراته بالمهابة ، وقد جلس فى مقعده الوثير فى انتظار قدوم السيد « هوشكورن » ، فلما دخل عليه هذا الاخير ، ابتدره قائلا :

ـ انك شوهدت فى هذا الصباح يا سيد « هوشكورن » وأنت تلتقط ـ على طريق « بوزفيل » ـ المحفظة التى فقدها السيد « هولبريك » من أهالى بلدة مانفيل ...

فذهل الرجل ، وشخص ببصره الى العمدة ، وقد أفزعته الشبهة التى اتجهت اليه فجأة وعلى غير انتظار ، دون أن يعرف سببا لذلك .

ومرت لحظة من الصمت الرهيب قبل أن يقول بصوت مبحوح :

ـ أنا ؟ أ.. أنا التقطت محفظة ؟!

ـ نعم ، انت نفسك

ـ اقسم لك بشرف انى لا اعلم شيئا عن ذلك !

ـ ولكنك شوهدت !

ـ أنا شوهدت يا سيدى العمدة ؟ أنا ؟ من ذا الذى يقول انه قد رآنى ؟

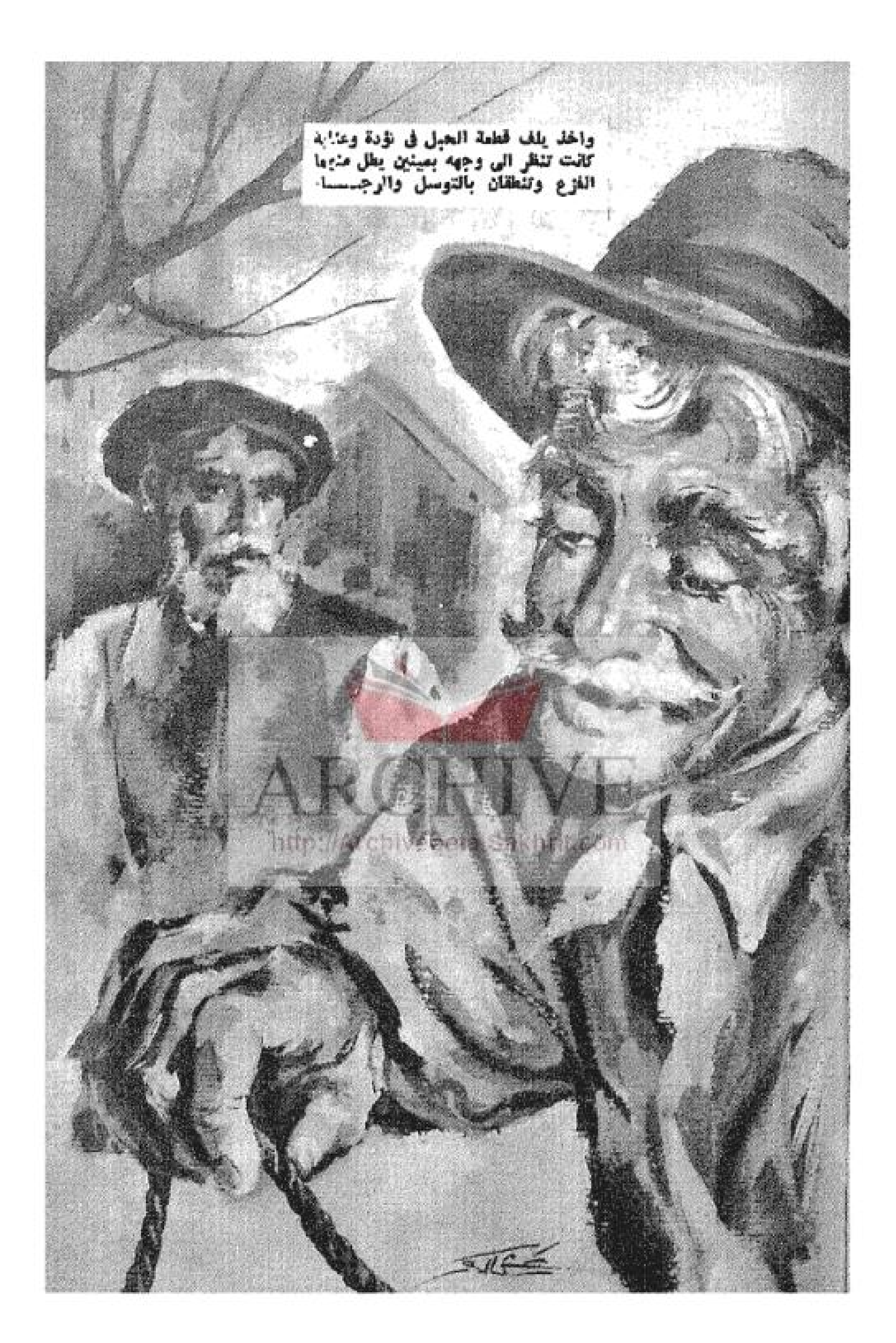
ـ السيد « مالاندان » صانع السروج

وما كاد الرجل يسمع هذا من العمدة حتى تذكر حادث الصباح ، وأدرك كل شيء ، فصاح قائلا وقد احمر وجهه من الغضب :

ـ آه ! . رآنى ... هذا الوغد ! رآنى التقط هذا الحبل . أنظر ، هذا هو يا سيدى العمدة !

ودس الرجل يده فى جيبه ، وبحث فيها لحظة ، ثم أخرج منها قطعة الحبل . غير أن العمدة لم يصدق كلامه وانما هز رأسه وهو يقول :

ـ انك لن تجعلنى أصدق يا سيد



واخذ يلف قطعة الحبل فى تؤدة وعنايه
كانت تنظر الى وجهه بعينين يطل منهما
الفزع وتنطقان بالتوسل والرجـــــاء

« هوشكورن » أن السيد «مالاندان» وهو رجل جدير بالثقة ، قد حسب أن هذا الحبل محفظة !

فرفع الرجل يده وهو يكاد يتمزق من الغيظ ، وقال فى صوت متهدج النبرات :

ـ هذه هى الحقيقة ، علم الله ، يا سيدى العمدة . وانا اكررها ، والله على ما اقول شهيد !

فاستأنف العمدة كلامه قائلا :

ـ وبعد أن التقطت ما وجدت ، لبثت لحظة طويلة تبحث فى الوحل ، لترى ما اذا كانت أية قطعة من النقود قد سقطت من المحفظة !

وما ان وصل العمدة فى حديثه الى هذا الحد ، حتى كاد الرجل يختنق من الغيظ والخوف ، وقال فى اضطراب بالغ :

ـ كيف يستطيع امرؤ ان يقول ... مثل هذه الاكاذيب لتسىء الى سمعة رجل شريف !

كيف يستطيع امرؤ أن يقول ...

غير أن احتجاجات السيد « هوشكورن » قد ذهبت كلها هباء ، ولم يصدق كلامه احد . وواجهه العمدة بالسيد « مالاندان » فأعاد ما سبق أن قاله من قبل ، وتبادل الرجلان الشتائم بعض الوقت ، ثم طلب السيد « هوشكورن » أن يفتشوه. فلم يجدوا معه شيئا

واستبدت الحيرة بالعمدة اخيرا ، فصرف الرجل من عنده بعد أن أنذره بأنه سوف يستشير وكيل النيابة فيما يجب اتخاذه من اجراءات

⏥

وذاع الخبر فى أرجاء المدينة ، فلم يكد الرجل يغادر مكتب العمدة حتى اقبل الناس عليه واحاطوا به من كل جانب ، ثم اخذوا يلحون عليه بسيل من اسئلتهم المستطلعة ، جادين او ساخرين ، فانشأ يقص عليهم قصة الحبل ، فما صدقه أحد منهم ، وانما ضحك منه الجميع مستهزئين !

ومضى السيد « هوشكورن » فى طريقه ، وجعل يستوقف كل من يصادفه من اصدقائه ومعارفه ، ويقص عليهم القصة فى حديث طويل لا نهاية له ، ويروى على أسماعهم ما ساقه من الاحتجاجات ، وهو يقلب جيوبه امامهم بطنا لظهر ، كى يبرهن لهم على انها خالية تماما ، فكانوا لا يصدقونه ، ويقولون له : « اذهب ايها الماكر ! » فأغضبه ذلك ، واشتد غيظه وتضاعف حزنه . واحس بان قلبه يوشك أن ينفجر ! ولم يدر ماذا يفعل

واقبل الليل ، وكان على « هوشكورن » ان يعود الى « برتيبه » ، فسار فى طريقه اليها مع ثلاثة من جيرانه ، فأراهم المكان الذى كان قد التقط فيه قطعة الحبل ، ولم يتحدث بغير ذلك طول الطريق . وفى اليوم التالى ، قام بجولة فى ارجاء بلدة « برتيبة » ليقص على اهلها قصته ، ولكن ما من أحد صدق روايته ، فما ان جن عليه الليل حتى كان المرض قد ألم به

وفى نحو الساعة الواحدة بعد ظهر اليوم التالى ، أعاد المحفظة بما فيها « ماريوس بوميل » ــ وهو أجير عند السيد « بريتون » المزارع ببلدة « ايموفيل » ــ الى السيد « هولبريك » زاعما أنه وجدها فى الطريق . ولما كان أميا لا يعرف القراءة والكتابة ، فقد حملها معه الى البيت وأعطاها لسيده

وذاع الخبر فى الناحية حتى بلغ السيد «هوشكورن» ، فبدأ الطواف من فوره ، وأخذ يعيد سرد قصته التى كتب له فيها النصر . وكان يقول : « ان ما ساءنى وآلمنى لم يكن اتهامى زورا بالسرقة ، وانما كان الكذب ، فليس ثمة ما هو أسوأ من أن يتهم المرء كذبا ! »

وهكذا ظل « هوشكورن » يلهج بالحادث طول يومه ، فكان يقصه على المارة فى الطريق ، وعلى رواد الحانة ، والخارجين من الكنيسة فى يوم الاحد التالى ، بل لقد كان يستوقف الغرباء ليحدثهم به . وهدأت نفسه أخيرا ، لكن شيئا ما ظل مع ذلك يشغل باله ويضايقه ، شيئا غامضا كان يحسه ، ولكنه لا يدرى ما هو على التحديد !

فقد كان يبدو له أن الناس كانهم يمزحون وهم ينصتون اليه ، ولم يكن فى مظهرهم ما يدل على انهم مقتنعون بما يقول ، بل لقد كان يخيل اليه أنهم كانو يتهامسون بشىء فيما بينهم اذا ما أدار لهم ظهره !

وفى يوم الثلاثاء من الاسبوع التالى ، توجه « هوشكورن » الى السوق فى « جودرفيل » ، يدفعه شعوره بضرورة سرد موضوعه ، وكان « مالاندان » واقفا ببابه عندما مر به « هوشكورن » ، فما ان وقع بصره على هذا الاخير حتى أخذ يضحك ! فلماذا ؟ واقترب من فلاح من قرية « كريكتو » ، فلم يدعه هذا يتم حديثه ، وانما غمزه بابهامه فى بطنه وهو يقول له فى وجهه : « اذهب ، اذهب أيها الماكر الكبير ! » ثم استدار على عقبيه ومضى فى سبيله !

واستبدت الحيرة بالسيد « هوشكورن » ، واستولى عليه مزيد من القلق وهو يفكر فى الامر . فلماذا يقولون له انه ماكر كبير ؟ . .

□

ولم يكد المسكين يجلس الى المائدة بمطعم «جوردان» حتى شرع يشرح الامر لمن حوله ، فقال له أحد تجار الخيل :

ــ مهلا ، مهلا أيها النشال القديم ! هذه حيلة عتيقة ، وأنا أعرف كل شىء عن قطعة الحبل هذه !!

ــ ولكن المحفظة قد وجدت وأعيدت الى صاحبها ؟!

فعاد التاجر يقول فى صوت لنبراته مغزى خاص :

ــ صمتا ، صمتا يا والدى . ان هناك واحدا يجد الشىء ، وهناك آخر يبلغ ، فهذا شىء من السهل تدبيره . أليس كذلك ؟

فانتفض « هوشكورن » واقفا وهو يوشك أن يختنق من الغيظ ،

وقد أدرك من فوره كل شيء ، اذ فهم انهم يتهمونه بأنه دفع بالمحفظة الى شريك له ليردها الى صاحبها ! فحاول أن يتنصل من هذه التهمة الباطلة ، ولكن الناس من حوله بدءوا يضحكون !

ولم يستطع المسكين أن يتم طعامه فبادر بالانصراف من المطعم ، مشيعا بايماءات الهزء وضحكات السخرية ، وعاد الى بيته وقد استبد به الحزن والغضب ، وعصفت بفؤاده الحيرة . وزاده أسفا وكآبة علمه بأنه كان بفضل دهائه النورماندى الاصيل — قادرا على ما اتهموه به ، بل على أكثر منه !... وبدا له انه قد أصبح من المحال الآن بالنسبة له أن يثبت براءته ، نظرا لان دهاءه معروف للجميع ، فأخذته رجفة قاسية ، واعتصر قلبه ما فى التهمة من ظلم غاشم !

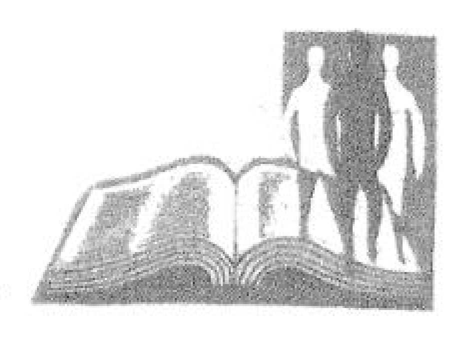
وهكذا أخذ « هوشكورن » يروى الحادث مرة بعد مرة ، ويزيد فى كل يوم اسهابا فيه ، ويصطنع أسبابا جديدة يضيفها الى الحجج السابقة ، ويقسم ايمانا أخرى غليظة . واستغرقت قصة الحبل كل تفكيره واهتمامه ، غير أن تكذيب الناس له كان يشتد كلما أفاض فى الدفاع عن نفسه !

واحس المسكين بهذا كله ، واشتدت وطأته عليه ، واخذ الغيظ والغم ينهشان قلبه ، ومع هذا فقد استمر فى اضناء نفسه على غير طائل ، حتى هزل وذوى تحت سمع الناس وبصرهم . واخذ العابثون والماجنون يدعونه الى ان يقص عليهم قصة الحبل ، لا لشيء الا ليلهوا بها ويسلوا انفسهم ، حتى اذا ماقعل عادوا يطلبون اليه ان يعيد عليهم القصص ، تماما كما يطلبون الى الجندى أن يحدثهم عن المعارك التى خاض غمارها ، فضعف عقله من فرط تأثره ، وما ان أشرف شهر ديسمبر على نهايته حتى اختلط عقله واشتد به المرض فلزم الفراش

مات « هوشكورن » فى أوائل شهر يناير ، وسمع ، وهو فى سكرة الموت وساعة الاحتضار ، يهذى ببراءته ويكرر قائلا بصوت كأنه آت من عالم آخر : « قطعة حبل ! .. قطعة حبل ! .. انظر ، هذه هى يا سيدى العمدة ! »

كسل « ادجار والاس »

عرف عن القصصي الشهيرة « ادجار والاس » ، الذى بلغت مؤلفاته فى احدى السنوات نصف مابيع من الكتب فى بريطانيا ، انه كان رجلا شديد الكسل حتى انه كان يركب « التاكسى » ليقطع مسافة لاتزيد عن مائة متر ، وكان يفخر بأن مجموع ما يقطعه على قدميه لا يزيد على أربعة أميال فى العام !



القصة بين الفصحى والعامية

آراء لفيف من رجال الفكر



انبعثت دعوة جديدة فى الادب ، غايتها استخدام اللغة العامية فى حوار القصة بنوعيها ، الطويلة ، والقصيرة ، والمسرحية . وانبرى للدفاع عن العربية الفصحى عمالقة الادب مثل الاستاذ العقاد والدكتور طه حسين . وهنا ثلاثة آراء لثلاثة من رجال الادب

رأى الدكتور عز الدين فريد

عميد كلية الاداب ـ جامعة القاهرة

ان الوصف فى القصة لا يصل الى الكمال الا اذا كان بلغة عربية رفيعة ، اما الحوار فارى أن تستخدم فيه اللغة العامية كلما اقتضى الامر ذلك

انى أحبذ الكتابة باللغة العربية الفصحى لانها هى اللغة التى تعلمنا بهـــا ونعلم بهـــا ، ونقرأ بها كتبنا ومراجعنا العربية ولكنى مع هــذا لا انصح باستخدامها فى شتى المقامات والاحوال ، ولاسيما عند الحديث عن القصص والمسرحيات ، فالقصة عندما تضم شخصيات

محلية من الشعب يجب أن يكون حوارها باللغة العامية ، فانا لا افهم أن يستخدم قصاص على لسان ممرضة عبارة « لله درك » مثلا ، أو نجد فى احدى الروايات حانوتيا يتكلم بأسلوب احمد شوقى أو بدالا ينطق بلغة عباس محمود العقاد ، أو حلاقا يدير الكلام بأسلوب طه حسين

ولو اننا امعنا النظر فى الانتاج الادبى العالمى لوجدنا كثيرا من عمالقة القصة فى اوربا يلجئون الى استخدام اللغة العامية فى الحوار ، ففى قصص ج . ب . بريستلى مثلا نجد الحوار يدور على السنة ابطال القصة تارة باللهجة اللندنية ، ومرة بلهجة يوركشير ، وطورا بلهجة لانكشير

ولكن الوصف فى القصة يختلف من الحوار اختلافا تاما ، فالقصصى مطالب بأن يثير فى انفسنا مشاعر رفيعة ، لا تتأتى الا باستخدام اللغة العربية الفصيحة . كما ان القصصى قد يلجأ فى قصته الى عنصر الوصف وصف الطبيعة ، ووصف المروج والحقول ، والجبال ، والتلال ، والجداول والغدران ، والاشجار والاطيار ، وهذا الوصف لا يصل الى الكمال الا اذا كان بلغة عربية رفيعة ترتفع عن المستوى العادى للكلام

وقد كنت منذ مطلع شبابى ملمنا على قراءة القصة ، ولا سيما القصة البوليسية ، ولا ازال مقبلا على قراءتها حتى اليوم ، كقصص كونان دويل ، مؤلف روايات شرلوك هولمز المشهورة ، وانا معجب بهذه القصص ، واعيد قراءتها دائما لانها تربى فى القارىء قوة الملاحظة ، وتفتح الاعين وتنمى الذكاء عند القارىء ، ولذلك فانى انصح ابنائى بقراءتها دائما

وقصص شرلوك هولمز كتبت بلغة انجليزية رفيعة ، وليست باللهجات المحلية فى السرد والسياق والحبكة

وانا من اشد الناس ايمانا بفضل القصة فى تثقيف النشء ، واعنى بالقصة هنا ، القصة المفيدة ، المكتوبة باسلوب جميل ، فعملنا المسابقات فى الكلية لتشجيع الموهوبين من الشباب على كتابة القصة ، ورصدنا الجوائز للفائزين فى هذه المسابقات وكانت القصص التى قدمت للجان الثقافية مكتوبة باللغة العربية الفصحى

راى الدكتور محمد رشاد رشدى

استاذ الادب الانجليزى بجامعة القاهرة

عند الحديث على ترجمة الروائع القصصية والمسرحية الكبرى انصح باستخدام اللغة العربية



انى من اشد الناس ايمانا بقوة العامية ، ومستقبلها ، وانتظر بصبر فارغ ، ذلك الوقت الذى تصبح فيه اللغة العامية لغة كتابة القصة الطويلة Novel والمسرحية Play . وانى انتظر ظهور ذلك الكاتب العبقرى الذى يسد الفراغ فى هذا الميدان . واننا لو نظرنا فى تاريخ تطور اللغة الانجليزية لوجدنا اللغة الانجليزية قد مرت بشتى المراحل حتى وصلت الى وضعها الحالى ، فأكثر الشعر الانجليزى قبل القرن الخامس عشر الميلادى كان يكتب باللغة اللاتينية او اللغة الانجلوساكسونية ، فجاء « تشوسر Goeffrey Chaucher » وكتب باللغة الانجليزية العادية التى يتكلم بها الرجال المثقفون فى انجلترا ، ولا أعنى بها لغة الازقة والحارات ، وهى لغة أهل اكسفورد وكمبردج ، ومنطقة لندن . وألف « تشوسر » قصص (كانتربرى Canterbury Tales) باللغة الانجليزية العادية ، وهى مجموعة من القصص التى رواها أربعون حاجا زاروا ذلك المكان المقدس فى انجلترا ، وجاء بعد « تشوسر » أناس استخدموا اللغة الانجليزية العادية فى الكتابة الى يومنا هذا . حقيقة ان الادب الانجليزى فى القرن التاسع عشر قد خالطه كثير من الاساليب الخطابية ، والصناعية فى الكتابة بيد أنه فى القرن العشرين أصبح سلسا متدفقا بعدما تخلص من هذه القيود . وظهر أدباء كبار مثل الدس هكسلى ، و د . هـ . لورنس ، وفرجينيا وولف ، وجيمس جويس ، يستخدمون لغة الكلام فى كتابة القصة دون تزويق او تنميق

وانا ارجو للغتنا العربية هذا التطور ، فى كتابة القصة والمسرحية ، وغيرها من فنون الادب ، ولكنى عند الحديث على ترجمة الروائع القصصية او المسرحية الكبرى انصح باستخدام اللغة العربية ، لان البيئة تحتم هذا الوضع ، فانا لا أستسيغ ان أسمع مستر سميث يقول : « والله العظيم ... » أو اسمع مستر

هيثلكيف فى مرتفعات وذرنج يقول « انا لازم أوريهم »

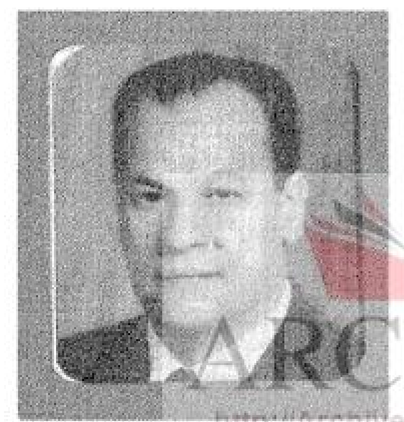
فالترجمة لها وضع آخر يختلف كل الاختلاف عن وضع التأليف والخلق والكتابة ، وقد قمت أنا ببعض الجهود فى ميدان التأليف باللغة العامية ، فألفت مسرحية « الفراشة » التى عرضت على مسرح الاوبرا فى الموسم الماضى ، ورغم أن المسرحية درامية من النوع التراجيدى بيد أنى كتبتها باللغة العامية ، فالمتعارف بين الكتاب أن العامية تكون لغة الكوميدى فقط !

وقد قدمت الفرق المصرية بعض مسرحيات باللغة العربية الفصحى ، ورغم أن تذاكر هذه المسرحيات كانت توزع على سبيل الهدايا ، فان المسارح التى كانت تقدم فيها هذه المسرحيات ظلت خاوية على عروشها ، وهذه الظاهرة تثبت أن اللغة العامية فى سبيل التقدم والانتشار حتى تصبح فى يوم ما لغة الفن جميعا

رأى الاستاذ نجيب محفوظ

الروائى المعروف

« كتابة القصة هى عندى بمثابة معادلة قوامها : اللغة العربية الفصيحة + الصحيح من الالفاظ العامية + الالفاظ الضرورية من العامية »



لم يحدث فى قصة من قصصى أن استخدمت اللغة العامية بدلا من اللغة العربية الفصحى ، لانى لا أومن بالكتابة بهذه اللغة العامية . بيد أنه اذا كانت هناك الفاظ فصيحة وتستخدم فى اللغة العامية ، فلا مانع عندى من استخدامها ، بل انى احبذ استعمالها فى الاسلوب على اعتبار انها لغة موحدة

أما الاسلوب الذى استسيغه لكتابة القصة فهو عندى بمثابة معادلة قوامها الآتى :

اللغة العربية الفصيحة +
الصحيح من الالفاظ العامية +
الالفاظ الضرورية من العامية =
لغة القصة والمسرحية . واذا كان المصور يعشق الطبيعة ، والرسام يعشق الالوان ، فان الاديب يجب أن يعشق اللغة ، وغير خاف أن الرومان حاولوا فرض اللغة اللاتينية على

الشعوب ، ولم يمنع هذا من وجود لغات محلية لم تلبث أن وجـدت سبيلها الى الذيوع والانتشار فى أوربا . وان هؤلاء الذين يدعون الى استخدام اللغة العامية فى الكتابة يحاولون أن يفرقوا ما عمله « الملك مينا » أول ملك فى تاريخ مصر القديم منذ قرون بعيدة حيث وحـد الوجهين ، البحرى ، والقبلى ، فلو أننا استخدمنا اللغة العامية فى كتاباتنا لوجدنا ألوانا مختلفة من اللهجات بين الوجهين البحرى والقبلى ، بل فى الوجه القبلى نفسه يوجد عدد كبير من اللهجات المحلية المتباينة . فما بالك بتلك اللهجات الموجودة فى الجمهورية العربية المتحدة بأسرها ، وبغيرها من الاقطار العربية

وعنـدى أن هؤلاء الذين يدعون الى استخدام اللغة العامية فى الكتابة ينقسمون الى ثلاثة أقسام : القسم الاول يتكون من هؤلاء الذين يعادون العربية لسبب ما ، ولا أحب أن اتعرض لهذا السبب تلميحا أو تصريحا ، أما القسم الثانى فيتكون من هؤلاء الذين لا يكلفون أنفسهم عناء دراستها والبحث فيها، فالاديب اليوم مطالب بثقافات واسـعة فى السياسة والاقتصاد ، والادب ، واللغة غير تلك الثقافات التى كانت ميسورة له فى العصر القديم ، وكانت منصبة فى الغالب على دراسة اللغة واجادتها فقط . ولذلك فانى ادعو الى شحذ الجهود لتبسيط قواعد اللغة العربية حتى نمكن هـؤلاء الداعين من دراستها فى سهولة ويسر . والقسم الثالث يتكون من هؤلاء الذين ينـادون بالواقعية Realism فى الاسلوب ، وأحب أن ألفت نظر هذه الطائفة الى أن الجو فى الواقع يختلف عن الجو فى الواقعية، والحادثة فى الواقع تتباين مع الحادثة الواقعية ، فالقصصى لا ينقل الصور نقل آلة التصوير انما يستخدم فنه فى الحذف والاضـافة ، وينطق الشخصيات بألوان شتى من الحوار حتى يصل الى ذروة الدراما أو يبلغ القمة فى الحبكة الفنية

وان مجرد الترجمة يهدم هذه الدعوى ، فان اجراء الحوار فى الرواية المترجمة باللغة العامية لا يعتبر من الواقعية فى شىء . وقد ترجم لنا بعض الآثار الادبية الواقعية فى الادب الانجليزى والادب الفرنسى باللغة العربية السليمة دون حاجـة الى الالتجاء الى اللغة العامية عملا بمبدأ الواقعية ! . زد على ذلك أن للادب وظيفة اجتماعية كبرى . وهى أن كل أديب حق، يجب أن ينتشر أدبه فى مختلف المجتمعات ، ولذلك فهو يحرص على استخدام هـذه اللغة التى يعرفها الناس كلهم ، وتروج أدبه ، وتنشر فنه . وغير خاف أن اللغة العربية الفصحى لغة القرآن ، ولغة ما يقرب من مائة مليون من البشر

عاشق يبتكر السماعة

وقسيس يكتشف ضغط الدم !

بقلم الدكتور ابراهيم نعيم

الاستاذ المساعد بكلية طب عين شمس

تلعب المصادفات دورا هاما عظيما في ميدان الاختراع والاستكشاف ، وفي عالم الطب كثير من هذه المصادفات الطريفة التي كان لها اعظم الاثر في تقدم الطب

١ - عاشق يبتكر سماعه

في أحد الايام من عام ١٨١٥ استدعى الطبيب الفرنسي الشاب « لينوك » ، ليقوم بعلاج شابة حسناء تشكو من أعراض مرض القلب ،ولقد كان لينوك شابا حييا خجولا ، فابى عليه ادبه وحياؤه أن يضع اذنه على صدر المريضة الشابة العاري ، كما كانت العادة المتبعة في ذلك العصر ، والتي كان يمكن أن تستمر الى الآن لولا خجل لينوك وحياؤه وأدبه ، ولولا تهديد حبيبته له بالهجر والقطيعة ان لا مست آذناه صدرا عاريا لحسناء !!

وقد فكر لينوك فيما درسه في علم الصوت ، وقابلية بعض الاجسام الصلبة لنقل الاصوات ، فقام بصنع اسطوانة من ورق ، ووضع أحد طرفيها على صدر المريضة ، والطرف الآخر فوق اذنه ، ولشد ما كانت دهشته وسروره عندما وجد انه استطاع سماع دقات القلب بوضوح لم يتيسر لاحد قبله ، وقد وجد كذلك ان استعمال اسطوانات خشبية يجعل الصوت اكثر وضوحا . ومن هنا نشأت فكرة صنع أنبوبة تلائم اذن الطبيب ، واعقبها صنع انبوبة مزدوجة توضع في الاذنين معا وهكذا اكتملت قصة السماعة الطبية ، ذلك الجهاز الصغير الانيق الذى يختال

به الاطباء ، والذى يمكن بواسطته الكشف عن امراض القلب والرئة ، والذى يرجع الفضل فى كشفه لخجل طبيب ٠٠ وغيرة امرأة !

٢ ــ موسيقى يكتشف طريقة فحص الصدر

فى القرن التاسع عشر ، ادرك الاطباء ان طرق الصدر بالاصبع ، والاصغاء للصوت الناشىء عن ذلك ، يعطى فكرة كبيرة عن محتوياته وصاحب هذا الاكتشاف طبيب موسيقى،ويرجع فضل هذاالاكتشاف فى الواقع الى مواهبه الموسيقية أكثر مما يرجع الى معلوماته الطبية ٠ فقد كان « جوزيف ليوبولدا ونبرجر » ابن تاجر نبيذ ، وقد ادهشه أن اباه كان يستطيع ان يحكم على مدى امتلاء البرميل بالنبيذ حين يطرق البرميل بيده ويصغى لرنينه ،ففكر فى أنه يمكن استخدام هذه الطريقة فى فحص صدر الانسان ، ومعرفة مدى احتوائه على السوائل فى حالات الانسكاب البلورى أو غيره وقد ساعدته اذنه الموسيقية على تمييز الاصوات المختلفة ، وادرك مدلولها ومعناها

ونشر طريقته عام ١٧٦١ ، وبعد وفاته بزمن طويل أدرك الاطباء انها طريقة عملية وبسيطة ولا يمكن لطبيب أن يستغنى عنها

٣ ــ قسيس يكتشف ضغط الدم

فى خلال القرن السابع عشر اكتشف وليم هارفى طبيب الملك شارل الاول الدورة الدموية ، وبعد ذلك بأكثر من قرن اكتشف أحد رجال الدين ضغط الدم لقد طاف بذهن القس ستيفن هاليز خاطرراح يتردد عليه ٠ انه ما دامت هناك دورة للدم فلابد من أن يكون هناك ضغط واراد أن يستوثق من صدق هذا الخاطر فأخذ انبوبة زجاجية طويلة ، وغرسها فى أحد الشرايين الكبيرة فى حصان ، ولشد ما كان سروره عندما وجد أن الدم اندفع بقوة فى هذه الانبوبة لارتفاع بلغ ثمانى أقدام ، تحقيقا لنظريته فى وجود ضغط

ولقد كانت التجربة كافية لاثبات وجود الضغط ، ولكنه كان واضحا انه لا يمكن أستعمال هذه الطريقة لقياس الضغط فى الانسان

ومن ثم أجريت محاولات عديدة لتصميم اجهزة لقياس ضغط دم الانسان ، منها طريقة « ريترفون باسخ » فى المانيا عام ١٨٨٧ التى استعمل فيها صاحبها بارومتر مائى ولقد فشل كما فشلت تصميمات أخرى كثيرة ، الى أن امكن الوصول بعد عدة سنوات الى صنع الجهاز الذى يستعمل الى الآن

وما من احد من الناس لا يعرف جهاز ضغط الدم لان قياس الضغط اصبح جزءا من كل كشف دورى ، وهو مصمم لقياس عمود من الزئبق يمكن للضغط داخل شريان الذراع (أو الفخذ) أن يرفعه ، وهو يتكون

من حقيبة جلدية مطاطه تلف حول العضد أو الفخذ ، وتخرج من داخل الحقيبة انبوبتان ، احداهما تصل الى مكبس بيسردخول الهواء الى الحقيبة ، والآخر الى مستودع الزئبق وعند ضغط الهواء داخل الحقيبة ، يرتفع عمود الزئبق داخل انبوبة مدرجة ، وباستعمال المسماع على الشريان ، وبرفع الضغط داخل الحقيبة ، يلاحظ الضغط الكافى لازالة صوت النبض ، وهذا هو الضغط الانقباضى وهو يقرأ بالمليمترات من الزئبق ، فعندما نخبر شخصا بأن ضغطه ١٥٠ فهذا معناه أن قلبه فى كل لحظة يدق فيها يرسل موجة من الدم داخل الشريان الذراعى بضغط يعادل ١٥٠ مليمترات من الزئبق وعندما ينخفض الضغط داخل الحقيبة تدريجيا ، يتلاشى صوت النبض ثانية وعند هذه النقطة يقرأ الطبيب الضغط الانبساطى الذى يقابل اللحظة التى يرتخى فيها البطين الايسر ليعاود امتلاءه بالدم وهذا يعبر عن الضغط المستمر داخل الشريان ويعزى الى مرونة جدرانه والضغط الانقباضى هو الاكبر والانبساطى هو الاصغر أثناء دقة قلب كاملة

٤ ـ مصادفة تؤدى الى اكتشاف ملك العقاقير

كانت الفكرة السائدة لدى العلماء الى عهد غير بعيد ان البكتريا اقوى الكائنات الدقيقة ، ولا يمكن أن تقارن بالفطريات ، بدليل مقدرة البكتريا على القضاء على حياة الانسان نفسه !

وحدث يوما أن ترك « الكسندر فلمنج » مزرعة بكتريا ـ مصادفة ـ بغير غطاء وجاء فى اليوم التالى لفحصها ، فوجد ان نوعا من الفطر قد جرؤ على الاقتراب من مزرعة البكتريا ، ثم وجد ما هو أعجب من ذلك حين دقق الفحص ، فقد هلكت البكتريا جميعها ، ونما الفطر !

ومن هنا بدأ بفحص هذا الفطر الجرىء الذى يعرف فى عالم النبات باسم « البنيسليام نوتاتم » ، وقد قدر لافرازه الكفيل بالقضاء على البكتريا ، ان يعرف فى عالم الطب باسم « البنسلين »

أقوال مأثورة

● اذا ارادت الاقدار ان تفسد انسانا اعطته كل ما يتمنى

(أوسكار وايلد)



خفقات قلب

بقلم الاستاذ محمد رجب البيومي

كانت شمس الظهيرة تشتعل فى الصحراء اشتعالا يوقد الرمل ويلهب الصخر ، وقد أحس الرجل بشواظ حاريلهب جسمه ، فيتصبب عرقا ساخنا ، ويجف ريقه فيجد به ملوحة مريرة ثم يدور بعينيه بأحثا عن بئر دافقة بالماء فلا يجد غير الهجير المتقد يظمئه ويضنيه ، وقد هم أن يفترش الرمل الملتهب فيعجل بمصيره اليائس ، لولا أن لمح عن قرب شجرة مائلة تظلل نبعامتواريا فتألقت عيناه بالفرحة ، واتجه الى الماء الفرات ، يبرد جوانحه ويكشف تباريحه ، ثم عن له أن ينزع ثيابه ويتمرد فى الماء لحظات منعشة يستعيد بها نشاطه الذاهب .. حتى اذا بلغ مأربه نهض الى الظل الوارف فهيأ لراحته مضجعا آمنا ، وأسلم جفنيه الى نوم عميق !!

كان السائح المكدود فى هم ناصب من شجونه وهواجسه ، فانطلقت أحلامه تريه ما يتربص به مستقبله من الصعاب ، فيبصر السجون والاغلال تارة ، ثم ترجع به الى أمسه الباسم تارة أخرى ، فيرى نفسه وزيرا خطيرا فى همذان ، يملك الامر والنهى ، ويحف به الحراس والحجاب ، حتى اذا غربت الشمس وداعبته الانسام الباردة ، هب من نومه ليجد نفسه وحيدا فى العراء يسامره القمر وتحدثه النجوم

ماذا يصنع الطريد الخائف فى ليل الصحراء ؟ انه يستعرض تاريخ حياته ، فتمر بسمة باهتة على ثغره حين يتذكر صباه الغض ، وقد كان متمتعا به فى قصر أمير الدولة السامانية ، فهو طبيبه الحاذق ، يدفع عنه أذاة المرضى ، ويعد قائمة طعامه وشرابه ، فيزداد مكانة فى قومه ، ويصبح الشفيع الاثير لدى صاحب الامر ، يسأل فيجاب ، ويتمنى فيحقق مبتغاه

ثم يتابع ذكرياته ، فيستعرض جاهه فى همذان ، ويرى كيف كانت وزارته معقد المنى لقومه ، وميدان السيطرة لنفسه ، وقد ترك له آل بويه كل سلطان ، فهو صاحب الكلمة العليا ، قرب وباعد ، وأعز وأذل حتى اذا قلب الدهر صفحته ، خرج هائما على وجهه ، ليجد نفسه وحيدا

في الصحراء ، متنكرا في زى درويش بائس ، يلبس المرقعات ، ويطلق لحيته الكثة ، ويبحث عن الفتات التافه ، فلا يناله بغير المذلة والهوان . !! ثم هو بعد لا يأمن على نفسه ، فالموت يجثم له في كل مرصد ، تنطلق وراءه العيون ، وتتساءل عنه الجواسيس ، !! وقد أعدت المكافآت السخية لمن يأتى به ! فالى أين يصير ؟!

فكر « ابن سينا » ليلته في أمره ثم رأى أن يفر الى أصبهان ، فله بها أناس يعرفون مكانته ، ويقدرون مواهبه ! ولعل شمسه الغاربة تتمخض عن فجر جديد ، تمتد خيوطه اللامعة شيئا فشيئا ،، حتى يستحيل الى صباح قشيب

سار ابن سينا في طريقه فانى أصبهان بعد رحلة شاقة عسيرة ، ووجد من أصحابه الاكرمين من أعزوا وفادته ، فنزل لديهم أطيب منزل وأهناه ، وكأن الاقدار كانت تختصر له طريق الحظوة ، فمرض نجل سلطانها العظيم « علاء الدولة » مرضا حير الاساة ، وأدهش الناس وتساءل صاحب الملك عن نطاسى بارع يشخص الداء ، ويصف الدواء فتقدم ابن سينا وفى قلبه أمل ،وعلى لسانه دعاء !

كان الامير المريض هزيلا نحيلا شحب لونه ، وغارت عيناه ، وتثاقل لسانه ، فما يطرد في حديثه الا تمتمات متقطعة لا تكاد تبين ، وقد فحصه الطبيب فحصا دقيقا ، فلم يجد أثرا للعلة العضوية في جسمه واستعان بخبرته الواسعة في عالم الطب ، فازداد يقينا بسلامة أعضائه وصحة بنيته فأخذ يتساءل عن هذا الشحوب الكالح وذلك الهزال الناحل فلا يجد سببا يستريح اليه في تعليله وتشخيصه ، وجال بفكره الثاقب جولة نافذة فعرف أن المرض نفسى لا جسمى

أن المريض يرسل آهات حبيسة تمتد وتنقطع ، ثم يجول ببصره الزائغ في الحجرة كمن يبحث عن أمر بعيد .. فاذا أطبق عينيه لصق يديه بأحشائه كمن يحتفظ بشيء يوشك أن يطير !! .. أتراه قد أحب فكتم ثم ثقل به الحب الكظيم ، فأورثه ذلك الشحوب المرير !! لابد من سبر دقيق لاغوار نفسه ، فقد ينجلى السر الكمين

وجاء علاء الدولة الى الطبيب يسأله الرأى فيما شاهد وعاين ، فابتسم ابتسامة هادئة ، ثم قال له : « سأطلب منك يامولاى شيئا تعده غريبا في موضوعه : ولكنى مصر عليه » فقال علاء الدولة في هدوء : « لك ما تريد » ، فصاح ابن سينا : « أريد اجابة شافية عن ثلاثة أسئلة متقطعة كل سؤال في يوم » فقال السلطان : « ومن يجيبك ؟ » فقال الطبيب : « انسان خبير بمنازل أصبهان وشوارعها وساكنيها من رجال ونساء » فابتسم علاء الدولة وقال لصاحبه : « انتظر قليلا في مكانك فسأبعث اليك بمن تريد !! »

لم تكن غير لحظات حتى نظر الطبيب ، فوجد شرطيا كبيرا يتقدم



«وجد في أصحابه الاكرمين من اعزوا وفادته»

اليه فيقول : « لقد بعث بى مولاى اليك ، وأنبانى أنك ستعقد لى امتحانا فى مدى ثلاثة أيام ، ترفع نتيجته اليه ، فلعل أحوز قبولك أن شئت » فادرك ابن سينا ، ما يتردد فى صدره من الهواجس ، فمازحه قليلا وطيب خاطره ، ثم قال له : « أريد شيئا يسيرا !! أريد أن تكتب الى اسماء شوارع اصبهان فى ورقة !! فهذا أول سؤال ! »

تعجب الشرطى بعض الشىء !! ثم أخرج ورقة من جيبه ، ودون أسماء الشوارع ، وقدمها الى السائل فشكره ، ورجاه أن يحضر من الغد ليجيب عن سؤال جديد !!

وما كاد الطبيب يلم باجابةصاحبه حتى انتقل الى حجرة الامير المريض وبدأهبالتحية ، ثم أزاح ملابسه ، ووضع يده على صدره ، متسمعا ضربات قلبه ، وأخذ يتلو أسماء الشوارع شارعا فشارعا ، فوجد الخفق يتوالى ويضطرب عند شارع معين ، فأسره فى نفسه ، وتنقل بالحديث الى ناحية ثانية ثم ودع المريض

وفى اليوم الثانى جاء الشرطى فطلب اليه ابن سينا أن يكتب أسماء أصحاب المنازل الذين يقطنون فى الشارع المعلوم ! فتعجب الرجل كعجبه أول مرة ، وصدع بالامر كما أراد الطبيب ، ثم سار الى شأنه ، وفى نيته أن يعود غدا للمرة الثالثة ليفرغ من امتحانه الغريب !

أما الفيلسوف فقد سارع الى المريض ، وجاذبه أطراف الحديث ، ثم أزاح ملابسه ، ووضع يده المرهفة الحساسة على صدره وأخذ ينصت الى ضربات قلبه ، قارئا مالديه من الاسماء فوجد الخفق يعلو دراكا مضطربا عند سماع اسم معين ، فادرك طلبته ، ولم يشأ أن يشغل الامير بظن مريب ، فأفهمه أنه يبحث عن مرض عضوى فى صدره وسيبرأ منه عن قريب !

وفى اليوم الثالث جاء الشرطى فطلب اليه أن يكتب جميع اسماء الآنسات ممن يسكن هذا المنزل ، فأجاب عن السؤال في دقة ، وأعلن الطبيب براعته فى تأدية امتحانه ، فخرج دهشا لا يدرى أيهزل أم يجد مع هذا الطبيب الغريب !! ولكن ابن سينا يطير الى المريض فى سرعة عاجلة ، ويأخذ فى مسامرته بعض الوقت ، ثم يضع يده المرهفة موضعها من صدره ، ويتلو أسماء الآنسات فيخفق الامير خفقه تتبعها شهقة اذ ينطق الطبيب باسم « رباب » ثم يندفع فى بكاء أليم

اذن فقد عرف الطبيب سر مريضه !! فاتجه الى علاء الدولة ، وأخبره بما اهتدى اليه ، فأطرق السلطان مليا ثم قال : « أتدرى أن رباب خطيبة أخيه ؟! » فقال ابن سينا : « ولذلك كتم حبه فى نفسه كي لا يتحرج الموقف بين الشقيقين فآل به الكتمان الى مرض مميت !! »

زفر السلطان زفرة حارة ، ثم سأل ابن سينا : « كيف نخرج من هذا المأزق العجيب ؟ » فقال الطبيب : « نريد أولا أن نتأكد من حب رباب للامير المريض !! »

فسكت السلطان على غيظ ، ثم قال : « ومن يستطيع أن يدرك خبايا القلوب !! » فأجابه ابن سينا ! « من أدرك قلب الامير »

أعلن علاء الدولة رغبته فى زيارة رباب وقد اصطحب معه طبيبه الماهر فلما مثلت بين يديه ، أثنى السلطان كثيرا على أدبها وجمالها !! ثم أشار الى ابن سينا قائلا : « هذا جوهرى حاذق سيصنع لك سوارا ذهبيا ، وقد أتيت به ليأخذ مقياس ساعدك الجميل » !! ثم طلب منها أن تمد يدها اليه فوضعها الطبيب بين أصابعه الحساسة وهتف السلطان باسم فتاه المريض ، تنفيذا لخطة وضعها الطبيب ، فلاحظ ابن سينا أن نبض الساعد قد أخذ يعلو ويضطرب منبئا عن احساس حاد يعصف بصاحبته ، فترك يدها وقد أحاط عن يقين بما يضطرم فى قلبها من حب عنيف !! فنظر الى السلطان طويلا ، وانسحبت رباب فأفضى اليه بسرها الخطير !

لقد وضح اللغز المحجب بين قلبين ذائبين ، فكيف ينقذ علاء الدولة مريضه دون أن يخدش كبرياء أخيه !! أنه ترك الامر لزوجته فهى والدة الشقيقين وعليها أن تتلمس الحل اليسير !!

وفى امسية هادئة استدعت الام الخنون خطيب رباب فخف اليها وفى وجهه غيوم تتجمع وتتفرق ، وفى عينيه ذهول شارد ! فصاحت به :

ــ علام يرهقك التفكير يابنى العزيز ؟

فقال الامير :

ــ أماه : انى أفكر فى فراق رباب !!

فانتهزت الام هذه البادرة وقالت :

ــ ولم يابنى ؟ فأجاب فى حيرة :

– لم تعد تخف الى لقائى كما أريد !! وتنتحل شتى العلل كى تفر الى بعيد !

قالت الام :

– لعل لها عذراً

فقال الامير :

– لا يا أماه ، لقد علمت أنها تتضايق كثيراً ، حين يذكرها بى متحدث ! وبالامس قامت من النوم فزعة ، وصاحت : « لا أريده ، لا أريده » ثم أجهشت ببكاء مرير !!

قالت الام :

– وماذا يقول الناس حين نتركها وقد علموا أنها خطيبتك المصطفاه !!

قال الامير :

– ليقل الناس ما يقولون !!

فأجابت الام :

– لابد أن نحفظ سمعتها في المدينة ، فاذا صممت على رفضها فهى لاخيك !

نظر الامير فى اكتئاب وصاح :

هى له اذا أراد

أسرعت الام ، فاصطحبت زوجها الى المريض ، وبشرته بالنبأ العظيم، وانتفض انتفاضة مدهشة وسقطت دموع الفرحة من عينيه ، وترقرق دم البهجة في وجنتيه الشاحبتين ثم صاح بوالده :

– من حدثك عن سرى يا أبتاه ! وهو فى صدرى سجين حبيس ؟!؟

فقال علاء الدولة متضاحكا :

– لقد أطلقه ابن سينا من محبسه فمزق الاغلال والقيود

قال الامير :

– وهل علمت رباب ؟ أنقذوها فقد آن أن تستريح !!

أديب حتى آخر رمق

طلب « مارسيل بروست » الكاتب الفرنسي المعروف الى خادمه قبيل وفاته بساعات ان يأتيه بصفحة من احدى مخطوطاته ، كان قد كتب فيها وصفا لما يعانيه احد اشخاص رواية له من آلام الاحتضار .. فقال له « بروست » : « انى أريد ان انقحها واعدل ما كتبته فيها اذ اجد نفسي الان فى نفس موقفه !» .. فلما جاءه الخادم بما طلب ، شرع يكتب ويكتب كأن به مسا من الجنون حتى لفظ انفاسه الاخيرة

قصة اندلسية

القاضي العادل

للكاتب الاسباني بدرو ريبيد

تعريب الطاهر احمد مكي

هذه قصة كتبها قصاص اسباني معاصر ، عن الحياة العربية في اسبانيا ، لم يمر على أصلها فيما درست من مراجع تاريخ الاندلس ، ولا أعرف من أين استمده القاص الاسباني ، قد تكون فيما لم أقرأ ، وقد يكون ناقلا لها عن أفواه العامة هناك ، فالتراث العربي في الاسطورة الاسبانية ، بعضه سجل عفوا ، وترك اغلبه قصدا ، وبقي قليل منه ، رغم احداث الزمن ، في أفواه العامة في القرى حتى الآن ، فلعل هذه القصة من هذا أو ذاك ، وقد أحببت أن انقلها حرفيا الى العربية ، لانها تعكس معنى جميلا ، لحضارة راقية ، قامت في هذا الركن من الارض

كان على ممنون ، أمير طليطلة ، واثقا من قوته وانتشار العدل في أمارته ، حتى ليستطيع طفل صغير ، أن يحمل على رأسه تاجا من الذهب يطوف به في انحاء الامارة ، دون أن يخشى عدوان احد

وذات يوم سمع الامير العظيم ، ان واحدا من قضاته في قرية ما من امارته ، قد اشتهر بعدله في القضاء ، وتحريه الحق في الاحكام ، فاحب ان يتأكد بنفسه من صدق ماقيل فامتطى جواده وخرج من طليطلة ، سالكا طريقه الى تلك القرية ، في مظهر فارس بسيط ، وقد وصل صبيحة يوم تفتح المحكمة فيه ابوابها عادة ، ومن حظه ان كان يوما بارداوعاصفا ، فلما اجتاز باب المدينة ، التقى عنده بمقعد تعافه النفس ، مد اليه يده طالبا صدقة ، فأعطاه علي ممنون شيئا من النقود ، كما يفعل دائما مع الفقراء والعجزة ، ثم تطلع فرأى المقعد قد تعلق بالحصان ، فنظر اليه قائلا : –

– ماذا أستطيع ان اصنع من اجلك ؟

تستطيع ان تعاونني على دفع

الاذى الذى سيلحقنى من الناس والحيوانات ، اذا انا عدت على قدمى زاحفا فى هذا الزحام !

ـ ولكن ، كيف أدفع عنك هذا الاذى ؟

ـ أن تحملنى خلفك على حصانك ، وان توصلني حتى الميدان

وفعل على ممنون ما طلبه الشحاذ المقعد ، فأردفه خلفه ، وساعده فى الركوب ، وعندما وصلا الى الميدان سأله :

ـ الى هذا الميدان تريد ان تصل ، أليس كذلك ؟

ـ نعم

ـ اذن تستطيع أن تنزل ؟

ـ ولكن أنزل أنت أيضا

ـ سأنزل ، اذا كان هذا يساعدك على النزول ؟

ـ لا ، ستنزل لانى اريد ان اظل ممتطيا الحصان !

ـ لاى سبب ؟

ـ لسبب بسيط جدا ، هو انى صاحبه

ـ اصغ جيدا الى ما تقول ، وتأمله !

ـ انا مصغ ومتأمل

ـ نحن بجوار القاضى العادل الذى يعقد جلساته علنا ؟ .

ـ الا تعتقد انت ، ان القاضي عندما ينظر الينا ، انت بساقيك القويتين ، وانا بساقى المحطمتين ، سيقول : ان الحصان يخص اشدنا حاجة اليه ؟!

ـ اذا قال ذلك ، فلن يكون قاضيا عادلا

ـ سيكون عادلا ، ولكن ، من الممكن أن يخطىء

وقال على ممنون لنفسه : يا الهي ! يا لها من فرصة عظيمة ، هذه التى عرضت لى ، والتى أستطيع ان احكم فيها بنفسى على صلاحية ذلك القاضى وشهرته ، ثم التفت الى المقعد وقال :

ـ هيا بنا الى القاضى يا رفيقى !

◻

وتقدما الى المحكمة مع الجمهور ، على ممنون آخذ بشكيمة الحصان ، والشحاذ المقعد جالس فوقه ، متوجهين الى حيث تعقد المحكمة جلستها

وكانت القضية الاولى بين جزار وبائع زيت ، وكل منهما يحمل طابع مهنته ، فبينما ملابس الاول ملطخة بالدماء ، كانت ملابس الثاني تنضح زيتا ، وتقدم الجزار وقال :

ـ لقد ذهبت لشراء زيت من حانوت هذا الرجل ، وعندما اخرجت يدى من جيبى مملوءة بالنقود لادفع له الثمن ، جذب يدى بقوة ، مستوليا على ما فيها ، وقد جئنا اليك لتحكم بيننا ، لمن تكون النقود

وبعد ان انتهى الجزار من ادعائه ، اعطى القاضى الكلمة لبائع الزيت ليعرض وجهة نظره فقال :

ـ هذا الرجل جاء الى حانوتى يحمل زجاجة ليشترى فيها زيتا ، وعندما ملأتها له ، سألنى عما اذا كنت أستطيع أن اصرف له بعض النقود الذهبية الى عملات صغيرة ، فأخرجت النقود التى عندى

ووضعتها على المنضدة لاحصيها فما كان منه الا ان هجم عليها واخذها ، محاولا ان يهرب بها مع الزيت ، فأخذت الاحقه وأستغيث، ولكنه بالرغم من صياحي ، لم يشأ أن يرجع لى نقودى ، فأحضرته الى هنا ، لتحكم بيننا

تأمل القاضى لحظة ، ثم قال لهما: دعا النقود هنا ، وعودا الى فى الصباح القابل

◘

ثم جاء دور على ممنون،والشحاذ المقعد فى الكلام ، فقال أمير طليطلة ولم يكن القاضى يعرفه :

ـ ياسيدى ، لقد جئت من قرية بعيدة لشراء بعض الاشياء من هنا، وعند باب المدينة التقيت بهذا التعس ، الذى طلب منى صدقة ، ثم توسل الى أن اردفه خلفى على جوادى ، ففعلت مارجانى ، ولكنه عند الوصول الى المدينة لم يرد النزول ، قائلا ان الجواد له ، وعندما هددته باللجوء الى القضاء ، أجابنى ساخرا « ان القاضى على قدر كبير من المعرفة ، لايستطيع معه ان يفهم ان الحصان لك ! ؟ »

وذلك ياسيدى القاضى ، هو موضوعنا الذى جئناك لتفصل بيننا فيه

وتكلم الشحاذ المقعد :

ـ سيدى القاضى ، لقد جئت ممتطيا هذا الحصان وهو ملكى ، وعندما رايت هذا الرجل راقدا فى الطريق ، اقتربت منه وسألته ، عما اذا كان متعبا او مريضا ، فرد على : « اننى متعب جدا ، فاذا كنت طيب القلب فاحملنى الى المدينة حيث يجب أن أكون هناك ! » هكذا قال لى ، وقد فعلت ما رجا ، وعندما وصلنا الى الميدان طلبت اليه أن ينزل ، ولشد مادهشت عندما سمعته يرد على ، ان الذى يجب أن ينزل هو انا ، لان الحصان ملكه

سمع القاضى القضية فى هدوء واطمئنان ، وبصوت رزين هادىء ، قال لهما : اتركا الحصان هنا ، وعودا فى الصباح القابل

وفى اليوم التالى ذهب الى المحكمة جمهور غفير ، ممن لديهم رغبة قوية فى معرفة ماسيحكم به القاضى ، فى هاتين القضيتين الهامتين والغامضتين فى نفس الوقت

وافتتحت الجلسة ، فوقف القاضى ، ونادى على الجزار : خذ النقود فانها لك ! انك اخرجتها من جيبك حقا ، ولذا فانت صاحبها !

ثم نادى بائع الزيت : ان جزاء محاولتك السطو على مال ليس لك ، والكذب فى ادعائك ، هو خمسون جلدة

وأشار الى الجنود بأخذه لتنفيذ الحكم فيه !

ثم جاء دور على ممنون وصاحبه لحظات قليلة ، ثم اقترب القاضى منهما سائلا ، هل يستطيع كل منكما أن يتعرف على حصانه بين عشرين حصانا أخرى مشابهة له ؟

فأجاب على ممنون :

ـ بدون أدنى شك يا سيدى



ثم اقترب القاضي منهما سائلا ، هل يستطيع كل منكما ان يتعرف على حصانه ؟

وأجاب الشحاذ المقعد :

ـ دقائق ، وستعرف الحقيقة

واشار القاضي أولا الى على ممنون كي يصحبه الى قاعة خلفية فى المحكمة ، أودع فيها عشرين حصانا متشابهة ، طالبا اليه أن يتعرف الى حصانه بينها ، ففعل ذلك فى الحال دون صعوبة ما ، فقال القاضي :

ـ حسنا .. أذهب انت ، ثم ارسل الى الشحاذ المقعد

وجاء هذا الاخير ، ولما كان ذكيا فقد ميز الحصان مشيرا اليه باصبعه فقال له القاضي :

ـ اذهب فانتظرني فى المحكمة

وفى المحكمة ، وقف القاضي يصدر حكمه ، أتجه الى على ممنون وقال:

ـ ان الحصان لك ، وتستطيع أن تأخذه حالا

ثم أتجه الى رجاله ، واشار اليهم ، أن يأخذوا الشحاذ المقعد وأن يجلدوه خمسين جلدة !

□

ذهب على ممنون بحصانه ، وعندما عاد القاضي الى بيته ، ألفى هناك أمير طليطلة ينتظره على باب داره ، فسأله القاضي :

ـ ألست مسرورا من حكمي ؟

ـ بلى ياسيدى القاضي ، ولكن

الذى اريد ان اعرفه ، هو هذه الفطنة الارادية التى تلهمك العدل فى قضائك ، واحب أولا ان اعرفك بنفسى ، فأنا لست تاجرا ، وانما أنا أمير طليطلة فى زى تاجر !

وحاول القاضى أن يقبل يده ، ولكن على ممنون رفض ساحبا يده ، ومتابعا حديثه :

ـ هيا ياسيدى ، اريد ان اعرف ، كيف استطعت أن تعرف ان النقود للجزار ، وان الجواد لى ؟

ـ الامر بسيط جدا ، لقد كانت النقود والحصان فى قبضتى طوال الليل ، الم تلحظ كيف كان ذلك الذى تلقى جزاءه خمسين جلدة ، متسخا بالزيت وخاصة فى يديه ؟

ـ نعم .

ـ حسنا .. لقد أخذت النقود ، ووضعتها حالا فى كوب من الماء ، تركتها فيه طول الليل ، وفى الصباح عندما مضيت لافحصها ، رايت الماء وليس فيه اى اثر لنقطة واحدة من الزيت تطفو على وجهه ، فعرفت ان النقود للجزار

ـ حسن ماصنعت . والآن ، كيف عرفت أن الحصان لى ؟

ـ الحق انى فكرت فى قضيتك كثيرا ، وفيما يجب ان افعل ، واقلقتنى طوال الليل ، وحتى وقت قليل من اصدار الحكم ، لم اكن اعرف الحقيقة ، وعندما صحبتكما حيث الخيل ، لم أكن اريد ان أختبر مقدرتكما فى التعرف اليه ، فقدكنت واثقا من ذلك مقدما ، كنت على ثقة من ان كليكما يستطيع أن يتعرف عليه بسهولة ، ولكنى أردت ان أعرف الحقيقة من الحصان نفسه ، والى من سيتعرف هو الى اى منكما ؟ وعندما اقتربت اليه انت ، صهل وهش وبش ، وكاد ان يعانقك ، على حين انه اضطرب وارتعش عندما اقترب منه المقعد الشحاذ ، مما أكد لى أن الحصان لك !

وقف على ممنون مأخوذا لحظات ، معجبا بذكاء قاضيه وفطنته ثم قال :

ـ سيدى القاضى ، كان الله معك ، ان مكانك يجب أن يكون بجوارى دواما ، اننى فى حاجة اليك هناك .. فى طليطلة !

بطريق الخطأ !

اقامت احدى الجمعيات التاريخية فى امريكا معرضا للوثائق والمخطوطات تضمن مجموعة من أوراق الكاتب الامريكى «مارك توين» الخاصة . وكان بين هذه الاوراق غلاف رسالة معنونة باسم زوجة الكاتب الشهير ، كتب عليها ملاحظة بخطه يقول فيها : « فتحت هذه الرسالة بطريق الخطأ ، ولا اعرف ما بداخلها »